جامعة الخليل

عمادة الدراسات العليا

الحياة العلمية في عهد الإمارة الأموية في الأندلس

(138هـ/755م)-(316هـ/928م)

إعداد الطالبة

ولاء يوسف أبوالضبعات

إشراف الدكتور

عمر شلبي

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلّبات درجة الماجستير في التاريخ الأندلسيّ

بكلّيّة الدراسات العليا والبحث العلميّ في جامعة الخليل

1437هـ/2016م

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Masters in Andalusian History in the college of Graduate Studies and Academic Research , Hebron University

الحياة العلمية في عهد الإمارة الأموية في الأندلس

(138-316هـ/ 755-928م)

The Scientific Age at the Era of the ommayyad Emirate in Andalusia(138-316 Hijri-755-928 AD)

إعداد

ولاء يوسف أبوالضبعات

نوقشت هذه الرسالة يوم..... الأحد ..... بتاريخ..... ٢٠١٦/١١/٢٧ ..... الموافق.....
وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:		التوقيع
1. د.عمر شلبي	مشرفاً ورئيساً	.....
2. د.شوكت حجة	ممتحناً داخلياً	.....
3. د.محمد الحروب	ممتحناً خارجياً	.....

12.12.2016

الإهداء

إلى زوجي الغالي د. عروة الفلاح

إلى مَنْ ينبض قلبها بالإحساس، إلى مهجة القلب ، وبلسم الرّوح ، إليكِ يا أمّي

إلى مليكي وسلطاني ومعلّمي الذي ربّاني... إليك يا أبي

إلى اللّذين عززا فيّ ثقة البحث والاطلاع والمثابرة وملئا فيّ المشاعر الدافئة إلى عميّ الغالي محمد زياد وحماتي الجليلة أم طارق

إلى حبيب قلبي ابني أمير

إلى الأهل والأقارب الأحبَّاء

إلى الأصدقاء والزّملاء الأعزّاء

أهدي هذا العمل

الشكر والتقدير

لا بُدّ من الاعتراف بالفضل لأهل الفضل، لأنّ الاعتراف بالفضل لأهل الفضل فضل أيضاً ، ومَنْ لا يشكر النّاسُ لا يشكرِ الله، لذا أتقدّم بجزيل الشّكر والعِرفان إلى:

- **أستاذي الدكتور عمر شلبي الذي تفضَّل مشكورًا بالإشراف على هذه الرسالة ، وتعهّدها منذ أن كانت فكرة إلى أن أصبحت ما أصبحت عليه الآن ، وذلك من خلال توجيهاته القيّمة ، وإرشاداته التي كانت المنارة التي اهتديْتُ بها .**

- **أساتذتي الأجلّاء في قسم التاريخ في جامعة الخليل الذين كان لهم الفضل الكبير في إنارة طريقي خلال مدة الدراسة .**

- **الأستاذ إسحق الجعبري الذي دقّق الرّسالة لغةً وأسلوباً.**

- **ولا أنسى إزجاء الشكر العظيم إلى زوجي الذي بلغ الغالي والنفيس من أجلي وساندني ورعاني، وكابد الأرق من أجل نجاحي .**

- **وفي النهاية أشكر كلّ مَنْ ساعدني وساندني في القيام بهذا العمل العلمي ، فبفضل ذلك الجود وتلك الجهود خرجت هذه الدراسة إلى حيّز الوجود.**

المختصرات والرموز

- م: ميلادي
- ق.م: قبل الميلاد
- هـ: هجري
- د.ت: دون تاريخ نشر
- د.ن: دود دار نشر
- د.م: دون مكان نشر
- ت: توفي
- ط: طبعة

مَسْرَدُ (فهرس) المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	**أ**
الشكر والتقدير	**ب**
قائمة المختصرات والرموز	**ج**
مسرد (فهرس) المحتويات	**د**
ملخص الرسالة باللغة العربية	**ط**
المقدمة	**ي**
تمهيد : الحياة العلمية في إسبانيا قبل الفتح	**1**
الفصل الأول **العلوم الدينية في عهد الإمارة**	
علم الحديث	**5**
قيام مدرسة الحديث في الأندلس	**9**
علوم القرآن	**12**
العلوم الفقهية	**16**
مذهب الأوزاعي	**17**
مذهب المالكي	**18**
أسباب اعتناق المذهب المالكي في الأندلس	**24**
موقف فقهاء المالكية من المذاهب الأخرى	**27**
الأمويون والمذهب المالكي	**29**
العلاقات التعليمية لفقهاء المالكية	**30**
انتقال الفقهاء بين المدن	**30**
الأسباب السياسية	**31**
الجهاد	**32**
وجوه التعاون بين الفقهاء	**33**

المشاركة في التأليف	**33**
مقابلة الكتب وتصحيحها	**34**
التعاون في المحافظة على الكتب واعارتها	**34**
وقف الكتب	**35**
ايداع الكتب	**36**
التعاون في توجيه الطلبة العلمي	**36**
العلاقة التعليمية	**37**
الحصول على السماع	**37**
مجالس التدريس	**38**
مجالس الفتوى	**40**
المذهب الشافعي	**41**
المذهب الحنفي	**43**
المذهب الظاهريّ	**44**
المذهب المسّري	**45**
الفكر الإسلامي	**48**
المعتزلة	**48**
الخوارج	**52**
الشيعة	**53**
التصّوف	**55**
الفصل الثاني **العلوم الطبيعية والإنسانية**	
العلوم الطبيعية	**59**
الطب والصيدلة	**59**
الفلك والرياضيات	**65**
علم الفلك والنجوم	**65**

الرياضيات	**68**
علم الكيمياء	**71**
العلوم الإنسانية	**73**
الشّعّر	**73**
عوامل اتباع الاتجاه المحافظ	**75**
التجديد الموضوعي	**76**
الحنين إلى الوطن	**77**
الشّعراء	**78**
عبد الرحمن الداخل	**78**
أبو المخشى	**80**
الحكم بن هشام	**82**
عباس بن ناصح	**83**
حسانة التميمية	**84**
العجفاء	**85**
زرياب	**86**
يحيى الغزال	**90**
ابن عبد ربه	**92**
الشعر التعليمي في الأندلس	**95**
أسباب انتشار الشعر التعليمي في الأندلس	**96**
فن الموشحات	**97**
النثر	**100**
النحو	**103**
تأثير النحو في الأندلس بالمذاهب الفقهية	**104**
دوافع تيسير النحو لدى الأندلسيين	**104**
عوامل تطور النحو في الأندلس	**106**

الرّحلات العلمية	**106**
الهجرة إلى الأندلس	**107**
هدف تلك الرحلات	**108**
التاريخ الجغرافيا	**111**
التاريخ	**112**
الجغرافيا	**114**
الفلسفة	**115**
الفصل الثالث **تطّور الحركة العلمية في عهد الإمارة الأموية في الأندلس**	
دور الطبقة الحاكمة في رعاية الحركة العلمية	**119**
عبد الرحمن الداخل	**119**
هشام الرضى	**120**
الحكم بن هشام	**121**
عبد الرحمن الأوسط	**122**
محمد بن عبد الرحمن الأوسط	**125**
المنذر بن محمد	**126**
عبد الله بن محمد	**127**
الرّحلات العلمية	**128**
ارتحال علماء الأندلس إلى المشرق طلباً للعلم	**128**
زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخميّ المعروف شبطون	**131**
عبد الملك بن حبيب السلمي	**131**
القاضي أبو عبد الله بن محمد بن أبي عيسى	**133**
يحيى بن يحيى الليثي	**134**
القاضي منذر بن سعيد البلوطي	**136**
قاسم بن ثابت، أبو محمد العوفي السرقسطي	**136**

قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد سيار(أبو محمد)	**137**
أبو عبد الله محمد بن قاسم بن سيار القرطبي	**138**
بقيّ بن مخلد بن يزيد أبو عبد الله الرحمن القرطبيّ الأندلسيّ	**138**
حبيب بن الوليد بن حبيب	**139**
عبّاس بن ناصح الثقفي	**139**
يحيى الغزال	**140**
ارتحال علماء المشرق إلى الأندلس	**143**
عبد الرحمن بن معاوية الداخل	**143**
زرياب	**144**
أبو اليسر ابراهيم بن أحمد الشيباني	**147**
فضل المدينة	**147**
طريقة التعليم عند الأندلسيين	**148**
اليهود والنصارى في الأندلس	**152**
اليهود	**152**
النشاط اللغوي والأدبي لليهود في الأندلس	**153**
النشاط الفكري والعلمي لليهود في الأندلس	**156**
النصارى	**158**
التراث الثقافي للنصارى	**160**
التأثيرات الدينية	**162**
بيت الحكمة البغدادي	**165**
الخاتمة	**168**
ملخص باللغة الإنجليزية	**171**
قائمة المصادر والمراجع	**172**

ملخص الرسالة

يُعدّ تاريخنا الإسلاميّ حافلًا بالكثير من وجوه الإبداع الحضاريّ، التي من شأنها أن تضيء الكثير من الزوايا المظلمة في تاريخ الحضارة الإسلاميّة، فقد كان للمسلمين عَبْرَ تاريخهم الطويل نشاط مشرِّف في ميادين الحضارة المختلفة، وانبثق عن ذلك النشاط الكبير كيان حضاريّ عظيم أسهم في تقدم البشرية نحو الأفضل، فقد كان للأندلسيّين– فترةَ الإمارة الأموية– دور كبير وجهد واضح وعميق في الاهتمام بميادين الحضارة بشكل عامّ، وميدان الحياة العلمية بشكل خاصّ، فالعلوم المختلفة من علوم دينية كالحديث ، والتفسير، والفقه، ووجود مذاهب كالمالكي– الذي احتلّ الصدارة في تفكير الأندلسيين وحياتهم، وبالتالي أصبح المذهب الرّسميّ للبلاد في تلك الفترة– إضافة إلى المذهب الظاهري، وغيرها من المذاهب الأخرى التي نالت اهتمامًا وعنايةً، ممّا كان لذلك أكبر الأثر في تقدم الأندلس والرُّقيّ بها خطوات ملحوظة إلى الأمام، إضافة إلى نبوغ الأندلسيين في جوانب مختلفة من العلوم الأخرى كالعلوم الطبيعية ومن أمثلتها الطّبّ ، والصيدلة، والكيمياء، والعلوم الإنسانية كالتاريخ والجغرافيا، وغيرها الكثير.

فأضحت الأندلس – فترة الإمارة– الأموية منارة من منارات العلم والمعرفة، ممّا كان لذلك أكبر الأثر في تحقيق التقدم الفكريّ والرّقيّ الحضاري، وذلك يعود إلى رعاية الأمراء الأمويّين للحركة العلمية ، وتشجيعهم للعلم والعلماء، إضافة إلى أنّ الرّحلات العلمية وما نتج عنها من تبادل ثقافيّ واسع كان له تأثير كبير على تقدم البلاد ، واتساع نطاق المعرفة وعدم اقتصارها على علوم محددة، كما أنّ التسامح الدينيّ أعطى الفرصة لليهود والنصارى للاستفادة من الحركة العلمية في الأندلس، إضافة إلى إسهام بيت الحكمة البغدادي في رفد الحركة الثقافية في الأندلس بفعل الروابط والاتصالات الثقافية بين حضارتي بغداد وقرطبة.

"**بسم الله الرحمن الرحيم**"

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله، عليه أفضل صلاة وأتمّ تسليم، وبعد:

فقد كان للأندلسيّين جهد واضح ، ونشاط مشرِّف في ميادين الحضارة المختلفة، حيث شهد القرن 3هـ/ 9م في الأندلس ازدهارًا حضاريًا في العديد من وجوه النشاط الإنسانيّ ، ومنها – بطبيعة الحال– الميدان العلميّ، فمنذ دخول المسلمين الأندلس حتى انتهاء عصر الإمارة، لوحظ أنّ العلوم والآداب حظيت باهتمام وعناية بالغيْنِ ، وبالتالي كانت مقدمة للازدهار الحقيقيّ الذي شهده عصر الخلافة فيما بعد، حيث غدت الأندلس منارة من منارات العلم الرائعة ، فقد بلغ الأندلسيّون درجة رفيعة من التطور الحضاريّ والازدهار العلميّ ، وأثبتوا فيه قدراتهم العلميّة المتفوقة.

وبناء على ما تقدم، فقد كان عصر الإمارة هو محور الدراسة في هذا البحث، والذي امتدّ منذ إعلان عبد الرحمن الداخل الإمارة سنة(138هـ/755م)، وحتّى(316هـ/928م).

- **أسباب اختيار الدراسة:**

لم يحظ ميدان الحياة العلمية بالدراسة والبحث الكافييْن ، إذ انصرف الكثير من الباحثين إلى دراسة الأحوال السّياسّية في فترة ما، أو الكتابة عن عصر أمير أو خليفة، فأكثر ما كُتِبَ عن الحياة العلميّة والأدبية يتمثّل فيما أخرجه الباحثون من دراسات أدبية **كالأدب الأندلسيّ من الفتح حتى سقوط غرناطة** لأحمد هيكل، و**الأدب (موضوعاته وفنونه)** لمصطفى الشّكعة، وقُدِّمت بعض الدراسات حول الحضارة الأندلسيّة والبحث في وجوهها المختلفة بوجه عام ككتاب **الحضارة الإسلاميّة في الأندلس** لعبد الرحمن الحجّي.

لذلك فإنّ ميدان الحياة العلمية في الأندلس لم يستوفِ حقّه من البحث والدراسة ، لذلك اتجه اهتمام الباحثة إلى دراسته على النحو الذي سأوضحه لاحقاً.

فقد كنت في دراستي للتاريخ الإسلاميّ أميل إلى ما يختصّ فيه بالأندلس، ذلك القطر العزيز على نفس كلّ مسلم ، يُكِنّ لتاريخ أمته كلّ ولاء وتقدير، ونظرًا لأنّ ميدان العلم هو الوجه المشرِّف للحضارة الإسلامية في الأندلس وبه تجلّى فضلهم وإبداعهم، وكانوا به في موقف العطاء والبذل والمشاركة في بناء الحضارة الإنسانية ، لهذا كلّه تعمّقت الرغبة ورسخ الميل في النفس نحو البحث والدراسة في هذا الحقل الدراسي المهمّ.

- **فصول الدراسة:**

وفيما يتعلّق بالبحث وتبويبه، فقد كان لطبيعة المادة العلمية وتوفّرها أثر في تشكيل خطّة البحث، حيث بدأ البحث بتمهيد عن الحياة العلمية في إسبانيا قبل الفتح، وذلك لتتّضح الرؤية عن حقيقة ما سبق عصر الإمارة من نشاط علميّ وما قيمته كنواة طيبة لما تمّ بعد، ولكن يبدو أنّ تلك الفترة لم تكن غنية بالعلماء والأدباء، فقد كانت فترة تأسيس وفتوحات ، ولم تحظَ العلوم المختلفة باهتمام يذكر.

وبعد هذا التمهيد نأتي إلى موضوع الحياة العلمية في عصر الإمارة ، وينقسم إلى ثلاثة فصول:

تناول الفصل الأول الحديث عن العلوم الدينية في عهد الإمارة الأموية، حيث قُسّمت هذه العلوم إلى عدّة أقسام، منها: علم الحديث الذي كان في مقدمة العلوم التي درسها الأندلسيّون، وعلوم القرآن كالتفسير، والعلوم الفقهية كالمذهب الأوزاعيّ، والمالكيّ، والظاهريّ، إضافة إلى المذاهب الإسلامية من خوارج، وشيعة، وغيرها الكثير.

أما الفصل الثاني، فقد تضمّن الحديث عن العلوم الطبيعية والإنسانية، فقد قُسّمت العلوم الطبيعية إلى ثلاثة أقسام وهي: الطّبّ والصيدلة،الفلك والرّياضيات، الكيمياء، أما العلوم الإنسانية فقد شملت الشّعر، والنحو، والنثر، إضافة إلى الحديث عن التاريخ، والجغرافيا، والفلسفة.

وخُصِّص الفصل الثالث للحديث عن تطور الحركة العلميّة في عهد الإمارة الأموية في الأندلس، من خلال الحديث عن دور الطبقة الحاكمة في رعاية الحركة العلمية بتشجيعهم المستمرّ للعلماء، إضافة إلى الحديث عن الرّحلات العلمية بشقّيها سواء من المشرق إلى الأندلس، أو من الأندلس إلى المشرق، حيث أثمرت هذه الرّحلات وآتت أُكُلَها بشكل كبير على سكّان الأندلس بتفتّح عقولهم، وتوسُّع مداركهم، وتمّ الحديث عن طريقة التعليم عند الأندلسيّين، ودور اليهود والنصارى

في تغذية الحركة العلمية، وبيت الحكمة البغدادي، باعتباره حلقة وَصْلٍ بين الحضارتين بغداد وقرطبة.

وحوت الخاتمة خلاصة ما توصّل إليه البحث من نتائج، ثمّ قائمة ثبت المصادر والمراجع، وملخّصًا لها باللغة الإنجليزية.

وأودّ في هذا المقام أن أسير على نهج السلف الصالح، فأقول: "إن أحسنتُ فمن الله عزّوجلّ، وإن كان غير ذلك، فإنّ صفة الإنسان النقصُ؛ فالكمالُ لله وحده".

- **الدراسات السابقة:**

لم تنفرد الدراسات التاريخية في البحث حول الحياة العلمية في عهد الإمارة الأموية في الأندلس على صعيد الرسائل الأكاديمية، أو المؤلفات التاريخية المختلفة، القديمة منها والحديثة.

وإن ذكرت بعض المصادر جوانب عن الحياة العلمية في تلك الفترة ، إلا أنها جاءت من خلال السياق العام، ولم تتناولها بشكل منفرد، ومن هذه المؤلفات كتاب" **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**" للمقري التلمساني، وكتاب "**تاريخ علماء الأندلس**" لابن الفرضي.

وتناولت بعض الكتب العلميّة عصورًا مختلفةً من الأندلس كعصر الإمارة ، ولكنّها لم تتناول –بشكل متخصّص– الحياة العلمية في عهد الإمارة الأموية في الأندلس، ومن هنا تأتي أهمّية الدراسة بوصفها الدراسة العلمية الأولى المختصّة، لتكون الحلقة مكملة لهذا التسلسل التاريخيّ للنواحي العلميّة.

- **منهجيّة البحث:**

تم الاعتماد في هذه الدراسة على منهج البحث التاريخيّ الوصفيّ والتحليليّ، للحصول على المعلومات من مصادرها المتنوّعة، ومن ثمّ نقد وتمحيص لهذِه المعلومات ودراستها بشكل علميّ

للوصول إلى نتائج جديدة تثري التاريخ ؛ وذلك من أجل معرفة حجم هذه المعرفة العلمية في فترة الإمارة الأموية، ومدى تأثيرها على جوانب الحياة المختلفة.

- **صعوبات الدراسة:**

تُعدّ الدراسات المتعلّقة بالحضارة من أشقّ ما يعرضُ له الباحث، وذلك عائد إلى ندرة المادة العلمية المتصلة بموضوعه، فإنّ موضوعًا كموضوع الحياة العلميّة في عصر الإمارة يكاد يستند في معلوماته إلى كتب التراجم والطبقات ، وكما هو معلوم فإنّ هذه الكتب تضمّ المئات؛ بل الآلاف من التراجم لعلماء الأندلس في مختلف العصور، وهذا – بلا شكّ – يجعل الباحث أكثر دقّة في تتبّع سير العلماء الذين عاصروا الفترة المنويَّ دراستُها، لأنّ ذلك لا يتمّ إلا بمعرفة تاريخ ميلاد كلّ منهم ووفاته، وارتباطها بذلك العصر، كما أنّ كتب التراجم الأندلسيّة إلى جانب ما تتصف به من إيجاز في الكثير من التراجم ، تكاد تكون مادتها العلمية منصبّة على علماء الدين، وعدد من علماء اللغة وأهل الأدب ، ممّا دعا الباحثة إلى التنقيب عن جهود العلماء الآخرين في فروع العلوم الأخرى من رياضيات، وطبّ، وتاريخ، وجغرافيا، في كتب الطبقات المختصّة بكلّ علم.

وكان للمنهج الذي سار عليه أغلب المؤرّخين المسلمين من التركيز في كتاباتهم على الجانب السياسيّ والعسكريّ أثره في ندرة الكتابة عن وجوه النشاط الحضاريّ، ومن بينها النشاط العلميّ.

- **تحليل المصادر:**

- **تاريخ علماء الأندلس** لابن الفرضي (ت403هـ/1012م) وهذا الكتاب بما يضمّه من تراجم كثيرة لعلماء الأندلس يُعدّ من أهمّ ما رجعتُ إليه في استعراض جهود العلماء في حقول المعرفة المختلفة، ولكنّ الغالب فيما ضمّه الكتاب من تراجم كان منصباً على علوم الدين من فقه، وحديث، وغيرذلك، وترجع أهمّية الكتاب في معاصرة المؤلّف للكثير من العلماء الذين ترجم لهم، ولهذا فما أورده عنهم من معلومات، فإنها تتسم بالصدق؛

لأنها أتت عن طريق المشاهدة والمعاينة، فقد اعتمد ابن الفرضي في تأليفه لذلك الكتاب على الكثير من الكتب التي فُقدت ولم تصل إلينا ، وهو بذلك حفظ لنا نصيبًا ممّا ضيعه الزمن، ولا شكّ أنّ هذا فيه دلالة على أهمّية الكتاب وقيمته.

- **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس** للحُمَيدي (ت 488هـ/1095م) تميّز الكتاب بأنه أكثر تنوّعًا في تراجمه، حيث لم يقصره على أهل الحديث والفقه، بل تعداه إلى تراجم أهل الأدب والشعر، موردًا في ثناياه الكثير من طرائف الأخبار ونوادر الأشعار، ولهذا فإنه يلاحظ على ذلك الكتاب مسحة من الأدب، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من بيت أو أبيات شعر، وتبرز شخصيّة الحُمَيدي العلميّة من خلال ما ضمّه ذلك الكتاب من معلومات قيّمة عن علماء الأندلس، وقد استفدت من ذلك الكتاب في الكثير من تراجم العلماء في مختلف تخصّصاتهم العلمية.
- **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس** لابن عذارى المراكشي ، فَعلى الرّغم ممّا غلب على الكتاب من السّرد التاريخيّ للأحداث السياسيّة والعسكريّة إلا أنه حوى معلومات في غاية الأهميّة عن الناحية العلميّة.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** للمقري التلمساني(ت1041هـ/1116م) ، وهذا الكتاب يعدّ في مقدمة المصادر التي أمدّت الباحث بالكثير من المعلومات المهمّة المتعلّقة بالحياة العلمية ، فمؤلّف الكتاب اعتمد في تأليفه على كتب مَنْ سبقه منَ المؤرّخين، الذين ضاعت مؤلفاتهم بمرور الزمن، فكتابه يمثل سجلاً حفظّ الكثير ممّا ضاع، بالإضافة إلى أنّ الكتاب بحجمه الكبير يُعدّ موسوعة تاريخية في تاريخ الأندلس وحضارتها.

ونظرًا لتنوع النشاط العلميّ وتعدد حقول المعرفة من شريعة، وأدب، وتاريخ، وطب ، فقد لجأت الباحثة إلى كتب الطبقات التي يختصّ كلّ منها بفئة من العلماء كالأطباء والأدباء مثلًا، ومن تلك الكتب:

- **طبقات الأطباء والحكماء** لابن جلجل الطبيب الأندلسي، وقد ألفه سنة (377هـ/987م)، ويعتبر كتابه من أهمّ الكتب المتعلّقة بتراجم الأطباء، وتزداد أهمّيته فيما يتعلّق بالنهضة

العلمية في الأندلس، وتراجم أطبائه، والكتاب نفسه يُعدّ شاهدًا على رُقيّ الحركة العلمية في ميدان الطّبّ.

- **طبقات النحويين واللغويين** لأبي بكر الزبيدي (ت 379هـ/989م) وقد أفادت منه الباحثة فيما يتعلّق بالحديث عن النحو، واللغة، ودور الأندلسيّين في ازدهار تلك العلوم .

هذه هي أهمّ المصادر التي رجعت إليها الباحثة ، ولكنّ هناك الكثير من المصادر التي تم الاعتماد عليها في كتابة البحث، فأسهمت بقدر كبير في إنجازه وإخراجه بالصّورة التي هو عليها الآن ، ويجدها القارئ مثبتة في قائمة المصادر والمراجع الملحقة في آخر البحث.

وبالإضافة إلى المصادر فقد تم الاعتماد على الكثير من المراجع العربية والأجنبية ومن أهمها:

- "**المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**" ليوسف دويدار ، فاحتوى قسماً للحركة العلمية، وتتبع نشاطها ، كذلك كتاب "**دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**" لأحمد العبادي.
- رسالة ماجستير **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس** لسعد الله البشري، فقد احتوت على معلومات قيمّة عن الحياة العلمية في الأندلس– فترة الإمارة الأموية – ولكن كان يغلب على هذه المعلومات طابع الإيجاز ؛ لأنها كانت تمهيدًا للبدء بموضوع الحياة العلمية في عصر الخلافة.

ومن المراجع الأوروبية التي تم الاعتماد عليها في كتابة البحث كتابان ،هما:

–Haim Beinart,Cordoba,Encyclopedia judaica.

- –Jacor Mann,Texts And studies In Jewish History and literature.

تمهيد:

الحياة العلمية في إسبانيا قبل الفتح:

كانت شبه الجزيرة الإيبرية – إسبانيا والبرتغال – قبل الفتح الإسلامي تحت حكم القوط[1] الغربيين، وقد بدأ احتلال القوط لها في أوائل القرن الخامس الميلادي، بعد طردهم للوندال إحدى القبائل الجرمانية المتبربرة، واستبدّ القوط بالحكم، لاسيّما قبل الفتح الإسلامي، فكان عصر القوط عصرًا مشحوناً بالفوضى، والاضطرابات،وأصاب المدن اضمحلال عام نتيجة لاضطراب أمور الدولة ،وعدم الإحساس بالأمن، وأخذت بعض مدن شبه الجزيرة الإيبرية تضمحل، وتتحوّل إلى مدن صغيرة، بل إنّ بعضها تحول إلى قرى ،وحصون، واختفى البعض الآخر[2]والسبب في ذلك هو شمول البلاد بالفوضى ،والاضطراب، إضافة إلى فساد المجتمع الإسباني القائم على نظام الطبقات ،والحقيقة أنّ القوط عندما فتحوا إسبانيا لم يغيروا شيئاً كثيراً من أحوال المجتمع، حيث ظلت الارستقراطية الرومانية القديمة في عهدها من الغنى والسيطرة على الناس، وظّل الأحرار من أهل المدن والتَجَار وأصحاب المزارع الصغيرة يعيشون تحت رحمة الأقوياء[3]، بينما بقية أهل البلاد رقيق أرض أو عبيد يتعبون ويعملون لصالح الطبقة الأقلية الغنية المسيطرة، فلم تنعم البلاد في ظلّ هذا الحكم بالطمأنينة والرخاء، لأنّ العصر كلّه كان اضطراب وفوضى في أوروبا كلّها، لا في إسبانيا وحدها، فكان الشّعب يُستغلّ لصالح الطبقة الحاكمة، إضافة للصراع الذي وجد بين الطبقات والحاكمين، وما بين الحاكمين أنفسهم[4].

والشّعب الإسباني مثل غيره من الشّعوب الأوروبية قُسّم إلى طبقات عديدة وهضمت حقوقها مع وجود الفوارق الطبقية. والأسرة الملكية كان بيدها كلّ شيء، بينما الشعب لاقى الظلم ، والاضطهاد،[5] ففُرضت علية الضرائب المختلفة ؛ لهذا فإنَ طبقات المجتمع الإسباني قبل الفتح الإسلاميّ كانت تتكوّن من طبقة

---

[1] القوط: من القبائل الجرمانية الذين رحلوا من أعالي الهند إلى أوروبا، طلباً للمرعى والمعاش، وأقاموا في بوادي أوروبا، وقيل أنهم من عجم رومة ودار ملكهم ماردة، المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،1\140، زيدان، جرجي، **فتح الأندلس**، 13.

[2] عملت قبائل القوط الغربيين الأقوياء عندما زحفوا إلى البلاد ، على طرد قبائل الوندال للجنوب، وفي أثناء تراجع الوندال كانوا يخربون ما بقي من حضارة في شبه الجزيرة، وبالتالي تتحول المدن إلى قرى وحصون، واستمر الوضع هكذا حتى سيطر القوط الغربيين في عهد الزعيم واليا، حسين، مؤنس، **فجر الأندلس**، 15–17.

[3] حتاملة، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، 1027–1028.

[4] السامرائي، خليل، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، 15.

[5] سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، 63–65، الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، 29–31.

النبلاء وهي الطبقة الحاكمة، و طبقة رجال الكنيسة التي تشارك النبلاء في حكم البلاد والاستمتاع بخيراتها، إضافة إلى طبقة التّجّار ،والزّرّاع ،والمُلّاك الصغار ،الذين تحملوا كافة الضرائب، ثم طبقة عبيد الأرض الذين كانوا يتبعون مالك الأرض وينتقلون مع ملكيتها من سيد إلى آخر، ولا ننسى طبقة العبيد التي تكونت من أسرى الحرب، وكان هذا السّيّد يتصرف فيهم بيعاً وشراءً ولم ينالوا أي نوع من الحقوق وهذا ما عرف بنظام الاقطاع.[1]

إلى جانب هذه الطَبقات وُجد اليهود الذين لاقوا الاضطهاد، ويتبيّن ممَا سبق أنّ إسبانيا قبل الفتح الاسلامي كانت تعاني من الاضطراب ،والفساد الاجتماعيّ ،والضعف الاقتصادي[2].

أما الحياة العلميّة في إسبانيا قبل الفتح الاسلاميّ، فلم تشهد التطوّر المنشود على الرّغم من وجود بعض المعارف التي لا ترقى إلى التطوّر والعلم، إلا أنّ الفينقيين، واليونان ،والرومان، كان لهم أثر في وضع إسبانيا في سُلّم العلم والمعرفة، ثمَ جاءت المسيحية وسارت بالناحية العلمية خطواتٍ ملحوظة للأمام، فأكبر شخصيات هذا العصر مكانةً وأبقاها أثراً في مستقبل البلاد العلمي هو القديس(إيزودور الإشبيلي) "ISIDORDE SEVIILA" فهذا لم يكن قوطياً، وإنما كان من الإيبريين الرومان، ولم يكن كاتباً دينيا فقط ،بل مصنّفاً موسوعياً حاول أن يجمع في كتبه كلّ ما انتهى إليه من علوم اليونان، والرومان، معدّلاً ذلك تعديلاً مسيحياً، وهو يُعّد من كبار الكُتّاب والمفكّرين المسيحيين[3]، بل كان من آباء الكنيسة ،وأشهر كتبه كتاب" أصول الكلمات" وربّما وجدنا فيما يورده من أصول الكلمات أشياء أسطورية دينية لا يقبلها العقل، ولكنّ الكتاب عبارة عن موسوعة أخلاقية تضمّ ثروة عظيمة من الأفكار اليونانية والفلسفة المسيحية الأولى، وهو يعالج مجموعة من الموضوعات من نحو، وبلاغة ،وحساب ،وهندسة وغيرها؛ فكتابه يُعدّ موسوعة غنية بكل غريب ،وطريف، وهذا يدلّ على أنّ جميع المعارف الإنسانية التي كانت معروفة في ذلك الحين كانت موجودة متدارسة في إسبانيا، وأنّ العرب حينما دخلوا البلاد وجدوا فيها تراثاً ثقافياً طيباً[4]، فشيوع الأساطير في تلك الفترة والخرافات كان أمرًا شائعًا بالرّغم من وجود المبالغات في تلك الأساطير[5]

---

[1] مؤنس، حسين، **فجر الأندلس**، 35-36.

[2] سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ،64-65، مؤنس، حسين، **فجر الأندلس**، 35-36.

[3] مؤنس، حسين، **فجر الأندلس**، 35-36.

[4] نفسه،36، سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، 63-65.

[5] طربية، جورجيوس، **الوجدية وأثرها في الأندلس**، 115.

فمثلاً هناك العديد من الأساطيرالأخلاقية والدينية التي تتعلّق بالصراع بين العرب والإسبان، كأسطورة إيزابيلا والعذراء الفارسية[1]، وأسطورة شنت ياقب.[2]

ونجد أيضاً إلى جانب إيزودور عدداً من القساوسة، والرهبان الذين تركوا مؤلفات شتّى، فمنهم باولوس أوروزيوس، ولم يكن إسبانيّ الأصل، إنما صقيلياً وهو من تلاميذ أوغسطين أسقف بوته، أخذ عنه العلم وتشبّع بآرائه ولهذا نجده يكتب على غراره ، ويهاجم الوثنية ويدعو إلى الله ، وقد حاول تقليد سنت أوغسطين في كتابه "مدينة الله" Civitate Dei ، ونلاحظ أنّ هذا التشابه في التاريخ العالمي الذي كُتب تحت اسم (Historiarum libri vii Contrapaganos) الذي يفسّر فيه التاريخ تفسيراً دينياً مسيحياً، ويصوّر من خلاله العناية الإلهية توجّه أعمال البشر والرسل يقودون الناس إلى أحسن مصير[3].

يجدر بنا أيضاً الإشارة إلى أنّ المؤلّفات في اسبانيا لم تكن في النواحي العقلية والفكرية، إنما اقتصرت على علوم الدين، وبعض الكتابات التاريخية، واشتهر في علوم الدين Sanleandro الذي كتب ضدّ الأريوسية، و Sanlddefenso، الذي ألف كتاباً عن مريم العذراء، و Tajon أسقف سرقسطة، و SanEugenio الطّليطلي، وعلى رأسهم جميعاً يأتي San Lsidoro الذي لمع في الكثير من الموضوعات، وكان يتبوّأ أعلى رتبة في الكنيسة القوطيّة، وفي التاريخ كتب كلّ من SanIsidorohgl، كما كتب Idacio و Sanjuande و Bictara و Sanjulian مؤلّف (تاريخ ثورة Paulo) وآخرون[4] .

وفي الشّعر عُرف شعراء، مثل Draconcio مؤلف قصيدة Dedeo و Orencio و San Braulio، ومن الخطباء عرف SanIsidoro و San Braulio ، ويلاحظ تعدّد الأسماء نفسها في الخطبة والشعر، وذلك ليكون واضحاً للقارئ أنّ الحياة الفكرية في تلك الفترة كانت غنية[5] .

---

[1] تتطلق هذه الأسطورة من أساس تاريخي وهو الصراع بين الإسبان والعرب، أو ما يسمى بحروب الاسترداد، وهذه الأسطورة تتحدث عن النساء، فأضفي عليها طابع ميتولوجي، فظهرت إيزابيلا في هذه الأسطورة بمظهر المدافعة عن الديانة النصرانية ضد الذين اغتصبوا الأراضي الإسبانية، وتحصنوا بأمنع الأسوار، وعندما أحست الأمبراطورة بصعوبة الموقف تدخلت العذراء الفارسية لتحقق لها الانتصار، **الوجدية وأثرها في الأندلس**، 99-100.

[2] شنت ياقب هي مدينة إسبانيا المقدسة، وياقب بلسان الإسبان هو يعقوب، وقد كان أسقفاً في بيت المقدس، فعمل مبشراً في مختلف البلدان حتى وصل إلى إسبانيا، ومن بعدها توجه إلى الشام، وبعد وفاته نقلت رفاته إلى الكنيسة الإسبانية ، طربية، جورجيوس، **الوجدية وأثرها في الأندلس**، 96.

[3] مؤنس، حسين، **فجر الأندلس**، 35.

[4] حتامله، محمد، **إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين**، 264-265.

[5] نفسه، 264-265.

يتضح لنا ممَا سبق أنَ إسبانيا القوطية لم تتطور في النواحي العلمية، ولم يكن لها الحظّ الوافر من العلوم، ويرجع ذلك إلى أنّ القوط ليسوا إلا قبائل تغلب عليها البداوة، وهذا لم يساعدهم على تنظيم إسبانيا والنهوض بها ، إلا أنّ العلم والمعرفة في هذه الفترة اقتصر على بعض سُكّان إسبانيا الأصليين كأيزودور[1].

وقد سبقت إسبانيا المسيحية أوروبا الغربية في هذه الناحية، كما ستسبق إسبانيا الإسلامية بقية العالم الإسلامي في نواحٍ مختلفة من نواحي التفكير الإسلامي، ويبدو أنّ إيزودور الإشبيلي أحسّ بفضل الوطن الإسباني على ما حصل عليه من ذكاء ،وعلم، فعبّر عن شكره لإسبانيا قائلاً: " أي إسبانيا إنما أنت أجمل الأرضين التي تمتد من أقصى الغرب حتى الهند، إنك لأرض مباركة سعيدة بأمرائك ! إنك أمّ لشعوب عديدة، وأنت ملكة الولايات أجمعين .... منك يقتبس الغرب والشرق النور،....الخ" [2]

وفيما بعد في عصر الولاة أيضاً لم نستطع معرفة مدى التقدم العلمي الحاصل في تلك الفترة، وذلك بسبب إغفال المصادر الحديث عن الحياة والمؤسّسات والمراكز العلمية و التعليمة في تلك الفترة، نظراً لاعتبارها فترة تأسيس وفتوحات، وقد مورست بعض الأنشطة، ولكن على نطاق شخصيّ أو في حدود ما شهدته المساجد من نشاط علمي محدود[3]، فانعكست الاضطرابات التي مرت بها الأندلس[4] في هذه الفترة على جميع الأحوال فيها ،وتأثرت أحوال المسلمين بالأحداث التي مرّت بها البلاد، ولا سيما عندما توالت الاضطرابات، فكان أن تركوا أراضيهم ممّا أدى إلى خراب تلك الأراضي، فقلّت الأقوات، وانتشرت المجاعات في تلك الفتره[5].

فبالرغم من وجود الاضطراب والمنازعات قبل الفتح الإسلامي إلا أنه كان هناك بوادر صغيرة لنهضة ثقافية لم تظهر بشكل واضح إلا في عصر الإمارة الأمويه منذ عام (138هـ/ 755م)، ففي هذه الفترة بدأت بوادر الحركة العلمية تظهر بشكل واضح، فظهر العديد من العلماء في كافة المجالات سواء الدينية، أو الفلسفية أو غيرها من المجالات المختلفة، وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد[6].

---

[1] مؤنس، حسين، **فجر الأندلس**، 36.

[2] سالم، عبد العزيز، تاريخ **المسلمين وآثارهم في الأندلس**، 63-65، مؤنس، حسين، **فجر الأندلس**، 36.

[3] اشتيوي، أشرف، **الأندلس في عصر الولاة**، 183-185.

[4] مصطلح الأندلس مأخوذ من اسم قبائل الوندال vandals التي تعود إلى أصل جرماني، احتلت شبه الجزيرة الإيبرية حوالي القرن الثالث الميلادي وحتى الخامس الميلادي، وسميت باسمها vandalusa أي بلاد الوندال، ثم نطقت بالعربية الأندلس، ومدلول هذه الكلمة يعود إلى كل شبه الجزيرة الإيبرية إسبانيا والبرتغال ، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 32.

[5] اشتيوي، أشرف، **الأندلس في عصر الولاة**، 183-185.

[6] سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، 65.

الفصل الأول

العلوم الدينية في عهد الإمارة

من الواضح أنَ نشأة العلوم في المجتمعات الإسلاميّة المختلفة كانت متقاربة أو متشابهة، حيث بدأت بذرة صغيرة، ثم ما لبثت بفعل العناية والاهتمام أن نمت وازدهرت، وهذا ما حدث في المشرق عامة، والأندلس خاصّة، فقد جاء الإسلام ووضع بذور العلوم الدينية، بالإضافة للعلوم الأخرى، وبعدها تمّ الاتصال بالأمم ذات الحضارة ، فاقتبس المسلمون من علومها، وترجموا بعض كتبها للعربية، وصحّحوا فيها وأَضافوا إليها، حتى أخرجوا بعد ذلك نتاجاً جديداً من العلم ،والثقافة، وهذا ما بدا واضحاً منذ انتقال الصحابة والتابعين إلى الأندلس مع الفتح وبعده[1]، وكان هؤلاء –إلى جانب كونهم جنوداً فاتحين– حملة علم، ومعرفة ،ومثّلوا الركيزة الأولى في العلوم الدينية ،والعربية، ولكن الأمور لم تستقرّ إلا في عهد الإمارة الأموية (138هـ–316هـ)(755–928م)؛ لأنّ ما سبقه كان عهد الولاة الذي غلبت علية الثورات والفتن، بالرّغم من وجود عددٍ من العلماء ،وقُسِمّت العلوم الدينية في عهد الإمارة إلى عدّة أقسام ومنها:–

أ–علم الحديث:

منذ بداية اشتغال الأندلسيين بالعلوم، نجد أنّ علوم الدين، وخاصّة علوم الحديث قد احتلّت الصدارة في نشاطهم العلمي، وكان علم الحديث في مقدمة العلوم الدينية التي درسها الأندلسيون حيث أقبلوا على دراسة الحديث، وجمعه، وترتيبه، و للمشرق فضل كبير في هذا المجال، فللرحلات العلمية التي قام بها علماء الحديث إلى المشرق دور كبير في نهضة علوم الحديث، ونشاط الدراسات في الأندلس، فقد كان علماء الحديث من أكثر الناس رحلة في طلب العلم، وكانوا كثيراً ما يلاقون المشقات في سبيل البحث عن طائفة من الأحاديث، وربما عن حديث واحد[2]،وأظهروا الصبر والجلد مقابل ذلك، ومن خلال ذلك استطاع الأندلسيون أن يبرهنوا ويظهروا قدراتهم الواسعة في تناول هذا العلم بالدراسة، والبحث[3]، وقدموا في سبيل ذلك إنجازاتٍ مهمّةً وقد عُرِف عن علماء المسلمين الأوائل تنوّعُ معارفهم وتشعّب مهاراتهم في أكثر من علم، فعلم الحديث في الأندلس ازدهر ونما واشتغل به كثيرون[4] حيث قيل "ورواية الحديث عندهم رفيعة

---

[1] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 405–406.

[2] نفسه، 405–406.

[3] فروخ، عمر، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 587.

[4] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 1\142–144.

"[1]ومن هؤلاء صعصعة بن سلام الشامي[2] تلميذ الإمام الاوزاعي، حيث كان أول من أدخل الحديث للأندلس[3]، بالاضافة لبقي بن مخلد[4] الذي كان من حُفّاظ الحديث وأئمة الدين، والزّهّاد ،والصالحين، إضافة إلى أنه برع في علوم عدّة، منها الحديث، والفقه[5]، والتفسير[6]، وقد أدخل بقيّ للأندلس مصنف أبي أبي بكر بن أبي شيبة كاملاً، وأدخل أيضاً العديد من المصنفات الأخرى فكان أول من أدخلها ككتاب الفقه لمحمد بن إدريس الشافعي، وكتاب التاريخ وكتاب الطبقات لخليفة بن خياط ، وسيرة عمر بن عبد العزيز للدروقي، فبقيّ يُعدّ من أشهر علماء الحديث في ذلك الوقت، والسبب في ذلك إدخاله الكثير من المصنفات المفيدة للأندلس ، كما أن بداية الانتشار الحقيقي للحديث في الأندلس كانت على يديه ، وبناء على ذلك، فإنّ بقيّ هو رائد الحركة العلميّة في ميدان البحث ودراساته المختلفة التي أثمرت وأينعت ،وممّن برع في الحديث محمد بن وضّاح بن بزيع[7] ولد عام (190هـ/805م) وهو مولى للأمير عبد الرحمن بن معاوية، وكان نِداً قوياً لبقيّ في ميدان البحث وتُوفّي عام(278هـ/891م)[8].

---

[1] الضبي، أحمد، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، 245.

[2] صعصعة بن سلام الشامي، يكنى أبا عبد الله، يروي عن الأوزاعي، وعن سعيد بن عبد العزيز، وكانت الفتيا دائرة عليه بالأندلس أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وصدراً من أيام هشام بن عبد الرحمن، وولي الصلاة بقرطبة، توفي عام 192هـ، وروى عنه عبد الملك بن حبيب وعثمان بن أيوب، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 278/1.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،2\264.

[4] بقي بن مخلد من أهل قرطبة، ويكنى أبا عبد الرحمن، سمع من محمد بن عيسى الأعشى، ومن يحيى بن يحيى، رحل إلى المشرق فلقي جماعة من أئمة المحدثين، ويعد من أوائل الأشخاص الذين نشروا الحديث في الأندلس، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 142/1-145.

[5] المراكشي، عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 40.

[6] رحل إلى المشرق فروى عن الأئمة، وأعلام السنة، وممن روى عنهم أبو عبد الله أحمد بن حنبل، وأحمد بن ابراهيم الدروقي، في الحديث له مصنف رتبه على أسماء الصحابة، ويذكر أنه روى عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه الكبير، وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند، وهذه الرتبة لم تكن لأحد من قبله مع ثقته وضبطه، واتقانه، فأنه روى عن مائتين وأربعة وثمانين رجلاً ليس فيهم عشره ضعفاء وسائر أعلامهم مشاهير[6]، وكان الأمير المنذر بن محمد، شديد الإعظام لبقى بن بن مخلد حيث أنه دخل عليه يوم البروز في المصلى ،فمنعه من تقبيل يده ، وأجلسه على جانب فراشة على رؤوس الناس، وكان له : خاصة وصنيعة قبل ولاية الملك، وكان قد قدم إليه بقى البشرى بالخلافة، فلما صارت إليه الخلافة وفى له ،ومن مظاهر اكرام المنذر لبقي بأنه لما عزل سليمان بن أسود عن القضاء أمر في بقي، فعرض عليه القضاء، ولكن بقي امتنع وذهب المنذر إلى استكراهه على ذلك، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 142/1-145،ابن خلدون، عبد الرحمن ، **المقدمة**، 410

[7] محمد بن وضاح بن بزيع من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، روى بالأندلس عن محمد بن عيسى الاعشى، ومحمد بن خالد الأشج، ويحيى بن يحيى ، ورحل إلى المشرق رحلتين، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،25/2.

[8] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 16/2.

ومن المحدثين قاسم بن ثابت بن حزم ولد(225هـ/839م[1])، ووصف كتاباً في شرح الحديث أسماه "الدلائل"[2] وقال عنه أبو علي القالي " لم يُؤلّف بالأندلس كتاب أجمل من كتاب قاسم في شرح الحديث"، وتُوفَي(302هـ/914م)،وكذلك قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح بن عطاء[3] ولد(244هـ/858م)، وهو من أهل قرطبة ويعرف " بالبياني" ومن شيوخه" أبو عبد الله الخشني"[4]وبقي بن مخلد " ومحمد بن وضاح[5]" وممّن عاصره محمد بن عبد الملك بن أيمن[6] من أهل قرطبة صاحب كتاب كتاب السنن، وتوفي في عام(340هـ /951م).[7]

غير أننا نجد مُحدّثاً فقيها مشهوراً دخل الأندلس من عام(123هـ/740م)، واستقرّ في مالقه[8]، ثمّ انتقل إلى إشبيلية[9]، وهو معاوية بن صالح الحضرميّ الحمصيّ، حيث ولّاه عبد الرحمن الداخل[10] القضاء،

---

[1] قاسم بن ثابت بن حزم ابن يحيى العوفي، من أهل سرقسطة، ويكنى أبا محمد، رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب، وبمكة من عبد الله بن علي الجارود، وعني بجمع الحديث واللغة هو وأبوه، فأدخلا للأندلس علماً كثيراً، ويقال أنهما أول من أدخلا إليها كتاب " العين" وله كتاب الدلائل في شرح الحديث، وكان قاسم على علم باللغة والشعر بجانب الحديث والفقه، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،462/1.

[2] دويدار، حسين ، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 406-407.

[3] قاسم بن اصبغ ، من أهل قرطبة، ويكنى أبا محمد، روى عن جده قاسم، وكان أديباً حسن الخلق، استقضاه الحكم على كورة تدمير، تدمير، واستقضاه المؤيد على مدينة الفرج، توفي عام 388هـ، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس،473/1**.

[4] أبو عبد الله الخشني:تفقه بالقيروان على يد أحمد بن نصر، وأحمد بن زياد، وسمع من أكثر من واحد من شيوخ افريقيا، استوطن قرطبة ، ودخل سبتة، وكان حافظاً للفقه متقدماً فيه، ومن مؤلفاته للحكم كتاب " الاتفاق والإختلاف في مذهب مالك ، توفي 361هـ، الخشني، عبد الله، **قضاة قرطبة وعلماء افريقيا**، 7-8.

[5] محمد بن وضاح، من أهل الحفظ بلحديث والبصر به، سمع من أبيه ومن قاسم بن محمد، ومن اصبغ بن خليل، رحل في حياة أبيه أبيه ومات في العراق، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس،22/2**.

[6] محمد بن عبد الملك من أهل قرطبة، ويكنى أبا عبد الله، سمع من محمد بن وضاح، ومحمد بن عبد السلام الخشني، وإبراهيم بن قاسم بن هلال، رحل سنة 274هـ مع قاسم بن اصبغ، دخل بغداد، وكان فقيهاً عالماً حافظاً للمسائل مشاوراً في الأحكام، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس،69/2-70**.

[7] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 407.

[8] مالقة: بالأندلس مدينة على شاطئ البحر عليها سور صخر، والبحر في قبليها، وهي حسنة عامرة، آهلة ، كثيرة الديار، الحميري ،محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 517.

[9] اشبيلية: مدينة بالأندلس، جليلة، بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام، ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة أزلية، وأصل تسميتها اشبلي بمعنى المدينة المنبسطة، ويقال الذي بناها يوليوس القيصر، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 58.

[10] عبد الرحمن الداخل: هو عبد الرحمن بن معاوية وكنيته أبو المطرف، وأمه بربرية من سبي المغرب، تسمى راحا أو رداحا، وفي عبد شمس بن عبد مناف يلتقي نسبه مع الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولد بدمشق، ودخل الأندلس وهو ابن خمسة وعشرون عاماً، ابن كثير، أبو الفداء، **البداية والنهاية**، 74/1.

ويعتبر حسب قول البعض من أمثال يحيى الليثي بأنه مُدخِل علم الحديث إلى الأندلس وأفرد له ابن الأبار كتاباً خاصاً أسماه " المدخل الصالح في حديث معاوية بن صالح" وتُوفّي عام(158هـ/774م)، وهو بذلك يعتبر من أوائل المحدثين بالأندلس، إن لم يكن أولهم قبل صعصعه بن سلام الشامي ،والغازي بن قيس[1] الذي يعتبر أيضاً من أوائل مُدخلي الحديث للأندلس[2] .

وممَن عُرف بإتقانه وفهمه للحديث أحمد بن عمرو بن منصور الأليبري[3]، ويعرف بابن عمريل ت(312هـ/924م)، وكان عالما بالحديث، حافظاً له ، بصيراً بعلله إماماً فيه وصنفه على أبواب الفقه ،وكان له الفضل في نشر العلم في الأندلس على هذه الطريقة وله مصنّف آخر في بيان صحيح الحديث وغريبه[4]،حيث رحل للقيروان[5]، والعراق[6] ثم عاد للأندلس وقد تبحر في الحديث والرجال، وألف كتاباً طويلاً، ثمَ اختصره وسماه " المجتني" وقدمه للحكم المستنصر[7] وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثاً في سبعة أجزاء.

وممّن نبغ من الشّخصيات المنسوبة للمروانية في علوم الحديث حبيب بن الوليد بن حبيب المعروف بدحون من نسل عمر بن الوليد بن عبد الملك المرواني، عاش في قرطبة ودرس على شيوخها، وتبحّر في علوم الحديث والفقه حتى صار من أعلامها المبرّزين، ثمّ رحل إلى المشرق في عهد الأمير عبد الرحمن

---

[1] الغازي بن قيس يعد أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس، في أيام عبد الرحمن الداخل، وكان مؤدباً بقرطبة، ثم رحل إلى المشرق وشهد تأليف مالك للموطأ، وأدرك نافع بن أبي نعيم القارئ، وأخذ عن الأوزاعي، ويقال أن ابن عبد الرحمن عرض عليه القضاء فأبى، واشتغل بالفقه والفتوى، وتوفي عام 199هـ، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 154/1.

[2] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 407.

[3] أحمد بن عمرو بن منصور الالبيري كنيته أبو جعفر ويعرف بابن عمريل، وهو من أهل ألبيرة، سمع بالأندلس ورحل للمشرق، فلقي محمد بن عبد الله، ومحمد بن سحنون، وعرف بعلمه وحفظه للحديث، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،67/1.

[4] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 407.

[5] القيروان: قاعدة البلاد الإفريقية، وأم مدائنها، وهي أعظم مدن المغرب وأكثرها بشراَ، وأيسرها أموالاَ، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 410.

[6] العراق: هي لغة شاطئ البحر، وسمي العراق بذلك لأنه على شاطئ دجلة والفرات، وقيل سمي العراق نسبة على عراقي الدلو، والكوفة والبصرة تسمى العراقان، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 410.

[7] الحكم المستنصر: هو الحكم بن عبد الرحمن، كنيته أبو المطرف، أمه مهرجان، زاد في المسجد الجامع بقرطبة، دولته كانت 15 سنة سنة وبضعة أشهر، ومن قضاته منذر البلوطي، المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 304.

الأوسط[1]، وأدى في هذه الرحلة فريضة الحجّ، وسمع من علماء الحديث والفقه، ثمّ قدم للأندلس بعلم وافر، وجلس للتدريس بجامع قرطبة ، وتوافد عليه الناس بكثرة ، ولكنه تُوفّي في عام(218هـ/833م[2]).

ومن أبرز محدّثي بني مروان بقرطبة : محمّد بن سليمان بن أحمد بن حبيب المعروف بالحبيبي نسبة إلى حبيب بن عبد الملك المرواني ، وكان يروي عن أهل بلده، تُوفّي بالأندلس(327هـ/938م)، وقيل(328هـ/939م)، وأحمد بن عبد الله المرواني الذي روى عن بقيّ بن مخلد وتُوفّي بالأندلس(323هـ /934م)، وكذلك بشر بن حبيب المعروف بدحون بن الوليد الحبيبي وكان من رواة الحديث وروت عنه ابنته عبدة، وأمه عابدة المدينة الرواية عن مالك بن أنس ومحمد بن معاوية الهشامي المعروف بابن الأحمر، ويرجع بنسبه للخليفة هشام بن عبد الملك، حيث رحل للمشرق قبل سنة (300هـ / 912م)، ويذكر أنه تتلمذ على أيدي علماء العراق ومصر، وغيرها من بلدان المشرق[3].

أثبت الأندلسيون قدرتهم الكبيرة في إثراء ميدان الحديث وعلومه بتآليفهم ودراساتهم المتعدّدة ، فموجز القول في النشاط العلمي للأندلسيين في هذا الميدان من العلوم الدينية: إنهم استطاعوا أن يبرهنوا قدرتهم الواسعة في تناول هذا العلم من العلوم الدينية بالدراسة والبحث الجادّيّن وقدّموا في ذلك روائع من إنتاجهم العلميّ الغزير، وأسّسوا القاعدة لهذا العلم من خلال الرحلة إلى المشرق، ودراسة الحديث هناك على كبار الأئمة، وجلب المؤلّفات إلى الأندلس، ثم تأليف الكتب، ومن هنا تبدأ الشخصية العلمية الأندلسية بالتبلور، والظهور، ويأخذ علماء الأندلس مكانهم العلمي الذي يليق بهم، بل ويشار إليهم بالبنان.

قيام مدرسة الحديث في الأندلس:

كانت الأندلس خلال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي تمرَ بمرحلة انتقال ذات أهمّية كبيرة في تاريخها، وهي مرحلة استقرار[4]، وإنشاء، وتجديد في كل ناحية من نواحي الحياة، وأساس التطور في ذلك هو ثلث القرن الذي حكمه عبد الرحمن الأوسط(206-238هـ)-(822-852م)[5] حيث ساد الأمن والهدوء والهدوء في أرجاء الأندلس، مما أتاح لأهلها التقدّم والتطوّر في المجالات كافة وخاصة العلمية [6].

---

[1] عبد الرحمن الأوسط كنيته أبو المطرف، واسم أمه حلاوة، وكان شاعراً وأديباً ذا همة عالية، وله غزوات كثيرة وفتوحات، وبنى المساجد الجوامع في الأندلس، المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 2/89-90، مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، 122.

[2] أبو مصطفى، كمال السيد، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، 73-74.

[3] نفسه، 73-74.

[4] مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 41-43.

[5] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 80.

[6] مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 41-43.

فكان لزاماً أن تتجه الحركة العلميّة في البلاد اتجاهاَ موازياً لهذا الانتقال الحضاري العام، فالعلم والدراسة، يؤديان بصاحبهما إلى رياسة دينية ودنيوية كبرى[1]، إذ إنّ هناك مذاهب وفرقاً كلاميّةً عديدة، ولكن تحتاج إلى أشخاص أقوياء لديهم القدرة على دراسة هذه المذاهب الجديدة، والمجاهرة بها في ظل هذا المجتمع القائم على اعتناق المذهب المالكي، بسبب رفض معتنقيه لأي مذاهب أخرى تعارضه، فكان لا بد من وجود أشخاص يتميزون بقدرات ذكائية عالية، وإصرار على الدراسة والبحث العلميّ، لترقية المجتمع في النواحي العلمية لتخطو خطوات ملحوظة للأمام[2]، حتى وإن كان ذلك منافياً أو معارضاً لما هو قائم آنذاك[3].

فاتجاه الحديث اتجاه قديم أصيل ، له تاريخه، وأعلامه، وهو الأصل الذي نشأت عليه المذاهب الفقهية [4]، [4]، حيث يعتبر هؤلاء من حيث المبدأ مُحدّثين قبل أن يتّجهوا إلى التشريع، ويصبحوا مُحدّثين فقهاء، أما الذين تابعوا مذهب أحد هؤلاء واكتفوا بتقليد آرائهم في الأحكام الفقهية فهم فقهاء فقط، أي مطبقون للأحكام التي أصدرها أصحاب المذهب[5].

فكان من الطبيعي أن يكون هناك خلاف ما بين الفقهاء والمُحدّثين، فالأولون مسلمون بصحة ما بين أيديهم، ولا يريدون أن يتطرّق إلى أذهان الناس شكّ، لأنّ في هذا الشك إضعافا لمقامهم كفقهاء يُرجع إليهم، أو كقضاة يطبقون أحكاماً من المفروض أنها قائمة على أسس سليمة ، فالمُحدّث كان بطبيعة علمه يتمتّع بمرتبة أعلى من مرتبة الفقيه، وكان منافساً لمكانه في المجتمع، وربما لعيشه أيضاَ، ولهذا نفر الفقهاء من المُحدثّين، واجتهدوا في إضعاف مركزهم، وبادلهم المُحدثّون هذا الشعور، والحكم هنا عامّ

---

[1] مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 45-47.

[2] عبد البر، أبو عمر، **الإنتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، 186-188،مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 46-47.

[3]وكانت مدرسة الحديث بالمشرق(الحجاز، العراق، مصر) قد ازدهرت في ذلك العصر، وأنتجت محدثين علماء من الطراز الأول من أمثال سعيد بن منصور، وأحمد بن حنبل، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأعني بالمحدثين أولئك الذين اتجهوا إلى دراسة الأصل الثاني من أصول العقيدة والتشريع الإسلاميين، وهو الحديث حيث يتناول الأمور دون الاكتفاء بالمسانيد، والمصنفات فمثلاَ قبل الأحاديث الواردة في الموطأ على أنها أحاديث صحاح لا شك فيها، فإن المحدث يتجاوز أحاديث الموطأ إلى أسانيدها، ومصادرها، ويلتمس المحدثين المعاصرين ليسمع منهم بنفسه، ويستمع إلى نقدهم لأسانيد الحديث وآرائهم في رجالها،عبد البر، أبو عمر، **الإنتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، 186-188،مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 46-47.

[4] Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana,p.288.

[5] القاضي عياض، عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**،270/5،مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 45-47.

ونسبّي، وذلك لأن الخط الفاصل بين الفقيه والمُحدّث لم يكن واضحاَ محدداَ دائماَ، ومعظم المُحدثّين فقهاء إلى حدّ ما، في حين أن معظم الفقهاء لم يكونوا مُحدثّين[1].

ولكن هذا الخط الفاصل كان أكثر وضوحاَ في الأندلس منه في المشرق، لأنَ تأييد الدولة لفقهاء المالكية، وتأييد هؤلاء لها جعل التسليم بالموطأ وما فيه جزءًا من قبول النظام السياسي القائم ويذهب هؤلاء في تأييدهم لها إلى حدّ وضع أحاديث نبوية تؤيد أحقية بني أمية بالحكم، وبقاءهم فيه، وليس معنى ذلك أنّ الأندلس خلت حتى ذلك الحين من المُحدثّين، فقد وجد هناك مالكيون– بشكل دائم– نظروا إلى الموطأ على أنه مسند، وإلى مالك على أنه مُحدّث، ومضوا في دراسة أحاديث مالك دراسة مستقلة للأحكام والآراء التي رتّبها مالك عليها[2].

ولم يكن بدّ من أن تجد نهضة الحديث في المشرق صدًى لها في الأندلس، لأنّ المجتمع الأندلسيّ نفسه كان قد ارتفع مستواه ولم يعد يقنع بعلم الفقهاء المحدود، ثم إنّ البيت الأموي رسخت أقدامه وأكسبه ذلك الاستمرار في الصبغة الشرعية، وأثبت رجاله أنهم أهل للحكم والولاية[3] .

وفي الوقت نفسه ضعفت الدولة العباسية في المشرق، وأخذت تتفكّك وفقدت مع الزمن صفتها كدولة الجماعة، ولم يعد من الغريب أن يستبدّ بعض الولاة بنواحيهم من دونها، أي أنّ الدولة الأموية الأندلسية لم تعد في حاجة ماسّة إلى تأييد الفقهاء، وإذا كان ولا بدّ من علماء دين يؤيدون سلطانها فليكونوا من طراز يتناسب مع مفهوم الناس للعلم في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري[4].

فمن خلال ما سبق نستطيع القول إنّ علم الحديث نال اهتماماً وعناية بالغين، من الأندلسيين، حيث ظهر العديد من المهتمين بدراسة الحديث النبوي في فترة الإمارة الأموية، حيث عمل هؤلاء على دفع عجلة التطور العلمي، من ناحية دينية، فكما تحدثنا سابقاً فقد برع بقيّ بن مخلد في علم الحديث، فقد أدخل كتباً عديدة إلى الأندلس، كان لها أعظم الأثر في النهضة العلمية في ذلك الوقت، وابن عمريل الذي عُرف باهتمامه البالغ في علم الحديث وغيرهم الكثير، وكان لرحلات هؤلاء العلماء إلى المشرق أثر كبير في تغذية عقولهم بالمعرفة والعلم الديني، الذي أصبح لزاماَ عليهم حسب وجهة نظرهم نشره في بلادهم الأندلس ، حتّى تكون منارة من منارات العلم والمعرفة، وتسبق المشرق في ذلك.

---

[1] Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana,p.288.

[2] مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 47–49.

[3] Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana,p.288.

[4] مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 47–49.

ب-علوم القرآن:

كان القرآن ولا يزال المصدر الأساسيّ والمنهل العذب للكثير من العلوم، وعلى رأسها علم التفسير، ومن المعلوم أنّ المفسرين قد اتجهوا في تفسير القرآن اتجاهين: الأول: وهو التفسير بالمأثور، أي ما أثر عن النبيّ . صلّى الله عليه وسلم . وصحابته من أقوال في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، والآخر: التفسير بالرأي وهو ما يُعتمد فيه على العقل إلى جانب النقل[1]، فتفسير القرآن هو عبارة عن توضيح آياته، وإظهار ما في أسلوبه السامي من دقة ،وبلاغة ،وإعجاز، وذلك ببيان ما في ألفاظه من معان لغوية، وما تتضمنه آياته من أحكام شرعية تتعلّق بالعقائد، والعبادات ،والآداب، والمعاملات، فضلاً عمّا يتضمّنه ذلك العلم من أسباب نزول الآيات وبيان المتشابهة منها والمحكم والمفصّل ،والمجمل ،والناسخ ،والمنسوخ، ولهذا كان للتفسير مكانة سامية بين العلوم كما للقرآن كتاب الله من رفعة شأن وكبير خطر، وقيل في ذلك:"أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن"[2]

وممّا يدخل في علوم القرآن الكريم علم التفسير ، الذي حظي باهتمام كبير من علماء الأندلس إذ كان من الطبيعي والقرآن مصدر التشريع ومنبع الأحكام أن ينال الكثير من عناية العلماء، فأقبلوا على النظر في كتاب الله ومحاولة تفسيره مع الاستفادة من جهود العلماء الذين سبقوهم في هذا المجال.

ومن مشاهير المفسَرين في عصر بني أمية في الأندلس، بقيّ بن مخلد (201-276هـ)(816-889م)حيث صنّف في التفسير كتباً قيمة، وله كتاب في التفسير وصفه ابن حزم" أنه الكتاب الذي أقطع قطعاً لا استثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره"[3]، وإذا كان كتاب بقيّ هذا قد ألفه في عصر الإمارة، فما من شكّ أنه كان له أعظم الأثر فيما تلاه من ألوان الإنتاج العلمي في التفسير، فقد أفاد منه علماء التفسير باطلاعهم عليه، ومن دلائل التأُثير الذي تركه بقيّ بعد وفاته ما اتصف به ابنه أحمد بن بقيّ (ت 324هـ/ 935 م)[4] من صفات اكتسبها عن والده في

---

[1] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 405، خنفر، خلقي، **تاريخ الحضارة الإسلامية**، 361.

[2] السيوطي، جلال الدين ، **الإتقان في علوم القرآن**، 199/4.

[3] ابن حزم، أبو محمد علي ، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، 178/2.

[4] أحمد بن بقي بن مخلد، من أهل قرطبة، ويكنى أبا عبد الله، وكان قاضي قرطبة، عرف بفضله وزهده، توفي عام 324هـ، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 75/1-76.

ميدان العلم، فقد كان بارعاً في علوم القرآن وتفسيره وأحكامه واختلافات العلماء فيه، وكان لعلمه الواسع بما تقدم ما وصف به" بأنه من عجائب الدنيا وبأنه نسيج وحده[1].

وقد روي القشيري عن ابن مخلد قوله: " أنَ امرأة جاءته فقالت له، إنّ ابني قد أسره الفرنج، وإنّي لا أنام الليل من شوقي إليه ، ولي دُويرة أريد أن أبيعها لأفتكه بها، وإن رأيت أن تشير إلى من يأخذها، ويسعى في فكاكه، فليس لي ليل ولا نهار، ولا صبر ولا قرار، فقال: نعم انصرفي حتّى ننظر في ذلك إن شاء الله ، وأطرق الشّيخ وحرّك شفتيه يدعو الله عزّوجلّ لولدها بالخلاص، فذهبت فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها، فقالت: اسمع خبره يرحمك الله تعالى، فقال: كيف كان أمرك، فأجاب: إني كنت فيمن يخدم الملك، ونحن في القيود، فبينما ذات يوم أمشي إذ سقط القيد من رجلي ، فأقبل عليّ المُوكل بي فشتمني، وقال: فككت القيد من رجليك، فقلت: لا والله ولكن سقط ولم أشعر ،فجاءوا بالحداد فأعادوه و وسمر سمارة وأيده، ثم قمت فسقط أيضاً ، فسألوا رهبانهم ، فقالوا: ألك والدة؟ قلت: نعم، فقالوا: إنه قد استجيب دعاؤها له فأطلقوه، فسأله بقيّ عن الساعة التي سقط فيها القيد من رجليه، فإذا هي الساعة التي دعا له فيها [2].

وإن صحّت الرواية أم لم تصحّ، إنما هو نوع من التعبير عن مدى سعة علم بقي بعلوم القرآن وأخلاقه حتى إنه كان مجاب الدعاء،أو أنّ الناس اعتقدوا به ذلك، إضافة إلى ذلك فإنّ ما سبق يظهر مدى إعجاب الناس واحترامهم لعلماء الدين ، وثقتهم بهم، واعتقادهم بأنهم مجابو الدعوة، لذلك كانوا ينسبون إليهم بعض المعجزات.

وكذلك ابن محاسن عثمان بن محمد ت(306هـ/918)، والمكنّى أبا سعيد، وكان من أهل أستجة[3]،وقال عنه ابن الفرضي:" كان حافظاً للتفسير عالماً بأخبار الدهور"، وقد اشتهر بالزهد والعزوف عن الدنيا، ويُروى أنه كتب على باب داره " يا عثمان لا تطمع"[4] وكذلك سعدان بن سعيد بن حمير الكلبي[5]، المكنى

---

[1] ابن فرحون، المالكي ، **الديباج المذهب في معرفة علماء أعيار المذهب** ، 1\170-171.

[2] المقري، أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 3\266.

[3] أستجة: بين القبلة والمغرب من قرطبة، بينهما مرحلة كافية، وهي مدينة قديمة لم يزل أهلها في جاهلية، وإسلام على انحراف وخروج عن الطاعة، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 53.

[4]ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 398/1.

[5] سعدان بن سعيد بن حمير الكلبي من أهل قرطبة، ويكنى أبا سعيد، سمع من أبيه، وحج ، ووكان إماماً في المسجد الجامع وقرأ الناس عليه كتاب التفسير المنسوب إلى ابن عباس من رواية الكلبي، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،252/1.

أبا سعيد، وهو من أهل قرطبة[1] كان إماماً للمسجد الجامع بها، وقرأ الناس عليه كتاب التفسير المنسوب إلى ابن عباس من رواية الكلبي[2] .

وبهذا اتّضح لنا المشاركة الطيبة التي قام بها الأندلسيون في هذا الميدان، وأعني التفسير وفي مقدمتهم بقيّ بن مخلد الذي يعتبر وساماً أنار الأندلس بعلمه ،وفضله، خاصة في مجالي الحديث والتفسير[3]، والذي لم يكتف الأندلسيون بذلك، فنشطوا في ميدان البحث والتأليف حول القرآن وما يتعلّق به من أحكام ، وأخرجوا في ذلك إنتاجاً علمياً قيّماً.

وممّا يتّصل بالقرآن علم القراءات[4] الذي نما في الأندلس شيئاً فشيْئاً ، ولكنه لم يصل للذروة إلا في عهد الشاطبي صاحب رسالة " حرز الأماني" المعروفة باسم " الشاطبية" التي عمت شهرتها جميع البلدان، ولاتزال مرجعاً للكثير من المشتغلين بالقراءات إلى هذا اليوم[5]، ومن الذين اشتغلوا بعلم القراءات في الأندلس بالعصر الأموي سليمان بن مسرور،[6] وكان من أهل طليطلة[7]، غلب عليه العلم بالقراءات وكان وكان فيها إماما[8]، وكان حسن الصوت بالقرآن، ويحيى بن مجاهد الفزاري القرطبي[9] الذي شّهد عصر

---

[1] قرطبة: هي قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها، وآثارهم بها ظاهرة، وهي على سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس ومدينتها الوسطى في باب القنطرة، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 456.

[2] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،252/1، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 407.

[3] السيوطي، جلال الدين ، **الإتقان في علوم القرآن**، 199/4.

[4] القراءات: روى أن الصحابة رووا القرآن عن الرسول محمد–صلى الله عليه وسلم– على طرق مختلف في بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف في أدائها، وانتقل ذلك عنهم إلى غيرهم ، واشتهر إلى أن استقرت سبع طرق معينة، وتواتر نقلها، أيضاً بأدائها، واختصت تلك القراءات بأصحابها الذين اشتهروا بروايتها، ومن بين القراء الأخرين، فأصبحت هذه القراءات أصولاً للقراءة، وذاعت بين المسلمين، والقراء السبع هم : نافع المدني، وعاصم بن أبي النجود، وأبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن كثير، وعبد الله بن عامر، وحمزة بن حبيب، وعلي بن حمزة الكسائي، ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، 437، الزيات، أحمد، **تاريخ الأدب العربي**، 92.

[5] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 407.

[6] سليمان بن مسرور من أهل طليطلة، ويكنى أبا الربيع، رحل حاجاً قبل التسعين، ثم استوطن مصر ومات بها، وغلب عليه علم القراءات وكان فيه إماماً، وكان حسن الصوت بالقرآن، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،256/1..

[7] طليطلة: بالأندلس ، بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلاَ، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، لأن منها إلى قرطبة 9 مراحل، ومنها إلى بلنسية 9 مراحل، ومنها إلى المرية في البحر الشامي 9 مراحل أيضاَ، وهي عظيمة القطر ، كثيرة البشر، وكانت بدار الملك بالأندلس عندما دخلها طارق بن زياد، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 393.

[8] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،256/1، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 409–411.

[9] يحيى بن مجاهد الفزاري الزاهد اللّبيريَ من أهل قرطبة، ويكنى أبا بكر، كان منقطع القرين في العبادة، بعيد الأسم في الزهد، عني بعلم القرآن والقراءات، والتفسير، سمع بمصر من الاسيوطي، وابن الورد، توفي عام 366هـ، ودفن بمقبرة الربض، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،238/2.

الخلافة أيضاً ت(362هـ/972م)، وقد عني بالقراءات والتفسير وكان عابداً زاهداً، بالإضافة إلى الغازي بن قيس الذي يُعدّ من أحد علماء عصر الإمارة، فقد ارتحل إلى المشرق حيث أخذ القراءات عن المقرئ نافع المدني، وصحّح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرّة[1] ، وفي هذا إشارة إلى بداية اشتغال الأندلسيين بعلم القراءات، واهتمامهم بها، وأنّ دخول قراءة نافع وهو أحد القرّاء السبعة إلى الأندلس في عصر الإمارة ليُعدّ مؤشراً على ما سوف تحتله هذه القراءة المعينة بين قُرّاء الأندلس، وخاصة إذا علمنا أن الغازي بن قيس الذي ينسب إليه إدخالها كان معلماً للتلاميذ، ومؤدّباً لهم، وهو أمر يفيد بلا شك في سرعة انتشار هذه القراءة بين الأندلسيين[2]، وفيما بعد في عصر الخلافة ظهر أحمد بن محمد المقري الطلمنكي ،هو محدث منسوب إلى بلده وكان إماماً في القراءات ثقه ومشهورًا، تُوفّي(428هـ/1036م)، وغيره الكثير[3].

وعليه فإنّ جهود الغازي بن قيس كانت فاتحة الجهود العلمية في هذا الحقل من الدراسات ، وقد أشار المقدسيّ إلى انتشار قراءة نافع بين الأندلسيين، مما يؤكد غلبتها على من سواها من القراءات، وبهذا يتبيّن للباحث في هذا العلم أنه كان لأهل الأندلس العديد من المشاركات ، بالرغم من عدم كثرتها، إلا أنه كان لها الأثر الكبير في ازدهار الدراسات الدينية المتعلّقة بالقراءات فيما بعد، وخاصة في عصر الخلافة فقد تمتّع علماء القراءات من الأندلسيين بمكانة عالية بين المسلمين[4].

فعلوم الدين من تفسير، وحديث، وقراءات، نالت اهتمامًا وعنايةً من الأندلسيين، كان لها الأثر الأكبر في تطور الناحية العلمية ، وجعلها من النواحي المهمّة التي بلغت تطوراً كبيراً، حتى غدت الأندلس في تلك الفترة من منارات العلم الشهيرة في مجال العلوم الدينية، فقد عمل الأندلسيون جاهدين على دراسة هذه العلوم بالتدقيق، والتمحيص، واستخراج الأحكام ، والعمل على نشرها، وإفادة جميع الناس وعدم جعلها حكراً على فئة دون الأخرى، حتّى أننا نستطيع القول: إن هذه الفترة من التاريخ الأندلسي قد أثرت تأثيراً كبيراً على الفترات اللاحقة من التاريخ الأندلسي آنذاك.

وهذا كلّه يعود إلى عوامل عدّة ،منها تشجيع الأمراء الأمويين كعبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الأوسط على رفد الحركة العلمية وضرورة الاستفادة من العلوم المختلفة ، وتشجيعهم لعلماء الحديث والتفسير،

---

[1] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 154/1.

[2] المقدسي، محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 236.

[3] نفسه، 409-411.

[4] نفسه،409.

ومنحهم مناصب في الدولة كمنصب القضاء والفتيا، ورغبة العلماء أيضاً في تلك الفترة بمعرفة علوم دينهم والعمل بها.

ج- العلوم الفقهية :

يُعرّف الفقه على أنه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب ، والخطر، والندب، والإباحة، والكراهة، وهي متلقاه من الكتاب والسّنّة ، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة؛ فإذا استخرِجت الأحكام من الأدلة قيل لها فقه[1].

نالت العلوم الدينية عناية عظيمة من الأندلسين، وأولوها اهتماماً كبيراً وقد سبق أن تحدثنا عن بداية الدراسات الدينية التي تمثلت بالحديث، وتفسير القرآن، وكيف أنّ العديد من الأشخاص كان لهم دور بارز في نشوء تلك الدراسات، حيث كان لهم الفضل في نشأة الحركة العملية في الأندلس[2]، وبعد ذلك ظهر أثر الفقه في حياة الأندلسيين، وكيف كانت له مكانة عالية ومنزلة سامية، فكان عالم الفقه منهم يحظى بكل تقدير وإجلال، فسمة الفقيه عندهم جليلة، والفقيه معظّم لدى الخاصّة والعامة على السواء[3]، وبهذا فقد نال الفقهاء كلّ إجلال وتقدير من الأمراء، ومن بعدهم الخلفاء، وكان هؤلاء يدنون منزلتهم، ويستشيرونهم فيما يعرض إليهم من أمور، وما من شكّ أنّ هذه المنزلة العالية للفقهاء قد أتاحت لهم أن يلعبوا دوراً كبيراً في تشكيل بعض الأحداث، ومنها على سبيل المثال حادثه الربض[4]، التي وقعت في عهد الحكم بن هشام والتي لعب الفقهاء دوراً بارزاً في وقوعها. وتاريخ الأندلس حافل بالكثير من المواقف التي تشهد لما كان للفقهاء من تأثير قوي في الدولة، والمجتمع، وقد تسنّى للكثير من الفقهاء أن يتوصّلوا إلى مناصب رفيعة في الدولة كميدان القضاء الذي برز فيه عبد الله الخشني، والفتيا والحسبة، وغيرها من الميادين المهمّة[5].

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن ، **المقدمة**، 410.

[2] ابن الأثير ،عز الدين ، **الكامل في التاريخ**، 172/5.

[3] المقري، أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 221/1.

[4] حادثة الربض حصلت في عام 198هـ، وكانت بقرطبة ، وسببها تحريض الفقهاء عليه، خاصة أنه أبعدهم عن مجالسه، ولم يعمل على تقريبهم إليه كما فعل والده، ويبدوا أن هذا الأمر يعود إلى صغر سنه، وبالتالي أتهم بالتشاغل باللهو والصيد، النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 217/23.

[5] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 405، البشري، سعد الله، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**،36.

ومن الطبيعي أن يسير غالبية الفقهاء آنذاك على المذهب المالكي، لأنه هو مذهب الدولة في تلك الفترة بالرغم من وجود أشخاص اعتنقوا مذاهب أخرى ، فانصرف الكثير من طلاب العلم إلى دراسة الفقه ومعرفة مسالكه، فكانت الجوامع المنتشرة في الأندلس تحفل بحلقات العلم والمناظرات العلمية في هذا الميدان العلمي، ومن الأمثلة على أشهر المجالس الفقهية في جامع قرطبة مجلس الفقيه يحيى الليثي (ت 367هـ/ 977م)[1] فقد كان يعقد مجالسه العلمية في جامع قرطبة أيام الجُمع ويلقي هناك دروسه الفقهية على طلاب العلم الذين يزدحم بهم مجلسه، وذلك لاشتهار هذا الفقيه، وأعني يحيى بعلو المكان والمعرفة الواسعة بالفقه [2]، وهناك العديد من العلوم الفقهية، ومنها:

1- مذهب الأوزاعي:

اعتنق الأندلسيون مذهب عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي إمام الشام [3]، من (88-157هـ) (707-774م) بحكم الرابطة المتينة بين الأندلس وبلاد الشام، ولأنّ غالبية العرب الذين شاركوا في فتح الأندلس، والذين استوطنوها فيما بعد كانوا من الشاميين فاعتنقوا هذا المذهب، إضافة إلى اهتمام مذهب الأوزاعي بالجهاد، وفتاوى الرباط، فالأندلسيين يعتبرون أنفسهم مجاهدين ومرابطين في سبيل الله، فكان هذا المذهب هو الأقرب إليهم، كذلك الحنين إلى الشام، والأوزاعي رابط على الحدود الشامية مع بيزنطة، وأهل الأندلس معظمهم آنذاك من الشام وتبناه الحكام الأمويون في الأندلس ، وبخاصة عبد الرحمن الداخل الذي حكم (138- 172هـ/755-788م) وابنه هشام الملقب بالرضا [4] (172-180هـ/788-796م)، فأصبح المذهب في عهدهما المذهب الرسمي للأندلس،[5].ولكن فيما بعد ضعف أمر هذا المذهب في الشام الشام أمام مذهب الامام الشافعي، وضعف في الأندلس أيضاُ أمام مذهب الإمام مالك الذي وجد أنصاراً

---

[1] هو يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس-وقيل وسلاش- بن شمّال بن منغايا الليثي ، يكنى أبا محمد، وأبوه يحيى يكنى أبا عيسى، أصله من البربر من قبيلة يقال لها مصمودة، رحل للمشرق فسمع عن مالك بن أنس، والليث بن سعد وغيرهم، وإليه انتهت الرياسة في الفقة بالأندلس، وبه انتشر مذهب مالك، المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 229/2.

[2] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،229/2.

[3] الشام: بلاد كثيرة، وكور عظيمة، وممالك، وقسمت الأوائل الشام إلى خمسة أقسام: الأول فلسطين، وفيها غزة والرملة، والشام الثانية، مدينتها العظمى طبريا، والغور، واليرموك، والثالثة الغوط، ومدينتها العظماء دمشق، ومن سواحلها طرابلس الشام، وأيضاً أرض حمص وقنسرين، ومدينتها العظمى حلب، وساحلها أنطاكية، فالشام اسم يجمع هذه البلاد جميعاً الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 335.

[4] هشام الملقب بالرضا، وكنيته أبو الوليد، ولد في غام 139هـ، وأمه أم ولد اسمها جمال، وكان بسيط البنان، فصيح اللسان، وكان حاكما بالكتاب والسنة ولم يأخذ في الله لومة لائم، المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في فتح الأندلس والمغرب**، 64.

[5] الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، 281-282.

وتلاميذ له في الأندلس، بينما لم يعد يجد مذهب الأوزاعي الأنصار والتلاميذ[1]، إلا في الآراء الفقهية والفتاوي التي تتعلق بالجهاد والرباط، والتي بقيت مستقاة من مذهب الأوزاعي في الأندلس.

وممّن انتفع من علم الأوزاعي عبد الملك بن حبيب السلمي ت 238هـ/852م ويكنّى أبا مروان،سكن قرطبة ،وقد قيل انه من موالي سليم، روى عن صعصعة والغازي وزياد وكان حافظاً للفقه وله الكتب الآتية:" الواضحة"و "الجوامع "و"غريب الحديث "وكان نحوياً شاعراً[2]، وعثمان بن أيوب ت (246هـ/860م)، وابن زريق الملقب " زونان" وهؤلاء تولوا الفتيا في عهد هشام الذي كان يذهب مذهب الأوزاعي[3].

2- مذهب المالكي[4]:

اتجه الكثير من الفقهاء في دراساتهم الفقهية نحو شرح قواعد المذهب المالكي وتوضيحه، وتفسير المسائل الفقهية على ضوء آراء مالك بن أنس، فقد بدأ مذهبه في الانتشار داخل الأندلس في عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل، وقد نال كتابه "الموطأ" عناية فائقة من الأندلسيين، وهذا الكتاب الفقهي يعتبر حجر الأساس لمذهبهم الذي يسيرون عليه حيث تناولوه بالشرح والإيضاح منذ دخوله الأندلس[5].

وهكذا نلمس ما كان عليه فقهاء عصر الإمارة من اهتمام وعناية بالغينِ بالموطَأ، ونلمس أيضاً مدى ما كانوا يحملونه في نفوسهم من تقدير وإجلال لهذا الكتاب باعتباره السجل الحافظ لآراء مالك بن أنس وأقواله إمام دار الهجرة، الذي اقتنعوا بعلمه وفقهه الواسع، وما لبثوا أن تحمسوا لمذهبه ثم أخذوا في نشره والعمل على إرساء قواعده بما قدموه من شروح وإيضاحات كثيرة على كتاب" الموطأ"[6].

---

[1] الناصري، أحمد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، 60-62.

[2] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 1\360-362.

[3] أبو الفضل، محمد، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، 275-276، فروخ، عمر، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 586.

[4] المذهب المالكي: يعود هذا المذهب لمالك بن أنس الذي ولد في المدينة عام 93هـ، لأبوين عربيين من قبائل يمنية، فأبوه ينتهي إلى قبيلة ذي اصبح، وأمه تنتهي إلى قبيلة الأزد،ابن هذيل، أبو الحسن، **عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة**،القلقشندي،أبو العباس، **صبح الأعشا في صناعة الإنشا**،420/1، ، عبد البر، أبو عمر، **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، 36-39، عثمان، عبد الكريم،**معالم الثقافة الإسلامية**،323.

[5] بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 138-141، مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**،

[6] البشري، سعد الله، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، 164.

وفي عهد الحكم بن هشام الملقب بالربضي[1] (180- 206هـ/796-821م) غدا للمذهب المالكي المكانة الأولى في الأندلس، وأصبح المذهب الرسمي بلا منازع، وتقلّص مذهب الأوزاعي وبدأ في الاندثار ولم يبق منه إلا فتاوى الجهاد، والمرابطة في سبيل الله[2].

ويذكر أنّ الفضل يعود إلى زياد بن عبد الرحمن اللخمي(شبطون) (ت204هـ/819م)، والذي يُقال عنه أنه أول من أدخل فقه الإمام مالك بن أنس للأندلس، ويكنّى أبا عبد الله، وكان فقيه الأندلس على مذهب مالك، فكانوا من قبله يتفقهون على مذهب الأوزاعي[3]، وأراده الأمير هشام على القضاء بقرطبة وعزم عليه، فقال هشام: ليت الناس كلهم كزياد، حتى أكفي أهل الدنيا في الرغبة، وأرسل إلى زياد فأمنه حتى رجع إلى داره، وتُوفّي(204 هـ/819م)، وقيل(193هـ/808م)،وقيل (199هـ/814م[4])، ويحكى أنه لمّا لمّا أراده للقضاء كلمه الوزراء في ذلك ، وعرّفوه عزمه عليه، فقال لهم: أما إن أكرهتموني على القضاء فزوجتي فلانة طالق ثلاثاً ، لئن أتاني مدّعٍ في شئ ممّا في أيديكم لأخرجنّه عنكم، ثم لأجعلنّكم مدّعين فيه، فلّما سمعوا منه ذلك علموا صدقه، فتكلموا للأمير لمعافاته [5]، وسمع من مالك الموطأ ويُعرف سماعه سماعه بسماع زياد ، وسمع من معاوية بن صالح وقد رحل إلى الحج أيام هشام بن عبد الرحمن هو وجماعة من أمثال قرعوس بن العباس وعيسى بن دينار، فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه ما عظم به صيته بالأندلس، فانتشر رأيه وعلمه في الأندلس، وكان رائد الجماعة في ذلك شبطون .

ومن الفقهاء الذين برعوا في الفقه أيضاً عيسى بن دينار[6] حيث توفّي(212هـ/827م)، وقال عنه محمد بن عبد الملك :"كان عيسى بن دينار عالماً متفقها، وهو الذي علّم المسائل أهل مصرنا وفقهها"[7] ويقال إنه كان أفقه من يحيى الليثي، وكان محمد بن عمر بن لبابه يقول" فقيه الأندلس عيسى بن دينار،

---

[1] الحكم بن هشام الملقب بالربضي، كنيته أبو العاص، وأمه زخرف، ولد عام 154هـ، وكانت خلافته 26 سنة، و11 شهراَ، وكان شديد الحزم وماضي العزم، المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 68/2.

[2] الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، 281-282.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 262/2-263 ، العبادي، أحمد، **في تاريخ المغرب والأندلس**، 124.

[4] ابن الفرضي، أبو الوليد ،**تاريخ علماء الأندلس**، 216/1-271.

[5] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 262/2.

[6] عيسى بن دينار أصله من طليطله، وسكن قرطبة، ويكنى أبا عبد الله، رحل فسمع من أبو القاسم، وعندما عاد للأندلس كانت الفتيا تدور عليه ولا يتقدمه أحد ، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،426/1.

[7] المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 262/2 ، الناصري، أحمد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، 60-62.

وعالمها عبد الملك بن حبيب ،وعاقلها يحيى بن يحيى"[1] وقال عنه ابن الفرضي:" كان إماماً في الفقه على مذهب مالك بن أنس، وعلى طريقة عالية من الزهد والعبادة، ويقال إنه صلّى الصّبح أربعين سنة بوضوء العتمة، وكان إماماً في الفقه مقدماً على أهل زمانه في حفظ الرأي، والبصر بالفتيا، وكان يعجبه ترك الرأي والأخذ بالحديث، ويذكر أنه درس كتب الرأي مدّة ستّين سنة، وانفرد بالفتيا في عهد الناصر[2].

وكان مؤلفاً مكثراً فقد ألف كتاب "الهداية" وقيل عنه :"إنه أرفع كتب جمعت في معناه على مذهب مالك وأجمعها المعاني الفقهية على المذهب "وقال عنه بعض المؤرخين إنه لم يكن أحد في وقته أعلم منه، فقد جمع بين الفقه والزهد وتولى قضاء طليطلة ورأس الشورى بقرطبة[3].

ومن برع في هذا المجال أيضاَ لبابة محمد بن يحيى بن عمر ت (330هـ/941م)، وكان حافظاً للفقه على مذهب الإمام مالك، ولِي قضاء إلبيرة[4] في عهد الناصر، وله في الفقه كتب مؤلفة ومنها كتاب" المنتخب "حيث قال عنه ابن حزم:" وما رأيت لمالكي كتاباً أنبل منه في جمع روايات المذهب"[5]. ويحيى بن يحيى الليثي ت(234هـ/848م)، الذي كان منذ صغره محباً للعلم، يميل إلى الجلوس في حلقات الدرس التي يعقدها أستاذه زياد اللخمي[6]، وهو زعيم الفقهاء في ثورة الربض[7]، وتولى الفتيا بعد عيسى بن بن دينار، وغدت له مكانة عظيمة ونفوذ مرموق وخاصّة في عهد عبد الرحمن الأوسط[8]، وكان أحمد بن خالد يقول: لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلها الإسلام من الحظوة وعظم القدر وجلال الذكر

---

[1] المراكشي، عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 40، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 426/1.

[2] الناصر: عبد الرحمن بن محمد، وكنيته أبو المطرف، ولقبه الناصر لدين الله، أمه أم ولد أسمها مزنة، وعمره 73سنة و7 شهور، ومن قضاته أحمد بن محمد بن زياد، المراكشي، ابن عذارى ، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 304/2.

[3] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 139.

[4] إلبيرة: من كور الأندلس، جليلة القدر، نزلها جند دمشق من العرب ، وكثر من موالي الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهو الذي أسسها وأسكنها مواليه، ثم خالطهم العرب بعد ذلك، وجامعها بناه الإمام محمد على تأسيس حنش الصنعاني، وحولها أنهار كثيرة، الحميري، محمد ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**،28.

[5] الحميدي، أبو عبدالله ، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 567-568.

[6] ابن خلكان، أحمد ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 143/6، شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)** ، 162.

[7] حاول الليثي مع مجموعة من الأئمة عزل الأمير الحكم بن هشام، عندما تناهى إلى أسماعهم أنه كان منهمكاً في لذاته، غير أن الحكم استطاع القضاء على هذه الفتنة، وشرد بعض المتآمرين عليه، وقتل بعضهم الآخر، وقد فرَ الليثي إثر ذلك إلى طليطلة، ، إلا أن الحكم قد عفا عنه بعد أن هدأت الفتنة، فرجع إلى قرطبة، ومارس حياته الإعتيادية، المغربي،ابن سعيد ،**المغرب في حلى المغرب**، 43/1.

[8] الحميدي، أبو عبدالله ، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 567-568.

ما أعطِيه يحيى بن يحيى، وسمع منه مشايخ الأندلس في وقته، وأصله من البربر من قبيلة يقال لها مصمودة[1] رحل للمشرق فسمع عن مالك بن أنس، والليث بن سعد، وعبد الرحمن بن القاسم، وعبد الله بن وهب وغيرهم الكثيرين. تفقه أيضاً بالمدنيين والمصريين من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته، وسماه مالك عاقل أهل الأندلس[2]، وإليه انتهت الرياسة بالفقه في الأندلس، وبه انتشر مذهب مالك وتفقه به جماعات كثيرة، وروى عنهم أكثر من واحد ومنهم عبيد الله وإسحاق، وأبو عبد الله محمّد بن وضّاح[3] وإبراهيم بن قاسم بن هلال وغيرهم الكثير، ويقال أنه كان مع إمامته ودينه مكيناً عند الأمراء معظّمًا وعفيفاً عن الولايات متنزهاً، وكان أعلى قدراً من القضاة وذلك لزهده عن القضاء وامتناعه فيه.

قال ابن أبي الفياض : جمع الأمير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء في قصره ، وكان قد وقع على جارية يحبها في رمضان ، ثم ندم على ذلك، فسألهم عن التوبة والكفّارة، فقال يحيى:" تكفَر بصوم شهرين متتابعين ، فلّما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتّى خرجوا ، فقال بعضهم له : لما لم تفت بمذهب مالك بالتخيير؟ ، فقال: لو فتحنا عليه هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود إلى ذلك[4]".

كان يقول الفقيه أبو محمد بن أحمد :"مذهبان انتشرا في بدء أمرها الرياسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة ، فإنه لما ولِي قضاء القضاة أبو يوسف كانت القضاة من قبله، فكان لا يولّى قضاء البلاد، من أقصى المشرق إلى أقصى أعمال إفريقية، إلا أصحابه والمنتمون إلى مذهبه ومذهب مالك بن أنس عندنا[5]، فإنّ يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان، مقبول القول في القضاة، فكان لا يولّى قاضٍ في أقطارنا إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع إلى الدنيا والرياسة، فأقبلوا على ما يرجون أغراضهم به على أنّ يحيى بن يحيى لم يُولى قضاءً قط، ولا أجاب إليه، وكان ذلك زائداً

---

[1] ابن حيان ،أبو مروان، **المقتبس من أنباء الأندلس**، 29.

[2] والسبب في ذلك يعود أنه مَر فيل في أحد شوارع المدينة، فخرج جميع الطلبة من الدرس ليروه، ما عدا يحيى الذي بقي في مكانه لا يتحرك، فسأله مالك لماذا لم تخرج لترى الفيل وليس في بلادك؟ فأجابه يحيى على الفور إنما جئت من الأندلس لأنظر اليك وارتشف من علمك ،ولم أكن أنظر إلى الفيل؟ فاعجب به الإمام مالك وسماه عاقل أهل الأندلس ،المقري، أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 229/2.

[3] أبو عبد الله محمد بن وضاح بن يزيغ، وكان جده مولى لعبد الرحمن الداخل، وكان معاصراً لبقي بن مخلد، رحل للمشرق كما رحل بقيو وحمل الحديث من الشرق للغرب، وكان ممن مهد للفقه الظاهري، أبو زهرة، محمد، **ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهية** ، 298.

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 231/2.

[5] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 567-568.

في جلالته عندهم، وداعياً إلى قبول رأيه لديهم، وكذلك جرى الأمر بإفريقيا وتُوفّي يحيى في عام 234هـ/848م[1].

ويرجع تقدير الفقيه الليثي واحترامه إلى أسباب كثيرة ،ومن أهمّها مكانته العلمية المرموقة وتفوقه العلمي على غيره من الفقهاء، وتعظيم عامة أهل الأندلس له، واحترامهم إياه، وسماعهم لكلمته وبالتالي سهولة الانقياد إليه[2].

ونتيجة للمكانة العلمية التي تبوأها الليثي فقد أسندت إليه رئاسة الفتوى في الأندلس، ومحاسبة القضاة إذا أخطأوا ، وقد كان الأمير لا يُولي ولا يعزل أحد من القضاة إلا برأيه[3].

وعلى الرغم من أنّ الليثي كان من معتنقي مذهب الإمام مالك، إلا أنه خالفه في بعض الأحكام، ومنها:

- ترك الحكم بالشاهد الواحد مع اليمين(مذهب الإمام مالك يخير ذلك) وقال بوجوب شاهدين.
- كان لا يرى القنوت في الصبح ولا غيرها.
- أجاز كراء الأرض بجزء مما يخرج منها.
- أجاز غرس الشجر في المساجد[4].

وهذه المخالفات للمذهب المالكي بعضها مستمدَ من مذهب الأوزاعي، والبعض الآخر من مذهب الإمام الليث الذي تتلمذ يحيى على يديه[5]،ومن فقهاء المالكية في هذا العصر يحيى بن معمر الألهاني، وكان ورعاً فاضلا اشتهر بالفقه والفرائض، وولّاه عبد الرحمن الأوسط قضاء الجماعة بقرطبة، وكان عند حسن ظنه، وكان إذا اختلف مع فقهاء قرطبة في حكم من الأحكام كتب إلى فقهاء مصر من المالكية يسترشد برأيهم، فكان فقهاء، قرطبة ينفرون منه لذلك ويذمونه، وعلى رأسهم يحيى الليثي الذي ظلّ به حتى عُزل عن القضاء[6]، وكذلك ابن مرتنيل وهو محمد بن خالد مولى الإمام عبد الرحمن بن معاوية من أهل

---

[1] القاضي عياض، أبو عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 16/2، سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، 388.

[2] ابن حيان، أبو مروان ، **المقتبس من أنباء الأندلس**، 80، شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)** ، 165.

[3] ابن حيان، أبو مروان ، **المقتبس من أنباء الأندلس**،78– 80، شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)** ، 165.

[4] ابن حيان، أبو مروان، **المقتبس من أنباء الأندلس**، 340، شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني (الأوسط)** ، 166.

[5] ابن حيان، أبو مروان، **المقتبس من أنباء الأندلس**، 340، شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني (الأوسط)** ، 166.

[6] المقري، أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 230/2–231.

قرطبة، ويكنى أبا عبد الله رحل فسمع من ابن القاسم ،وأشهب بن عبد العزيز والغالب عليه الفقه لا الحديث (ت220هـ/834م – وقيل224هـ/838م) ، والذي اعتبر رأس المالكية بالأندلس والقائم بها[1].

وعبد الملك بن حبيب السلمي الذي قال عنه الفتح في المطمح: "الفقيه العالم أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي، أي شرف لأهل الأندلس ومفخر، وأي بحر بالعلوم يزخر، خلّدت منه الأندلس فقيهاً عالماً ، أعاد مجاهل جهلها معالماً، وأقام فيها للعلوم سوقاً نافقة، ونشر منها ألويه خافقة ، وجلا عن الأبواب صدأ الكسل ،وشحذها شحذ الصوارم والأسل، وتصرّف في فنون العلوم، وعرف كلّ معلوم، وسمع بالأندلس وتفقّه، حتَى صار أعلم من بها وأفقه، ولقي أعجاب مالك وسمع من مناظراتهم أوعر المسالك، حتى أجمع على تفضيله الاصفاق،إنه لقي مالكاً آخر عمره"، وذكره محمد بن لبابه" فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلها يحيى بن يحيى"[2]، وكان عبد الملك قد جمع إلى علم الفقه علم اللغة والإعراب وله شعر ومن شعره:

قد طاح أمري والذي ابتغى — هين على الرحمن في قدرته[3]

الف من الخمر وأقلل بها — لعـــالـــم أربى علـــى بغيتـه

زرياب قد أعطيتها جملة — وحرفتي أشرف من حرفتـه[4]

وتواليفه بلغت ألفاَ ، ومن أشهرها كتاب " الواضحة" في مذهب مالك، وهو كتاب كبير مفيد، ولابن حبيب مذهب في كتب المالكية مسطور ، وهو مشهور عند علماء المشرق ، ونقل عنه الحافظ بن حجر، وصاحب المواهب وغيرهما، ولم يكن له علم بالحديث يعرف صحيحه من معتلَه، ويفرق بين مستقيمه ومختلّه، وكان غرضه الإجازة ، وأكثر رواياته غير مستجازة[5]، وشهد عصر الخلافة فيما بعد عددٌ كبيرٌ من فقهاء المالكية كأبي الوليد الباجي، وأبي الوليد بن رشد[6].

---

[1] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 10/2، دويدار، حسين ، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 139-140.

[2] المقري، أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 226/2-227، فروخ، عمر، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، **خلدون**، 587.

[3] الاشبيلي، أبو النصر، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، 233-234

[4] المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 227/2، فروخ، عمر ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 587-588، الدغلي، محمد سعيد، **الحياة الإجتماعية في الأندلس**، 30.

[5] المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 227/2، فروخ، عمر ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 587-588، الدغلي، محمد سعيد، **الحياة الإجتماعية في الأندلس**، 30.

[6] المقري، شهاب الدين، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، 79/5.

أسباب اعتناق المذهب المالكي في الأندلس:-

ثمة العديد من الأسباب التي دفعت أهل الأندلس إلى اعتناق مذهب الإمام مالك، ومنها أن الإمام مالك كان في مجلس من مجالسه مع طلبة الأندلس، فأبدى إعجابه بالأمير هشام ومدحه بعدما سمع من طلابه عن حسن سيرته وأخلاقه، فقال:- "نسأل الله أن يزيّن حرمُنا بملككم "، فنقلت هذه العبارة إلى ملك الأندلس فحمل الناس على مذهبه، وترك مذهب الأوزاعي، ومع أنّ بعض المؤرخين يقول: إنّ الإعجاب من قبل مالك لعبد الرحمن وليس لهشام، ولكنّ الرواية على كلّ تدل على الإعجاب المتبادل بين مالك وأهل الأندلس[1].

وهناك سبب آخر يرويه ابن خلدون في مقدمته، وهو أنّ البيئة الأندلسيّة والمغربية أو بعبارة أخرى طبيعة أهل المغرب والأندلس كانت تشبه -إلى حد كبير- طبيعة أهل الحجاز من حيث البساطة والبعد عن التعقيد، ولهذا فإنّ عقلية أهل الأندلس والمغرب كانت تغلب عليها نزعة أهل الحديث، وهذا كان عاملاً من عوامل انتشار مذهب مالك[2]، أما البساطة والبعد عن التعقيد فيعود إلى بساطة التفكير والتقارب في المستوى الفكري[3]، موافقته أيضاً لطبيعتهم العقلية، إضافة إلى أنَ مذهب مالك يعتمد على النّصّ ولا يفتح مجالاً كبيراً للعقل، وهو مذهب يكره التفلسف والمنطق، وما أشبه ذلك بما شاع في المذهب الحنفيّ مثلاً ، ومن هنا وافق المذهب المالكي طبيعة أهل الأندلس النافرين و المبغضين للتفلسف، فتعصّبوا للمذهب الواحد وهو المالكي، وتمسّكوا بكل ما هو نصّيّ ، كأنهم يريدون بذلك أن يؤكدوا تمسكهم بالدين وبعدهم عن الزيغ، وتجنبهم الشبهات، وكأنهم يقصدون من وراء ذلك أنه برغم بعدهم عن عهد الإسلام، لكنهم أكثر محافظة على الإسلام من المشارقة[4].

ومن الأسباب الأخرى رحلة علماء الأندلس إلى المدينة وإعجابهم بسعة علم مالك، فأهم ما حصل في عهد هشام هو دخول مذهب مالك إلى الأندلس، وكان الأندلسيون قبل ذلك على مذهب الأوزاعيّ ففي الأندلس كان مذهب مالك حسن الحظّ، فقد كان مالك معاصرًا لهشام بن عبد الرحمن، معجباً به لايكف عن الثناء عليه، فلمّا وفد للأندلس أوائل تلاميذ مالك الذين درسوا عليه أمثال " الغازي بن قيس" وزياد بن

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 328/1.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن ، **المقدمة**، 449، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 140-141.

[3] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 140-141.

[4] المقري، أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، 202/4 ، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 141.

عبد الرحمن (شبطون) ، وسعيد بن أبي هند، رحّب بهم هشام وجالسهم، وسمح لهم بتدريس مذهب مالك في المسلمين، وأخذ القضاء بالحكم به ، فهؤلاء العلماء والفقهاء الأندلسيون الذين رحلوا إلى المشرق عندما قابلوا الإمام مالك في المدينة وأعجبوا بشخصيته وفقهه المعتمد على الكتاب والسّنة ، والذي يميل إلى الناحية العلمية ،إذ يرى بأن كلّ ما هو نافع للمسلمين ويتفق مع صالح جمهورهم فهو من الإسلام ما دام لا يتعارض مع أوامره ونواهيه، وقد أخذت المذاهب الأخرى من هذه القاعدة بأطراف، ولكنّ الإمام مالك يعمم ذلك ويجعله قاعدة، ولم يكن يلجأ إلى الرأي إلا في حالات الضرورة القصوى[1].

ولا ننسى يحيى بن يحيى الليثي الذي انتهت إليه رياسة الفقه والحديث في الأندلس، فإنه تتلمذ على يد مالك وأخذ عنه، وعمل جاهداً على نشر مذهبه، كما عهد إليه في اختيار القضاة وكان يختارهم على مذهبه، فترسّخ مذهب مالك في الأندلس بشكل كبير، حتى قيل إنهم لا يعرفون إلا كتاب الله وموطأ مالك، ومن الأسباب المهمة هو اعتناق الأندلسّيين هذا المذهب انتقاماً من العباسيين ،فالواقع أنّ المذهب المالكيّ والمذهب الحنفيّ يتفقان في العمل بكتاب الله وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأقوال الصحابة ، ولكنهما يختلفان في فهم الأحكام الدينية واستنباطها، وتطبيقها، فأنصار المذهب الحنفي استعملوا الرأي والقياس، أما أتباع المذهب المالكيّ فعُرِفوا بأهل الحديث، وعقلية أهل الأندلس كانت تغلب عليها نزعة أهل الحديث في التفكير،ولهذا اعتمدوا أولاً على مذهب الأوزاعي الذي كان من أنصار مدرسة الحديث ولا يرضى عما استحدثه الأحناف من أفتية ذات طابع فلسفي، ثم اعتمدوا –بعد ذلك– على مذهب مالك الذي يسير في هذا الاتجاه حتى قيل: إنهم لايعرفون بعد كتاب الله إلا موطأ مالك[2].

فلماذا قبل الأندلسيون مذهب مالك ولم يقبلوا مذهب أبي حنيفة؟

في البداية يجب أن نعرف أن المذاهب الدينية لا تنتشر بقوتها الذاتية فحسب، بل يرجع انتشارها إلى عوامل أخرى سواء سياسّية واجتماعية أوغيرها ، ومن المعروف أنّ الجيوش العربية التي غزت المغرب والأندلس كان معظمها من الحجازيين ، وأما العنصر العراقي فلم يكن ممثلاُ في هذه الجيوش، فكان من الطبيعي أن يفكر عدد كبير من هؤلاء الحجازيين في العودة إلى بلادهم لزيارة أقرباءهم وتأدية فريضة الحج[3]، وقد ساعد على ذلك اتصال الأندلسيين بالإمام مالك وإلمامهم بمذهبه، يضاف إلى ذلك أنّ بلاد

---

[1] بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 138–141، مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، 269–270.

[2] المقدسي، محمد بن أحمد ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 236، فروخ، عمر، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 586.

[3] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 140–141.

الأندلس كانت مستقلة عن الدول العباسّية لهذا كان من الطبيعي أن يكون انتشار المذهب المالكي في الأندلس يُعزى إلى تحقيق هذه النزعة الاستقلالية عن المشرق، ثم إنه يبدو أنّ الإمام مالك نفسه كان لا يحب العباسيين[1]، بدليل موقفه من ثورة العلويين التي قامت في المدينة عام(145هـ/762م)، بزعامة محمد النفس الزكية حفيد الحسن بن على بن أبي طالب أيام الخليفة العباسيّ أبي جعفر المنصور ،فيقال إنّ الإمام مالك كان يقول لأهل المدينة إنما بايعتهم مكرهين، وليس على مكره يمين أو طلاق وكان يقصد من ذلك أنه من بايع العباسيين وهو مُكره فله أن يتحلّل من بيعته لهم[2]، ويبايع محمّداً النفس الزكية، فالمذهب المالكي كان معارضاً للدولة العباسية، وقد يكون هذا من الأسباب التي جعلت الأندلسيين يعتنقونه.

ومن الجدير بالذكر أن نعلم أنّ كلاً من الأندلس والمغرب قد تمسّكتا بسياسة المذهب الواحد وهو المالكي وهذه السياسة جنّبت الثغور الإسلامية شرور الفتن والخلافات المذهبية وحفظت لها سلامتها ووحدتها الروحية، فكانت لذلك درعًا حامياً للإسلام في أقصى المغرب[3].

ومن ضمن الأسباب المهمة أيضاً الخصوصية الأندلسيّة، فالموقع المنعزل البعيد هيّأ للأندلس الفرصة لأن تتخذ لنفسها في وقت مبكر طريقاً مستقلاً عن الدولة الإسلامية العامة، ويعود ذلك إلى سنوات قليلة بعد الفتح، كما أنّ أهل الأندلس كانوا غالباً ما يختارون ولاتهم، وكانت الدولة –ويمثلها أحياناً ولاة المغرب– ترضى بهذا الواقع الذي لم يكن بإمكانها تغييره، أو كان صعباً ، هذا الاستقلال لم يلبث أن تم تقنينه في ولاية الأمير عبد الرحمن الداخل(138–172هـ/755–788م) ، والذي نجح في أن يقرر مبدأ الإمارة دون تفويض، فلم يكن انفراد عبد الرّحمن الداخل بالأندلس مجرّد إعلان عن انفراد أسرة بعينها (الأموية) بأسرة أخرى (العباسية) وإنما كان يعني ذلك أنّ قطراً اسلامياً بعينه (الأندلس) اتخذ لنفسه طريقاً مستقلاً عن الدولة الإسلامية العامة ببغداد، وحصلت أيضاً صراعات عدة بين أمويّيي الأندلس وفاطميّيي المغرب، وانتهت هذه الصراعات إلى أن أضحى المغرب الأقصى منطقة نفوذ لخلافة قرطبة، على أنّ تحقيق الاستقلال السياسيّ لم يكن بكاف بالنسبة للأندلسيين، وظهر ميل واضح لدى الدولة

[1] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،141.

[2] العبادي، أحمد، **في تاريخ المغرب والأندلس**، 124، محي الدين، صفي الدين،. **دخول المذهب المالكي إلى الأندلس**، 91–95.

[3] العبادي، أحمد، **في تاريخ المغرب والأندلس**، 124.

والشعب معاً إلى التّوحّد في مذهب دينيّ محدّد، .وهو مذهب الإمام مالك، فكفل لهم هذا التوحّد الدينيّ وحدة داخلية في جزيرة تميل إلى التعدّد، وبالتالي سهولة حكم البلاد[1] .

موقف فقهاء المالكية من المذاهب الأخرى:-

تعصب أهل الأندلس لمذهب مالك تعصّبًا شديداً، وتحمّسوا له تحمّساً بالغاً، ولذلك وقفوا ضدّ انتشار المذاهب الأخرى، سواء أكانت مذاهب فقهية أم دينية، فقد كان الإمام مالك عندهم صاحب الكلمة الأولى والأخيرة، فيما يتصل بالفقه والعقيدة وعلم الكلام، ودليل ذلك موقفهم من بقيّ بن مخلد الذي أدخل مصنف ابن ابي شيبة كاملاً، كما أدخل كتاب" الفقه الكبير" للشافعي، وكتاب "التاريخ" لخليفة بن خياط، وكتاب "في الطبقات"، وسيرة عمر بن عبد العزيز للدروقي، وصَنّف تفسير القرآن الكريم، ومسند النبي (صلّى الله عليه وسلم)، واحتفظ بلون من الاستقلال الفكري، فلم يكن يتبع مذهباً معيناً، إنما يصدر فتواه تبعاً لاجتهاده الشّخصيّ، معتمداً على القرآن والسّنّة، وهو شيء لم يكن لفقهاء المالكية أن يتركوه عليه، ولكنّهم لم يستطيعوا مهاجمته مباشرة، وانتهزوا فرصة تدريسه لمسند ابن أبي شيبة الذي يعرض آراء مالك وآراء الفقهاء الآخرين فيما جمعوه[2]، وقد واجه بقي معارضة عنيفة من فقهاء المالكية في إثارة العامة ضدّه [3]، فاقترح بعضهم فتوى لإباحة دمه، وقرّر بقيّ الرّحيل فراراً بنفسه، وبلغ الأمير محمّداً ما يحدث فاستدعاه، وجمع الفقهاء، وعقدت مناظرة ودافع بها بقي عن آرائه بقوة، فطلب الأمير محمد منه مسند ابن أبي شيبه كاملا ليطلع عليه، وبعدما اطلع عليه، قال لخازن كتبه: هذا الكتاب لا تستغني عنه خزائننا فانظر في نسخة لنا، وقال لبقي في صراحة: انشر علمك وارو ما عندك ونهاهم أن يتعرّضوا له[4] ، وإذا كان هذا مثالاً واحداً بيَن لنا كيف كان موقف فقهاء المالكية من المذاهب الفقهية، فما بالنا بمواقفهم من المذاهب الدينية والكلاميّة، مثل مذهب المعتزلة[5]، وغيره كالشيعة[6]، ولا شكّ أنّ الموقف كان أشدّ، وربما كان لهذا

---

[1] كحيلة، عبادة، **الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية**، 12-13.

[2] العبادي، أحمد، **في تاريخ المغرب والأندلس**، 124.

[3] المقري، أحمد،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 47/2، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،145-146

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،47/2، ريبيرا، خوليان، **التربية الإسلامية في الأندلس**، 25-26، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي العصر الأموي**، 150.

[5] المعتزلة: يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، وقد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً وقالوا لفظ القدرية على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، الشهرستاني، أبو الفتح، **الملل والنحل**، 38.

[6] الشيعة: هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته نصاً ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده، واعتبروا قضية الامامة بأنها ركن الدين وقاعدة الإسلام ، وليست من المصالح العامة التي ينظر بها البشر، الشهرستاني، أبو الفتح، **الملل والنحل**، 144-145

الاعتبار أثره في عدم انتشار المذاهب المخالفة للمذهب المالكي في الأندلس كثيرا[1]،وظلّ الأندلسيّون في الأغلب على هذا المذهب حتى وصل التحمّس إلى درجة أنّ بعضهم ألف كتباً مناصرة لهذا المذهب على غيره، مثل عبد الوهاب بن نصر البغدادي الذي ألّف كتابه في مئة جزء وسماه "النصرة لمذهب إمام الهجرة"ولكن يذكر أنّ الكتاب وقع في يد أحد قضاة الشافعية بمصر فألقاه في النيل لما فيه من عصبية[2].

فلم تعد الأندلس تسمع صوت غير صوت هذا المذهب بفضل التأثير الذي مارسه فقهاؤه، ولكن كان هناك أناس اعتنقوا مذاهب أخرى، ولكن صوتها كان خافتاً ، كان هناك أمراء عرفوا كيف يتحررون من نفوذ الفقهاء المالكية كالحكم الربضي، حيث سمحوا وشجعوا دخول تيارات فكرية ومذهبية جديدة، مادامت لا تمسّ سلامة العقيدة، ولا تهدم نظام الحكم مثل الأمير محمّد الأول، ولكنّ الفكر المناصر للمذهب المالكي حاول التقليل، وإن لم يكن القضاء على هذه التيارات الوافدة وإهمال شأنها، وقصر النشاط الدينيّ في مجالات الفقه والتشريع، على هذا المذهب وحده، وجعل الأندلسيون من عامة وعلماء يصدرون في الغالب عن رأي واحد وعاطفة واحدة ،فسيادة هذا المذهب لم تلغ وجود مذاهب أخرى كالشافعيّ و الحنفي[3]، والظاهري[4]، أو مذاهب دينية أخرى كالخوارج[5]، والشّيعة.

---

[1] ريبيرا، خوليان، **التربية الإسلامية في الأندلس**، 25-26.

[2] الجيوسي،سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 1184/2.

[3] المذهب الحنفي: يعود إلى مؤسسه أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيَ،وهو فقيه وعالم مسلم وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، اشتهر بعلمه الغزير وأخلاقه الحسينه، ولد بالكوفة ونشأ فيها، وكانت الكوفة إحدى مدن العراق العظيمة التي ينتشر فيها العلماء أصحاب الديانات والمذاهب المختلفة، عبد البر، أبو عمر، **الإنتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، 186-188.

[4] المذهب الظاهري: نشأ على يد داوود الأصبهاني، الذي ولد في أوائل القرن الثالث ، وتوفي في عام 270هـ، حيث يقوم هذا المذهب المذهب على أن المصدر الفقهي في ظواهر النصوص من الكتاب والسنة، فلا رأي ولا إعمال للعقل في حكم من أحكام الشرع، واعتبارهم القرآن والسنة في مرتبة واحدة، وغيرها من المبادئ الأخرى، الحنبلي، ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 298/3-299.

[5] الخوارج: كثيراَ ما يسمي الخوارج أنفسهم المؤمنين، أو جماعة المؤمنين، والأسماء الأخرى التي اشتهروا بها فقد أطلقها عليهم خصومهم، وسموهم بالخوارج لخروجهم عن رأيهم عن أئمة الحق والعدل، ومذهب الخوارج يقوم على التصلب في العقيدة، وإعلان الرأي بصراحة، وهم ست فرق: النجدات، الأزارقة، الصفرية، العجاردة، الأباضية، الثعالبة، والباقون فروعهم، البغدادي، أبو منصور، **الفرق بين الفرق**، 72.

الأمويون والمذهب المالكي:

خلال حكم هشام الرضا بدأت تتجمّع في قرطبة وطليطلة، وغيرهما من بلاد الأندلس، جماعات صغيرة من فقهاء المالكية، وهؤلاء أخذوا العلم عن مالك، وبعضهم أخذه عن أصحابه، فالمالكية امتازت بأنها لم تكن مذهباَ فقهياَ فحسب، بل كانت مذهباَ سلوكياَ أيضاَ، ويقال إنّ الناس لقبت مالك بأمير المؤمنين في الحديث، دلالة على أنَ الرعية كانت تعتبره سلطانًا عظيمًا ورجلا مهيبًا[1].

ومحافظة على جاه العلم ، لم يتول مالك للعباسيين وظيفة، بلّ ظل شخصية رفيعة عالية يقدّرها الجميع، وتدلّ تراجم شيوخ المالكية الأوائل الذين أخذوا عن مالك مباشرة ، والذين أخذوا عن تلاميذه،على أنّ معظمهم عرفوا كيف يقيمون لأنفسهم في البلاد التي استقرّوا فيها سلطاناَ روحياَ، ومعنوياَ وسياسياَ، دون أن يثيروا مخاوف أهل السلطان، ومن الأمثلة على ذلك سيرة سلمة بن دينار الأعرج، وعبد الرحمن بن القاسم العتقي، ووصل إلى هذه المكانة في الأندلس كبار الفقهاء الذين عاصروا هشام بن عبد الرحمن، وابنه الحكم الربضي، وقد كانوا جميعهم مالكيين قد جمعوا بين علم مالك وذكائه، وكانوا أمراء في العلم لهم في قلوب الناس مكانة كبرى، فهم تلاميذ إمام دار الهجرة، وحفّاظ الحديث والسّنة، وكان باستطاعتهم أن يضيفوا على سلطان الأمويين في الأندلس تلك الصبغة الشرعية التي كانوا في أشد الحاجة إليها[2].

وتبدو حاجة الأمويين في الأندلس إلى هذا التأييد في صورة واضحة من خلال موقف كلّ من عبد الرحمن الداخل، ثم ابنه هشام من الفقهاء، والعلماء، وقد بلغ الأمر بقاضيه عبد الرحمن اليحصبي أن تحدى أمره تحدّياَ صريحاَ، فأصدر حكمه في قضية كان عبد الرحمن يريده أن يتأنَى فيها مجاملة لصنيعة من صنائعه، فأصدر القاضي حكمه ونفذه في الحال[3].

ولو فعل أيّ رجل آخر هذا لما كان نصيبه من عبد الرحمن إلا العقاب الشّديد، ولكن عبد الرحمن استمع إلى وجهة نظر القاضي ، وأدرك صحّة ما يقول ، بأنه يجب أن يكون عادلاً بين الرّعيّة، لا يؤثر أحد على أحد، وإن أراد أن يتعاطف مع صنيعته لا يكون ذلك على حساب المصلحة العامة، فأخذ عبد

---

[1] مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 20

[2] نفسه،20-21.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 323/1.

الرحمن بهذا الرأي فعلاً وحلّ مشكلة صنيعته بأن اشترى الضيعة من ماله الخاص، وقد وقف عبد الرحمن موقفاً شبيهاً من ذلك مع المصعب بن عمران حين رفض أن يتولّى له القضاء[1].

وقد جمع الأمير هشام حوله الفقهاء ، وأخذ برأيهم في مناسبات عدّة، وكان تقريبه للفقهاء ينسجم وشخصيّته التي تتسم بالورع والتقوى، حتى قبل أن يتولّى الإمارة، ولا شك أنّ الفقهاء كانت لهم في عهده المنزلة العظمى، وهذا ساعد الأمير على إرساء دعائم حكمه،[2] وتأييد مواقفه في الميادين كافة، إلا أنّ وريثه وابنه الحكم بن هشام لم يكن كوالده ممّن يُحسن صحبة الفقهاء، وقد يرجع ذلك إلى صغر سنّه، وهذا يحول دون أن يكون الفقهاء هم من يُزيّنون مجلسه، فأبعدهم ولم يحظوا بالمنزلة ذاتها التي كانت في عهد والده، وهذا دفعهم إلى التعريض به أمام الناس، وإلى إثارة الناقمين للثورة عليه[3].

فمن خلال ما سبق نستطيع التوصّل إلى نتيجة، مفادها أنّ الأندلسيين اعتنقوا المذهب المالكي، وتحمّسوا له تحمّساً شديداً ، حتى إنهم كانوا يعارضون أيّ مذاهب مخالفة له، وهذا التعصّب ناتج عن إيمانهم العميق بسعة علم مالك، ومعرفته بالأحكام، وضرورة الأخذ بما قال والعمل به.

العلاقات التعليمية لفقهاء المالكية:

سيعرض البحث أوجه العلاقات التعليمية بين الفقهاء، وذلك للتعرّف على طبيعتها ، وبيان أبرز ملامحها، لكونهم فئة علمية مؤثّرة ،لها تأثير كبير في المجتمع، فمن خلال اهتمام فقهاء المالكية بالدراسة والبحث العلمي فقد واجهوا العديد من الصعوبات للحصول على المعلومات، ولكنهم عندما استطاعوا الحصول عليها عملوا جاهدين على دراستها، والاستفادة منها، ومن ثمّ نشرها في المجتمع الأندلسيّ ليستفيد منها المجتمع بأكمله، وكي لا تكون حكراً بيد فئة قليلة، ومن طرق الحصول على المعلومات لدى فقهاء المالكية [4]:

- **انتقال الفقهاء بين المدن:**

فقد هيأ تنقل فقهاء المالكية بين المدن وسيلة مباشرة للاتّصال فيما بينهم، ممّا أتاح أمامهم فرصة مناسبة لتبادل المعلومات، وقد قدم عبد الرحمن بن القاسم نصيحة لعيسى بن دينار وقت عودته لبلاده من مصر

[1] مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 20-22.

[2] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في فتح الأندلس والمغرب**،2/ 64.

[3] مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 20-22.

[4] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،56.

، دلّت على أهمّية اختيار الفقهاء المناسب للمدن التي يستقرون فيها، حيث نصحه بأن ينزل في أعظم مدن الأندلس، ولا ينزل في مدينة يضيع فيها علمه، فهذا الكلام فيه تحفيز على التنقّل بين المدن ، وإشارة إلى أنّ العلماء يجدون في المدن الكبيرة مراكز استقطاب لهم ، وذلك لمصلحة العلم الذي يحملونه من ناحية نشره، والاستفادة الواسعة منه أو تطويره بالاختلاط مع علماء آخرين، وحتى الاستفادة منه بنيل وظائف لدى الدولة[1] .

ونرى أنّ بعض الفقهاء طلب منهم بعض العلماء وأهل المدن التي نزلوها البقاء بينهم للاستفادة بشكل أوسع من علمهم، فقد جاء إلى القيروان بعض فقهاء المالكية، مثل عبد العزيز بن يحيى الهاشمي، وذلك سنة(225هـ/839م)، من المدينة المنورة، وعندما قرّر العودة طلب منه بعض فقهاء القيروان البقاء بينهم مدة أطول ليتسنى لأكبر عدد من المهتمين السماع منه وأعانوه على البقاء بينهم، وفي السنة نفسها قدم للقيروان أبو يحيى زكريا بن يحيى الوقار ت(254هـ/868م)، من مصر وهو من طلب من فقهاء القيروان أن يعينوه على البقاء فيها، كما أعانوا عبد العزيز بن يحيى[2].

وعندما توجّه محمد بن حارث الخشني من القيروان إلى سبتة قبل سنة (320هـ /932م)، أبقاه أهلها عندهم ليدرّسهم الفقه ، وفي مصر طلب من عدد من فقهاء الأندلس البقاء فيها، فعندما قرر قاسم بن محمد بن سيار القرطبي ت(276هـ/889م) العودة للأندلس عاتبه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم(286هـ/899م)، وأخبره بحاجتهم إلى علمه، وأنه لو بقي بينهم سيكون في مقدمة فقهائهم[3].

فهناك العديد من الأسباب التي دفعت الفقهاء للانتقال بين المدن، ومن ضمنها:

-الأسباب السياسية:

كان السبب السياسي أحد الدوافع الرئيسية لانتقال الفقهاء بين المدن ، وذلك بتأثير بعض الحوادث السياسية التي تعرّضت لها البلاد مثل هيج الربض سنة(202هـ/817م)، فقد ثار قسم من سكان قرطبة على الأمير الحكم بن هشام بتحريض من الفقهاء، وانتهى هذا الحادث بالفشل وهدم الربض الشرقي منها، وقتل بعض السّكّان ومنهم بعض الفقهاء ، ممّا دفع بعض من نجا إلى الهرب، وكانت مدينة طليطلة من المدن التي شُدّ إليها الرّحال مثل يحيى بن يحيى وعيسى بن دينار ، وعبد الجبّار بن طالوت، وغادرت

---

[1] القاضي عياض،عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 270/5.

[2] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،56-57.

[3] نفسه، 57.

الغالبية إلى خارج الأندلس بعد أن أصدر الحكم الربضي أمراَ بنفيهم من قرطبة ، حيث استقر قسم منهم في فاس بمنطقة عرفت"بعدوة الأندلسيين"، وتوجه القسم الآخر إلى الإسكندرية ومنها إلى جزيرة قبرص[1].

-الجهاد:

كانت العلاقة وثيقة بين العلم والجهاد، وتولَى الفقهاء الدعوة للجهاد، وشاركوا فيه في أحيان كثيرة، وقدّم بعضهم طلب العلم على الجهاد، ولهذا عندما قرر عبد السلام سحنون الجهاد وسمع

بهذا عبد الرحمن بن القاسم بمصر من محمد بن رشيد ت202هـ/817م، أخبره أن يبلغ سحنون بالقعود عن الجهاد والتبرع بالعدة التي حضّرها لغيره من المجاهدين، وأن يتفرّغ لطلب العلم فهو أولى به من الجهاد وأكثر ثواباَ[2] ، وأشار سحنون بدوره على عبد الرحيم بن عبد ربه بالمرابطة، وبناء رباط قصر زياد، وذلك أفضل من خروجه للجهاد مع الجيش المتوجّه إلى صقلية، ويبين هذا دور الربط في نشاطي العلم والجهاد، ففي المغرب عمرت ربط السواحل بالعلماء ، وعرف قصر زياد باسم "دار مالك" لكثرة ما ورده من فقهاء المالكية [3]، وازداد ورود العلماء إلى الربط في مواسم معينة ، خاصّة خلال شهر رمضان، فقد كان سحنون يتوجّه إلى المنستير في رمضان مع عدد من الفقهاء، ومنهم موسى بن معاوية ت(226هـ/840م)ويعودان إلى القيروان بعد انتهاء ليلة القدر ، وكذلك يحيى بن عمر بن يوسف ت(289هـ/901م)حيث كان يتوجّه إلى المنستير في رمضان[4].

أما في مجال الاطلاع على الكتب، فقد استطاع علماء القيروان سماع المستخرجة أحد أبرز كتب المذهب المالكي ، وكان سماعها لأول مرّة من يحيى بن عبد العزيز بإعطائهم النسخة التي كانت لديه وأوقفها على طلبة العلم، وأحد أقسامه تحدث فيه عن أبي جعفر أحمد بن نصر ت(307هـ/919م)، وتتجلّى أهمّية الخدمة التي قدمها يحيى بن عبد العزيز للقيراونين بعد ذلك بمرور الوقت، حيث أصبحت المستخرجة أبرز كتب الفقه المالكي التي اعتمد عليها المغاربة[5] .

---

[1] القاضي عياض، عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 270/5،المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**، 63.

[2] القاضي عياض، عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 270/5.

[3] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،68.

[4] نفسه،68-69.

[5] الخشني، أبو عبد الله، **أخبار الفقهاء**،373.

وجوه التعاون بين الفقهاء:

-المشاركة في التأليف:

تم التعاون أحياناً في مجال تأليف الكتب، وذلك بإتمام كتاب بدا فيه صاحبه ولم يستطع إتمامه لسبب ما، ويكون غالباَ السبب هو وفاة المؤلّف الأصلي ، فجاء بعده من حرص على إتمامه، ومثال ذلك كتاب" الدلائل في شرح ما أغفلَ لأبي عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث" ، وموضوع هذا الكتاب يتعلّق بغريب الحديث النبوي ، أما مؤلّفه فهو قاسم بن ثابت السرقسطي(313هـ/925م)، وتولّى ذلك ولده ثابت بن حزم ، ولكن قام بعذ ذلك خفيةَ ثابت بن قاسم ت(352هـ/963م) بإدخال إضافات عليه [1]، ويبدو أنّ المحفز الرئيسي لثابت بن حزم في إتمام الكتاب هو العلاقة الاجتماعية التي ربطته بمؤلفه ، كما أنّ رحلة الأب وابنه في طلب العلم إلى المشرق كانت واحدة، فاشتركا في الشيوخ أنفسهم والسماعات نفسها ، وكان من ثمارها أن ألّف قاسم بن ثابت كتاب "الدلائل"، ويبدو أنّ الأب كان مطلعا على مراحل تأليف الكتاب ، ولا سيّما أنّ سماعها كان واحداَ ، ومن المحتمل أن مصادر قاسم بن ثابت السرقسطي ومسوداته كانت لدى أبيه بعد موت قاسم ، كما أن موضوع الكتاب كان منار اهتمام في هذا الوقت في الأندلس حيث أقبل الأندلسيون على دراسة علوم الحديث النبوي[2] ، كما دخل الأندلس كتاب "شرح غريب الحديث" لأبي عبيد القاسم بن سّلام ت(242هـ/856م)[3]،وكتاب "غريب الحديث" لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ت(276هـ/889م)[4]، وهذا ما دفع قاسم بن ثابت ليكمل ما فاتهما .

وكلَ ذلك شكّل دافعاً قويّاً لثابت لأنّ يكمل تأليف "الدلائل" ، وجعله يدرك استحقاق الكتاب لأن يرى النور ، فسار على خطى ابنه وأكمله بعد وفاته مباشرة ، وفعلاً عدّ كتاب الدلائل من الكتب المتميزة في موضوع غريب الحديث[5]، وقد أثار إكمال ثابت للكتاب لبساً لدى بعض المؤرّخين، فنسبوا الكتاب إليه،

---

[1] الحميدي، محمد، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، 331.

[2] انتعشت دراسة الحديث النبوي الشريف في الأندلس في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، على يد محمد بن وضاح توفي 287هـ/899م، فقد كان من أوائل من درس الحديث على أساس ومنهج علمي، وكانت الأندلس قد عرفت قبله رواية الحديث النبوي بلا تعمق، في دراسته، صادق، جعفر، **الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق**، 62.

[3] أبو عبيد يعتبر من كبار العلماء المسلمين، وقد تنوعت العلوم التي برع فيها، من حديث وأدب، وفقه، وهو من أهل هراة ، ولد وتعلم بها، ثم انتقل إلى بغداد وكانت وفاته في مكة، الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، 254/16.

[4] عبد الله بن مسلم بن قتيبة ولد في مدينة مرو، ونشأ في بغداد، حرص على الدراسة وطلب العلم من صغره، وله مؤلفات عدة في علوم اللغة العربية، وتوفي 213هـ/828م، ابن خلكان، أحمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 3\42.

[5] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب** ،81 .

بينما أكد آخرون أنّ الكتاب من تأليف قاسم بن ثابت ، كما أنّ مخطوطات الكتاب تشير إلى نسبته إلى قاسم ، والإشارة فيها عند بداية كلّ موضوع هي " قال قاسم" [1].

-مقابلة الكتب وتصحيحها:

بعد الحصول على السماع واستنساخ المادة المسموعة تبدأ مرحلة توثيق السماع وضبطه لتكتمل شروط روايته لصاحبه، وأول خطوة يجب القيام بها هي المقابلة، أو المعارضة[2]، وحسب قواعد الرواية النظرية على كلّ من يحصل على السماع وينسخه عليه أن يقابل ما نسخه مع الأصل الذي أخذ منه[3]، وبموجب المقابلة يمكن للحاصل على السماع أن يكشف الأخطاء المحتملة الوقوع في أثناء النسخ ، مثل تغيير بعض الكلمات أو نسيان أخرى، وأحيانا إضافة كلمات غير موجودة أصلاً ، ومن لم يقابل كتابه عليه أن يصرح بذلك عند تسميع المادة[4]، وهناك رأيان حول

كيفية المقابلة ، فالرأي الأول متشدد فقد رأى ضرورة المقابلة مع أصل الشيخ الذي أخذ منه السماع[5] ، ومثال ذلك الفقيه سعيد بن عثمان الأعناقي القرطبي(ت305هـ/917م) والذي كان يسمح لأصحابه بانتساخ ما يريدون سماعه وقراءته بأصله قبل القراءه عليه[6]، أما الرأي الثاني فهو أكثر تساهلاً من الأول، الأول، حيث أجاز المقابلة مع نسخة قوبلت بالأصل وشارك صاحب السماع في عملية المقابلة شخص آخر ثقة ومأمون، وذلك في حالة عدم إمكانية الحصول على أصل الشيخ ، وقد سمع عبد الله بن طالب من سحنون وكان من كبار أصحابه، ومع ذلك لم يتسن لهم المقابلة بأصول سحنون فاستعان بالفقيه إبراهيم بن النعمان ت(283هـ/896م) والذي كان من أصحاب سحنون ، وعرف بصحّة سماعه وثقته[7] .

التعاون في المحافظة على الكتب وإعارتها:

برز التعاون في الحصول على الكتب وإعارتها في العديد من المجالات المختلفة التي كان لها الأثر الأكبر في إفادة الكثير من الأشخاص من هذه الكتب، ومن ثمّ نشر العلم بين فئات عديدة من المجتمع، وعدم حصره لطائفة معينة ، وهذا ما سنتحدث عنه فيما يلي:

---

[1] الفحام، شاكر، **الدلائل في غريب الحديث**، 272-274.

[2] مادة قابل ، قابل الشئ بالشئ مقابلة، عارضه، ومقابلة الكتاب بالكتاب معارضة، ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب المحيط**، 12/3.

[3] القاضي عياض،عبد الله، **الإلماع لمعرفة أصول الرواية وتقييد السماع** ، 59.

[4] عابدين، عبد المجيد، **التوثيق تاريخه وأدواته**، 17.

[5] السمعاني، عبد الكريم، **أدب الإملاء والإستملاء**، 154-156.

[6] القاضي عياض،عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 270/5.

[7] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،81-84.

-وقف الكتب[1]:

وقف الكتب مظهر من مظاهر التعاون بين الفقهاء، فتلك الكتب التي بذل أصحابها جهدًا كبيرًا في سماعها والاهتمام بدقتها وقيمتها العلمية تعدّ شهادات ووثائق لسماعهم، ومن هنا تأتي قيمتها العلمية بالنسبة لأصحابها، بالإضافة إلى قيمتها المادية[2].

ولهذا ثمّة تساؤل يطرح نفسه عن مصير تلك الكتب بعد وفاة أصحابها، ومن الطبيعي أن يأخذها الورثة، فإذا كانوا من المهتمين بالعلم فهم سيعرفون قيمتها، ويحرصون عليها، لا سيما عند حصولهم عليها، فلذلك يحق لمن يحصل على مادة علمية موثقة ومكتوبة بخط صاحبها أن يرويها عنه ، ويستخدم عبارة "وجدت بخط فلان" ، أو "قرأت بخط فلان".

فبعد وفاة الشخص تنتقل هذه الكتب للورثة فيعملوا على وقفها في المساجد، أو عند أصدقائهم لينتفع بها الجميع ، ومن الأمثلة على ذلك خالد بن محمد بن أحمد الفرضي ت(381هـ/991م)، والذي ورث كتب جدّه أحمد بن خالد ت(322هـ/933م)، وقد يحدث أن تُباع تلك الكتب إذا لم يهتم الورثة إلا بقيمتها المادية ، فقد بيعت كتب أحمد بن علي بن حميد القيرواني ت(251هـ/865م) بعد موته بألف دينار ومائتين، وكتب عبد الرحمن بن يوسف ابن الملجوم باعتها ابنته بأربعة الآف دينار ، وأما محمد بن عبد السلام الخشني (ت 286هـ/899م) فلم يحفظ أبناؤه كتبه وضّيعوها ، ولذلك عمل العلماء على وقف الكتب قبل وفاتهم [3].

فالوقف بالنسبة لبعضهم لا يمكن توريثه، أو بيعه، حيث يعتبر صدقة جارية[4]، ويلاحظ أن بعض الفقهاء أوقف كتبه لدى فقهاء آخرين ربطته بهم صلات معينة، فقد أوقف أبو عمر هارون بن سالم القرطبي ت(238هـ/852م) كتبه عند أحمد بن خالد ، وكانت بينهم قرابة من جهة الأم، أما إبراهيم الزاهد الأندلسي الذي استقر في القيروان وتُوفّي فيها فقد أوقف كتبه عند يحيى بن عمر بن يوسف ت 289هـ/901م فقد كان أندلسيّ الأصل أيضاً [5].

---

[1] الوقف ، والتحبيس، والتسبيل، بمعنى واحد، وهو لغة: الحبس والمنع، يقال: وقفت كذا أي حبسته، ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب المحيط**، مادة(وقف).

[2] عبد الرحمن، عثمان، **علوم الحديث**، 158.

[3] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،87.

[4] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب المحيط**، مادة وقف، 155/3، الكبيسي، محمد، **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية**، 33/1.

[5] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،87-89.

-إيداع الكتب:

اتخذ الفقهاء موقفًا آخر للمحافظة على كتبهم خوفًا من مصادرتها من قبل الدولة، حيث قام عدد من الفقهاء بإيداع كتبهم عند غيرهم من الفقهاء ممّن تربطهم بهم علاقة وثيقة، بحيث برزت المساندة التي قدمها الفقهاء لبعضهم البعض في الأوقات الحرجة، ومنهم البهلول بن راشد فقد نشب خلاف بينه وبين محمد العكي[1] والي إفريقيا بسبب قرار العكي إرسال سلاح إلى الروم مقابل المال ، كما تعرّض بعض فقهاء القيروان إلى محنة القول بخلق القرآن [2]، ومنهم سحنون حيث دعاه والي إفريقيا أحمد بن الأغلب إلى القول بمحنة خلق القرآن ، فهرب وبقيت كتبه عند عبد الرحيم بن عبد ربه [3]، وتعرَض يحيى بن عمر للموقف نفسه حيث طلبه القاضي أبو العباس بن عبدون[4] فهرب يحيى بن عمر منه ، وأودع كتبه عند أبي جعفر أحمد بن سعدون(ت 323هـ/934م)، فانتهز أبو جعفر الفرصة ونسخها كلّها.

-التعاون في توجيه الطلبه العلمي:

من دلائل حياة الفقهاء العلمية وتعاونهم فيما بينهم توجيه عدد من طلابهم لطلب العلم من غيرهم من الشيوخ، إذ أنّ تنوع الشيوخ الذين يأخذ عنهم طالب العلم وتعددهم في آن واحد أو تباعًا مسألة معروفة في تاريخ التعليم الإسلامي، وللطالب حرّية اختيار شيوخه، ومع ذلك فإنّ دور الشيخ بالنسبة للطالب يقتصر على تقديم المادة العلمية فحسب وإنما يرشد الطالب أيضًا ويوجّهه الوجهة الملائمة لميوله وقدراته[5]، ويوجّههم شيوخهم أحيانًا إلى شيوخ جدد للأخذ عنهم سواء باستشارة من الطالب نفسه، أو بتوجيه ذاتي من الشيخ ، فقد حض سعيد بن عثمان الأعناقي في قرطبة طلبته للأخذ عن محمد بن قاسم بن محمد ت(321هـ/940م) والذي كان من أكثر شيوخ عصره رواية للحديث النبوي الشريف، وفضلاً عن براعته في الفقه[6].

---

[1] محمد بن مقاتل العكي، والي افريقيا سنة 181هـ/797م، من قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد ،ولم تحمد سيرته فيها، وثار عليه عامله في تونس، فعزله الرشيد سنة 184هـ/800م، وعين بدله ابراهيم بن الأغلب،المراكشي،ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 37/1.

[2] كان المعتزلة في بلاد المغرب أقلية مستقلة، برزت خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، واستمرت حتى القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، وقد نادوا بمسألة خلق القرآن بالرغم من الرفض الذي واجهوه في المغرب، جوليان، شارل، **تاريخ افريقيا الشمالية**، 64/2.

[3] ابن فرحون، المالكي ، **الديباج المذهب في معرفة علماء أعيار المذهب** ، 426/1.

[4] أبو العباس بن عبدون من أبرز فقهاء المذهب الحنفي في القيروان، وقد تولى قضاءها أكثر من مرة، وقد تعرض فقهاء المالكية للأذى منه وقت قضاءه، فقد ضرب وسجن بعضهم، الخشني، محمد، **طبقات علماء افريقية**، 189.

[5] منير الدين، أحمد، **تاريخ التعليم عند المسلمين**، 75-78.

[6] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب،93-96**.

ويبدو أنّ التعاون بين الفقهاء كان اللحمة التي ربطت حلقة التواصل العلمي بينهم ، فقد وجه سحنون أحد طلبته للأخذ عن عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد، حيث فات الطالب بعض السماع عن سحنون وأراد أن يسمع ما فاته، فطلب ذلك من سحنون، وبدلاً من أن يسمعه ما أراده أحاله على عبد الرحيم الزاهد ليسمع منه تلك المادة ، وقال له كأنك تسمعها مني[1].

-العلاقة التعليمية:

تُعدّ العلاقة التعليمية إحدى أبرز صور التعاون بين الفقهاء ، وتدلل على أنّ طلب المعرفة العلمية لا يتوقّف عند حدّ معيّن ، فقد احتاج الفقهاء أحيانا إلى معرفة رأي غيرهم في بعض المسائل التي أشكلت عليهم ، فقد استعصت على محمد بن مسرور النجار ت(295هـ/907م) في القيروان مسألة من كتاب أشهب بن عبد العزيز[2] فسأل عنها سعيد بن الحداد، وكانت مسألة معقدة وصعبة فوضحها سعيد بن الحداد[3].

وفي قرطبة سأل محمد بن وضاح ت(287هـ/900م) الفقيه عبد الأعلى بن وهب ت(261هـ/874م) عن مسألة معينة فأجابه عنها عبد الأعلى بن وهب برواية أخذها عن أصبغ ابن الفرج، ثمَ سأل محمد بن أحمد العتبي ت (257هـ/870م) المسألة نفسها، ولم تكن له معرفة بها فأخبره برواية عبد الأعلى بن وهب عنها عن أصبغ بن الفرج فأخذها العتبي أيضاً وأدخلها في كتابه "المستخرجة"[4].

وحين سأل أحمد بن إبراهيم الفرضي ت(290هـ/902م)، أحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن ت(330هـ/941م) عن مسألة متعلقة بالميراث وذكر رأيه فيها ويبدو أن رأى احمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك كان مخالفًا لرأيه، وعندما سألهما عن تلك المسألة ووضح رأيه لم يؤيداه وبادر محمد بن عبد الملك وعرض وجهة نظرهما التي لم يستطع أحمد معارضتها[5].

-الحصول على السماع:

لم تقتصر المواظبة على السماع على وقت طلب العلم فحسب، بل حصل العديد من الفقهاء على سماعات جديدة بعد وصولهم إلى مرتبة علمية متقدمة، وفي وقت هم يقومون بتسميع الناس وذلك من

---

[1] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب،93-96.**

[2] أبو العرب، محمد بن أحمد، **طبقات علماء افريقية وتونس**، 177.

[3] ابن فرحون، المالكي ، **الديباج المذهب في معرفة علماء أعيار المذهب** ، 66/2.

[4] أبو العرب، محمد بن أحمد، **طبقات علماء افريقية وتونس**، 149.

[5] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،97.

باب تواصلهم العلمي فغالبًا ما توجد مادة علمية لم يتسنّ لهم في السابق سماعها أو مادة من نتاج جديد حصلوا على سماعها لمواكبة التطورات العلمية[1].

ودفع ذلك الحرص ببعض الفقهاء أن سمعوا من طلاب أتوا أساساً للسماع منهم بعد أن وجدوهم مؤهلين لذلك، وعلموا بوجود مادة علمية لديهم من المفيد لهم سماعها ، ومن أولئك الفقهاء أبو العرب تميم بن محمد حيث التقى فيه بالقيروان الطالب الأندلسي قاسم بن مسعدة ت(317هـ/929م)، ليسمع منه، وذلك في طريق عودته إلى الأندلس من المشرق بعد انتهاء رحلته لطلب العلم، وقد ركّز في رحلته تلك على علوم الحديث النبوي لا سّيما على الرجال منهم ، ولمس أبو العرب نباهة قاسم بن مسعدة في علم الرجال ، ووجده جديراَ أن يأخذ عنه فسمع منه[2].

وقام بعض الفقهاء بطلب السماع من فقهاء آخرين لكتب ربّما لم تتوافر لديهم ، أو رغبوا في الحصول عليها بسند جديد وذلك لأهمّية تلك الكتب وضرورة حصولهم عليها، مثل كتاب عبد الله بن وهب، لهذا طلبوا سماعها من غيرهم من الفقهاء ممن توافرت لديهم ، حيث سمع محمد بن يوسف بن مطروح ت(271 هـ/884م) في قرطبة من إبراهيم بن محمد بن باز ت(274هـ/887م)[3].

ومثلما حرص الفقهاء على أخذ المادة العلمية التي فاتهم سماعها سابقاَ حرصوا أيضاً على سماع المادة الجديدة التي دخلت إلى مدنهم عن طريق غيرهم من الفقهاء ، فعندما عاد أسد بن الفرات من رحلته من المشرق سارع أغلب فقهاء القيروان إلى الأخذ عنه، ولا سيّما روايته للأسدية التي عرفت فيما بعد ب" المدونة" ، أما يحيى بن عمر فقد توجّه إلى زيارته في سوسه أحمد بن عبد الرحمن القصري ت(322هـ/933م)، فوجده قد ألّف كتاباَ جديداً، ولرغبته بالحصول عليه باع قميصه ليشتري بثمنه رقوقاً لينسخ عليها الكتاب، فسمع الكتاب عن يحيى بن عمر ونسخه وأدخله القيروان عند عودته إليها[4].

-مجالس التدريس:

حضر بعض الفقهاء مجالس غيرهم من معاصريهم من الفقهاء التي أقاموها لطلابهم ولا سيّما الذين عُدّوا من أصحابهم [5]، وذلك تقديراً لأصحابها ، ورغبةً في الاطّلاع على ما يدور فيها تحديداً لمعلوماتهم،

---

[1] أبو العرب، محمد بن أحمد، **طبقات علماء افريقية وتونس**، 149.

[2] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،98-99.

[3] القاضي عياض، عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 225/4.

[4] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،98-99.

[5] لازم بعض الطلاب شيوخهم مدة طويلة قد تمتد لعشرات السنوات، حتى مع وصولهم لمرتبة علمية تجعلهم في مصاف شيوخهم، ولكنهم ما كانوا يتركونهم احتراماً لهم وطموحاَ لاحتلال أمكنتهم بعد وفياتهم، وسمي هؤلاء الطلاب بأصحاب الشيوخ، القرافي،أحمد، **الأحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام**، 75.

وأحياناً للمشاركة في النقاش الدائر وإبداء الرأي، وأبرز تلك المدارس هي " مجالس التدريس" وكان يُدرّس فيها أنواع محددة من العلوم ومنها الفقه ، وكان شيوخها يتبعون منهاجًا خاصّاً بالتدريس بالتدرّج من السهل إلى الصعب ، ويتم طرح المسائل الفقهية للنقاش ، ويشارك الطرفان: المدرس وأصحابه فيها، إما أن يلقي المدرّس وأصحابه يجيبون[1]،وأحيانا يحصل العكس فيطرح الطلاب استفساراتهم ويجيب المدرس عنها[2] ، ودُرّست في هذه المجالس أمهات الفقه المالكي المدونة" "المستخرجة" "الواضحة" وغيرها فضلاً عن طرح مسائل فقهية مختلفة [3].

وثمة من أكدّ على ضرورة حضور شخصيّة المدرّس وفكره في المادة التي يدرّسها، وأن لا يقتصر دوره في المجلس على طرح المسائل الموجودة في الكتب المعتمدة وإعادة ما هو موجود فيها على الحاضرين، وإنما عليه أن يفسّرها ويوضّحها ، ليبدي رأيه فيها ، وإلا لا توجد فائدة مرجوّة من ذلك المجلس ، والأفضل لمن يحضره أن ينقطع عنه ويقوم بنفسه بدراسة تلك الكتب والتفقه فيها[4]، ولمجالس التدريس أيضًا تقاليد وقواعد معينة في حضورها، والدراسة فيها مطلوبة من الطرفين: المدرّس والحاضرين.
ومن أبرز تلك المدارس التي عرفتها القيروان مجلس سحنون، فقد حضر محمّد بن عبدوس ت(260هـ/873م)أحدها، وأحمد بن موسى العطار ت(274هـ/887م)، وعبد الله بن الطبنة ت(248هـ/862م)، وعبد الله بن سهل القبرياني ت (248هـ/862م)[5].

أما الفقيه القرطبي أبو وهب عبد الأعلى بن وهب، فقد حضر مجلس سحنون عندما دخل القيروان وقت عودته من رحلة إلى المشرق، وذلك لرغبته في معرفة رأي سحنون في مسألة فقهية معينة [6] فقد علم عبد الأعلى أنّ سحنون يقول فيها بغير قول ابن القاسم من أصحاب مالك، ورأى عبد الأعلى أنه الصّواب وأخذ رأي ابن القاسم[7] .

---

[1] القاضي عياض، أبو عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 4\225.

[2] نفسه 80/5.

[3] ابن الأبار، محمد بن عبد الله، **التكملة لكتاب الصلة**، 447/1.

[4] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،100.

[5] نفسه، 100-101.

[6] القاضي عياض، أبو عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**،225/4.

[7] الخشني، أبو عبد الله، **أخبار الفقهاء**، 263.

-مجالس الفتوى:

الفتوى هي تبليغ حكم شرعيّ عن الله إلى من طلبه دون أن يقترن ذلك التبليغ بالإلزام ، ومن يتنصب للفتوى عليه أن يحصل على كفاءة علمية معينة تؤهّله لذلك [1].

وقد أسهمت العديد من المصادر في تحديدها وبيان العلوم الداخلة فيها [2]، وكان بوسع من يجد في نفسه الكفاءة أن يجلس للفتوى، ولكن في الوقت نفسه فإنه من صلاحيات الخليفة أن يمنع من يجلس للفتوى من ذلك، إذا ثبت أنه ليس أهلًا لها، كما كان على المفتي أن يحصل على تأييد وموافقة من كبار الفقهاء وأصحاب الكلمة المسموعة ، فقد تباحث سحنون وعتب بن أبي الأزهر ت(255هـ/868م) في جلوس موسى بن معاوية الصمادحي للفتوى في القيروان ، فقال سحنون عن ذلك " ما جلس في الجامع منذ ثلاثين سنة أحقّ بالفتوى منه"، أما أبو سنان زيد بن سنان ت (244هـ/858م) فقد جلس للفتوى قبل تولي سحنون القضاء، ويظهر أنّ سحنون لم يكن موافقاً على ذلك ، وعندما تولّى سحنون القضاء أرسل اليه أبو سنان يطلب الحصول على تأييده بجلوسه للفتوى، وإذا لم يوافقه سحنون على ذلك، فإنه سيترك الجلوس للفتوى[3].

وكانت مجالس الفتوى مفتوحة، حيث سمح بحضورها لمن يرغب في ذلك، وقد فضّل طلاب الفقه والفقهاء حضورها، فقد كان لها اهمّية تعليمية لا تقل عن أهميتها الوظيفية، ففيها تم التطبيق العمليّ للأحكام الفقهية، ممّا أتاح للطلاب فرصة تدوينها ودراستها، أما الفقهاء فقد تعدّى دورهم أحياناً أكثر من الاستماع والإمعان بما يطرح فيها، فمنهم من شارك بالإفتاء فيها، والملاحظ أنّ غالبيتهم كانوا من أصحاب الفقيه المفتي صاحب المجلس[4].

أما أحمد بن ليبدة ت(261هـ/874م) فهو من طلب من أصحابه الإجابة عن بعض المسائل التي كانت ترده، ومنهم أحمد بن نصر ، وموسى القطان ت(306هـ/918م)[5]، وكان محمّد بن سحنون يطلب من عيسى بن مسكين بن منصور ت (295هـ/907م) إذا حضر مجلساً أن يجيب عن بعض المسائل ، بينما لمّح سليمان بن سالم ت(281هـ/894م) لشيخه زيد بن بشر ت(242هـ/856م)، برغبته بالتعليق على

---

[1] القرافي، أحمد، **الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام** 84.

[2] ابن عبد البر، عمر بن يوسف ، **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله**، 2/101-103.

[3] القاضي عياض، أبو عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**،4/104.

[4] القرافي، أحمد، **الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام**،60.

[5] المشهداني، علياء، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**،101-102.

مسألة طُرحت على زيد بن بشر حول الصّلاة ، وأجاب زيد عنها حسب قول أشهب من أصحاب مالك[1] .

يتّضح ممّا سبق أنّ فقهاء المالكية في الأندلس ربطت بينهم علاقة وثيقة، عمادها التواصل العلمي، وتمخّض عن تلك العلاقة نشاطٌ ملحوظٌ في الحياة العلمية في الأندلس، وكانت المراسلة وسيلة مهمّة من وسائل الاتصال بين الفقهاء.

وبموجب ذلك التواصل بين الفقهاء نشأت بينهم علاقات تعاون، كما وكان الحوار الفكري بين الفقهاء في الأندلس فعالاً عن طريق المناقشات التي كانت تدور بين الفقهاء .

2- المذهب الشافعيَ:

بالرغم من سيادة المذهب المالكي بالأندلس إلا أنّ المذهب الشافعي وجد له طريقًا في هذه البلاد في عهد الأمير محمّد الأول(238- 273هـ)[2]، الذي كان أول أمير أمويّ يتسامح ويشجّع دخول المذاهب الأخرى، لما رآه ولمسه من قوة نفوذ فقهاء المالكية ورغبته في الحدّ من نفوذهم، كما حاول الحكم الربضي ذلك من قبل، إضافة إلى توسيع آفاق الحياة الفقهية بحيث لا تقتصر على مذهب واحد، وذلك بالرغم من تحذيرات فقهاء المالكية له، وكان قاسم بن محمد بن سيار القرطبي[3] أول دعاة المذهب في العاصمة الأندلسية[4]، حيث تفقّه في المشرق على هذا المذهب وارتبط به، ولمّا عاد للأندلس دعا إلى ترك التقليد والأخذ بالحجّة والنظر والاستنباط، والاعتماد على الإجماع والقياس، وأخذ يدرّس المذهب في قرطبة تحت رعاية الأمير محمد الذي منحه الحماية في مواجهة دعاة التقليد من فقهاء المالكية، وعهد إليه بتحرير وثائقه وشروطه، وظلّ في هذا المنصب حتى تُوفّي(276هـ/ 890م) [5] ، وتأكد هذا التشجيع بشكل أوضح عندما شمل الأمير محمد برعايته فقيها آخر وهو أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي

---

[1] القاضي عياض، أبو عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**،197/4.

[2] الأمير محمد ، ويكنى أبا عبد الله، واسم أمه تهتز، كان حليماً عفيفاً كاظما لغيظه، حسن الأدب بصيراً بالحساب، فكان يتولى محاسبة أهل خدمته، وكان محباً للعلوم مؤثراً لأهل الحديث عارفاً حسن السيرة، الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 31.

[3] قاسم بن محمد بن سيار القرطبي، مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، كان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد، ومال إلى مذهب الشافعي، ويذكر أن والده أوصاه بالأخذ برأي الشافعي، ولم يكن مثله في حسن النظر، والبصر بالحجة، توفي عام 277هـ/890م، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 470/1.

[4] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 148-150، فروخ، عمر، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 586.

[5] بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 147-149، أبو زهرة، محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، 408-410.

صاحب التفسير، فقام هذا بمحاولات لإدخال المذهب الشافعي للأندلس، ولكنها فشلت ورحل للمشرق، وأصبح له تلاميذ ساروا على منهجه، ومنهم محمّد بن وضّاح ، وكذلك أحمد بن بشر المعروف بابن الأغبس[1] وكان من أهل قرطبة وسمع من ابن وضّاح والخشني وغيرهما، وكان متقدما في معرفة لسان العرب، والبصر في لغاتها منفرداً في ذلك، وكان مشاوراً في الأحكام، ويذهب في فتياه للمذهب الشافعي، ويميل إلى البصر والحجّة، وأحمد بن عبد الوهاب بن يونس[2]،ويرجع في فتواه للمذهب الشافعي، وتُوفّي (327هـ/938م)، ومنهم أيضاً أبو الجعد أسلم القرطبي الذي رحل للمشرق في عام(260هـ/873م) ولقي عدداً من أصحاب الشافعي، ومنهم محمد بن الحكم بن يونس بن عبد الأعلى، ولكنّه بالرّغم من ميله للشافعي إلا أنه قضى طبقاً للمالكي، لأنه مذهب الدولة الرسمي، وتُوفّي عام(319 هـ/931م)، ومن الشافعيّين أيضاً خلف بن عبد الله بن مخارق الخولاني الذي كان صاحب الجزيرة الخضراء وسكن قرطبه حوالي (229هـ/912م)[3].

فبقي بن مخلد ملأ الأندلس حديثاً ورواية ، وقد ثار عليه فقهاء المالكية؛ لأنّ مسند ابن أبي شبية الذي كان يقرؤه لم يعرض وجهة نظر أهل المدينة فقط، وإنما كان يعرض آراء خصومه أيضاً، ممّا جعلهم يثيرون عليه العامة، ولكنّ الأمير محمّد شجّع بقي على هذا، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد، وكان الغالب عليها رأي مالك وأصحابه[4]، وأحمد بن عبد الوهّاب بن يونس المعروف بابن صلّى الله من أهل قرطبة، وكان حافظاً للفقه عالماً بالاختلاف، بصيراً بالحجج، حسن النظر يميل للمذهب الشافعي، وله سماع من شيوخ وقته، وله حظّ وافر من العربية واللغة، وينسب لمذهب الاعتزال أيضاً ، وفيما بعد في عصر الخلافة في الأندلس ظهر ابن حزم الذي درس المذهب المالكي وتحوّل بعدها للشافعي ثمّ للظّاهري، حيث عمل على تسخير كلّ مواهبه لإحياء المذهب الظاهري من جديد[5].

---

[1] أحمد بن بشر بن محمد بن اسماعيل، يعرف بابن الأغبس، من أهل قرطبة، ويكنى أبا عمر، سمع من ابن وضاح، والخشني، ومطرف بن قيس، وكان متقدماً في معرفة لسان العرب، والبصر بلغاتها، وذهب في فتياه للمذهب الشافعي، وكان يميل إلى النظر والحجة، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،75/1.

[2] أحمد بن عبد الوهاب بن يونس، المعروف بابن صلى الله، من أهل قرطبة، ويكنى أبا عمر، كان رجلاً حافظاً للفقه، عالماً بالاختلاف ذكياً بصيراً، حسن النظر، وكان يميل للمذهب الشافعي، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،93/1.

[3] عبد البر، أبو عمر، **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، 115-117،دويدار، حسين ، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 148-150.

[4] دويدار، حسين ، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 148-150، بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 148.

[5] عبد البر، أبو عمر، **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، 115-117،دويدار، حسين ، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 148-150.

3- **المذهب الحنفي:**

في الواقع لم يجد هذا المذهب له أتباعاً في الأندلس في عصر بني أمية إلا أفراداً قلائل، وقد أبدى المقدسي دهشته ،حيث ذكر أنهم في الأندلس يقولون لا نعرف غير كتاب الله وموطّأ مالك، على حين أنّ ثمة أتباعاً كثيرين لمذهب أبي حنيفه في المغرب[1]،وكان الرّدّ عليه أن ذلك من فعل الأمير، ثم يروى قصّة ينسبها إلى هذا الأمير الذي لم يذكر اسمه ولعله هشام بن عبد الرحمن، فيقول :إنّ الأحناف والمالكية نتاظرا بين يديه ذات يوم، فقال: من أين أبو حنيفة، فقالوا من الكوفة، قال: ومالك؟ قالوا من المدينة، فقال: عالم دار الهجرة يكفينا وأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة، وقال:لا أحبّ أن يكون في عملي مذهبان، ولكن يبدو في هذه القصّة طابع الصّنعة والتكلف بالرغم من ذكر المقدسي أنه سمعها من عدّة مشايخ في الأندلس[2].

فهل كان الأمير الأموي يجهل موطن كلّ من أبي حنيفة ومالك ليِسأل ذلك، ولكن يظهر أنّ السبب في ذلك عدم ميل الأمويين لهذا المذهب؛ لأنه مذهب خصومهم العباسيّين،ولذلك مالوا لمذهب الأوزاعي إمام أهل الشام أولاً، ثم مذهب مالك إمام أهل المدينة، الذي أثنى على سياسة هشام بن عبد الرحمن الداخل، هذا بالإضافة إلى أنّ مذهب أبي حنيفة يعتمد على المنطق والعقل أكثر من مذهب مالك الذي يعتمد على النصوص، ممّا يجعل الأندلسيين يُقبلون على مذهب مالك نظراً لتوافقه مع طبيعتهم البسيطة وثقافتهم [3]، ثم إنه مذهب أهل المدينة مثوى الرسول (صلى الله عليه وسلَم)ولها من المنزلة والمكانة ما لها.

ومن أشهر أتباع المذهب الحنفي في الأندلس الأعشى القرطبي[4]، وكان أول من تأثَر بفقه أهل العراق ورحل من الأندلس لمكة عام(179 هـ/795م)، وسمع من سفيان بن عيينه، وتُوفّي(221هـ/835م)[5]، ويظهر ذلك من خلال رأيه في شرب النبيذ، فقد ذهب لمذهب أبي حنيفة في هذه المسألة، حيث قال: بقصر اسم الخمر على عصير العنب فقط، وأما ما اتّخذ من غير العنب من الأشربة كالتمر والشعير

---

[1] المقدسي، محمد بن أحمد ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 237، دويدار، حسين ، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 148-150، بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 153.

[2] المقدسي، محمد بن أحمد ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 237.

[3] الناصري، أحمد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ،60-62.

[4] الأعشى القرطبي، هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري المعروف بالأعشى، رحل من الأندلس إلى مكة سنة 179هـ، وسمع من سفيان بن عيينه وغيره، وكان الغالب عليه الحديث و رواية الآثار وكان صالحاً عاقلاً يذهب إلى مذهب أهل العراق، ت221هـ،المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 278/2.

[5] المقري، أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 351/1، بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 152-155.

سمي نبيذاً وهو حلال إذا لم يُسكر، أما إذا أسكر فإنه يلحق بالخمر ويصير محرّماً، ويستدلون على ذلك بقوله" حُرّمت الخمرة بعينها والسّكّر من كل شراب"، وبما روى من أنّ عمر بن الخطّاب كان يشرب النبيذ ويقول" إنا نأكل لحوم هذه الإبل فنشرب عليها النبيذ الشديد ليقطعها في بطوننا"[1]، ويتجلى ذلك من قصّة (الأعشى القرطبي) مع القاضي محمد بن زياد الذي قبض على رجل يشرب نبيذاً فحبسه ليقيم عليه الحد، فذهب الأعشى إلى حارسه وأخبره بأنّ القاضي قد أمر بإطلاق سراح الرجل، فأطلق سراحه ولم يكن القاضي قد أمر بذلك، وكان قد عرض على الأعشى القضاء إلا أنه رفض، واشتهر بمزاحه وأنه صاحب حكايات ونوادر[2].

وأيوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكاشي بن إليان القرطبيّ، رحل للمشرق ودخل العراق، فسمع فيها، وعاد معه الكثير من كتب أهلها، وكان يميل إلى الحجّة والنظر، ولا يرى التقليد، ولذلك انصرف عنه الطلاب ولم يتتلمذ عليه إلا ابنه[3].

4- المذهب الظاهريَ:

دَخل المذهب الظاهريّ للأندلس على يد عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال القرطبي، حيث رحّل للمشرق في عهد الأمير محمد وتلقّى العلم على يد داوود الأصبهاني مؤسّس المذهب، كما وجد عدداً من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق ومهّدوا للفقه الظّاهري، ومنهم بقيّ بن مخلد ،وأبو عبد الله بن وضّاح، أما أول ظاهري منافح في سبيل المذهب من أهل الأندلس فهو منذر ابن سعيد البلوطي الذي عاش ما بين (272-355هـ)[4].

ويقوم هذا المذهب على أنّ المصدر الفقهي في ظواهر النصوص من الكتاب والسّنّة، فلا رأي ولا إعمال للعقل في حكم من أحكام الشرع فليس في هذا المذهب قياس ولا استحسان ولا ذرائع ولا مصالح ،وأصول

---

[1] الناصري، أحمد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، 60-62.

[2] نفسه، 62.

[3] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 153-154.

[4] الحنبلي، ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 3/298-299،محمود، عبد المجيد، **الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري**، 363-365، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 157-158.

الظاهرية في القرآن والسّنّة ،والإجماع والدليل ،وإن لم يكن شيء من ذلك اعتمد الاستصحاب، وكلّ هذه الأصول نصوص أو راجعة إلى النصوص[1].

وأهل الظاهر يلتزمون بمذهب المحدثين في اعتبارهم القرآن والسّنّة في مرتبة واحدة، وهي مرتبة النصوص، فنصوص القرآن والسّنّة يكمل بعضها البعض، ويضاف بعضها إلى بعض وانتشار المذهب الظاهري بدأ بعهد مؤسسة الأصبهاني برغم المعارضة الشديدة لهذا المذهب، وكان انتشاره لما قام به من كثرة التآليف حيث ألف كتبًا كلها سُنن وآثار مشتملة على أدلته التي أثبت بها مذهبه، وبالرغم من اهتمام تلاميذه بنشر كتبه، إلا أنّ عدم تبنّي أفراد الأندلس لهذا المذهب أسهم في اندثارة، وذلك سبب عدم اعتماد هذا المذهب على المصادر الاجتهادية المرنة التي تعطي للفقه الإسلامي قابلية التطور والنموّ، ولكن بظهور ابن حزم بدأ ينتشر من جديد[2].

6- المذهب المسَري:

يعتبر محمد بن مسرة أول مؤسّس للفكر الأندلسيّ، وقد أطلعه أبوه عبد الله بن مسرة ت(266هـ/ 899م) بمكّة على المذهبين الباطني والمعتزلي فضلاً عن الروحانيات التي أخذها بالمشرق، كما تتلمذ على يد محمد بن وضّاح الخشني[3]، وخرج إلى المشرق في أواخر أيام الأميرعبد الله [4] واتّهم بالزندقة، ودخل القيروان ولبث فيها مدّة، وبعدها ذهب للحجاز فحجّ وزار قبر الرسول(صلّى الله عليه وسلّم)، وظلّ في المدينة يتبع آثاره، فدلّ على دار زوجته مارية القبطية وكانت دار بسيطة في أعلاها سقيفة فعمل على تحديد مساحتها، وعندما عاد للأندلس قام ببناء مثلها لسكناه في جبل قرطبة، وقد صحبه في هذه الرحلة من معتنقي مذهبه محمد بن حزم بن بكر التنوخي، ويُعرف بابن المريني، وكان من أهل طليطلة، وأيوب بن فتح، وأحمد بن غانم، ومحمد بن وهب المعروف بابن الصقيل[5].

---

[1] أبو زهرة، محمد، **ابن حزم(حياته وعصره وآراؤه الفقهية)** 297-299، فروخ ، عمر، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 586.

[2] ميتز، آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، 388-389، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 157-158.

[3] الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 1090/2، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،183-185.

[4] عبد الله بن محمد كان حافظا للقرآن كثير تلاوته، وله صدقات كثيرة ونوافل، وكان متقدماً في ورعه ،وفضله، ومحباً للخير وأهله، متفننا في ضروب العلوم، النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 232/23.

[5] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 184.

ويظهر أنَ ابن مسرة اشتغل في الشرق بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة، ثم عاد للأندلس فأظهر النسك والورع، واختلف الناس إليه وسمعوا منه، ثمّ انقسموا في موقفهم منه إلى فريقين:-

الفريق الأول: اعتبروه إماماً في العلم والزهد.

الفريق الثاني: وصف مذهبه بالفساد وسوء المعتقد والابتداع والخروج عن العلوم المعلومة بالأندلس، الجارية على مذهب التقليد والتسليم[1].

ويبدو من خلال دراسة مذهبه أنه جمع بين الاعتزال والتصّوف[2]، وأما مبادئ الاعتزال التي قال بها فمنها القول بالاستطاعة، وإنفاذ الوعيد، والتأويل في القرآن، يقول ابن حزم " إنّ ابن مسرة شارك المعتزلة في القول بالقدر، وكان يقول: إنَ علم الله وقدرته صفتان مخلوقتان، وإنّ لله تعالى علمين: أحدهما: أحدثه جملة وهو علم الكتاب أو علم الغيب، والثاني: علم الجزئيات وهو علم الشهادة، فإنه لا يعلم منه شيئاً حتَى يكون[3]، واستشهد بذلك بقوله (علم الغيب والشهادة)[4] وذكر ابن الفرضي أنه كان يحرّف التأويل في كثير من آيات القرآن، وكان مع ذلك يدَعي التكلّم على تصحيح الأعمال، ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق في نحو من كلام ذي النون، والاخميمي المصري، وأبي يعقوب النهرجوري، وأنه كان له لسان يصل إلى تأليف الكلام، وتمويه الألفاظ وإخفاء المعاني، وأنه وفد عليه جماعة من أهل المشرق منهم ابن زياد الأعربي وابن سالم التستري[5].

وأما المبادئ الباطنية في مذهبه فإنه بناها على آراء نسب إلى لانبيذ بروقلس[6] الفيلسوف اليوناني الذي يُعدّ أول الحكماء اليونانيين السّبعة ونسب اليه كرامات كالصّوفية، ولكن في الحقيقة هي بعض آراء فنون

---

[1] الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 1092/2، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،184.

[2] التصوف: نزعة من النزعات، لا فرقة مستقلة كالمعتزلة، والشيعة، ، وأهل السنة، ولذلك يصح أن يكون الرجل معتزلياَ وصوفياَ، أو سنياَ وصوفياَ، بل قد يكون نصرانياَ ،أو يهودياَ، وهو متصوف، أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، 838.

[3] أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، 719-721، بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 193.

[4] الرعد،9

[5] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،184-185.

[6] لانبيذ بروقلس: هو القائل بالدهر، وتجرد للرد عليه يحيى النحوي بكتاب صنفه في ذلك، وكان عالماَ بعلوم القوم، وله العديد من التصانيف التي ورد فيها عن حدود الطبيعيات، وكتاب شرح أفلاطون، القفطي، جمال الدين، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، 73.

الإسكندري[1]،وفلوطين[2]، ومن هذه الآراء المنسوبه إليه: الجمع بين معاني صفات الله، وأنها كلَها تؤدّي إلى شيء واحد، وأنه إذا وصف بالعلم والجودة والقدرة وغيرها من الصفات، فليس هو ذا معانٍ متميّزة تختصّ بهذه الأسماء المختلفة ،بل هو الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثّر بوجه، وتزعم الفرق الباطية أنّ لها رموزاً قلما يقف عليها، ويمكن الاستنتاج من أقوال ابن مسرة أنّ النبوة من الممكن اكتسابها وأنه قد يصل إليها من بلغ الغاية في الصلاح، وطهارة النفس، بالرغم من إنكار بعض الصّحابة هذا القول له[3]، وإبرز مذهب ابن مسرة نظرة ثانوية عن أفلوطين وهي القول بوجود مادة روحانيّة، تشترك فيها جميع الكائنات ماعدا الذات الإلهية، واعتبرت هذه المادة أول صوره برزت للعالم العقلي الذي يتألف من الجواهر الخمسة الروحانية[4].

فهو بذلك أراد بناء منهج فلسفي يقوم على مبدأ وحدة الوجود، وأنَ أصالة فلسفة ابن مسرة تكمن في الاستفادة من هذه الفكرة، وأنه بنى على هذا المذهب فكرته عن كونية العالم، وعقيدته في الآراء الحرّة، والعالم الإلهي السابق، وعدم تطهير الروح إلا بعد عودتها للعالم الروحاني، فجذب له تلاميذ كثرًا ومن تلاميذه الحكم الطّبيب، وسعيد ،وعبد الملك، وإسماعيل الرعيني، وألف ابن مسرة كتباً منها "الحروف" و"التبصرة" ولكن لم يصل سوى عناوين هذه الكتب[5].

لقد أصبح المذهب المسري يشكّل القاعدة الأساسّية لفكر المتصّوفة الجدلي في الأندلس وأثّر –بشكل بارز– في المدرسة التي سّماها آسين بالاثيوس ب " المدرسة الألميرية"، وهي التي اكتسبت نواتها الأساسية قوة جعلت فقهاء ألمرية بزعامة البرخي الوحيدين الذين تجرّأوا على استنكار حرق كتابات الغزالي[6].

وهكذا تتضح لنا الدرجة الرفيعة التي بلغها علماء الأندلس في ذلك العصر، وكيف أنهم أثبتوا قدرتهم الكبيرة على الوصول إلى ما بلغه أندادهم من المشارقة .

---

[1] فنون الاسكندري: أحد علماء مصر في الزمن الأول، من أهل الاسكندرية، له معرفة بعلم الأفلاك، وحركات النجوم، وله كتاب" القانون" و"الأفلاك" القفطي، جمال الدين، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، 197.

[2] فلوطين: هذا الرجل كان حكيماً مقيماً ببلاد اليونان، له ذكر وشرح شيئاً من كتب أرسطو طاليس، وخرج شيء من تصانيفه من الرومي إلى السرياني، القفطي ، جمال الدين، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، 196.

[3] الجيوسي، سلمى(محرر)، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، 2/1091–1092، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 183–184.

[4] القفطي، جمال الدين، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، 196، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،184.

[5] نفسه، 2/1091–1092.

[6]الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 2/1091–1092.

وموجز القول، فقد أظهر الأندلسيّون بنشاطهم العلمي في ميدان الفقه. قدرة هائلة من التحصيل العلمي، والإنتاج الفكري الواسع، في عصر الإمارة الذي ضمّ الكثير من الفقهاء البارزين الذين أغنوا الفقه بدراساتهم الفقهية القيّمة، وقد حرص هؤلاء الفقهاء في مسيرتهم العلميّة القيمة على الالتزام بالمذهب المالكي ،عدا البعض منهم كابن مسرة، وأنّ الناظر في نتائج هذا النشاط العلميّ ليدهشه التفوّق العلمي الذي أحرزه الأندلسيّون آنذاك في ميدان الفقه.

ج- الفكر الإسلامي :

من الطبيعي أن يكون التديَن والعناية بشعائر الدين أمرًا واضحًا، وسمة مميّزة في بلد شغل بالحرب طويلاً والرباط كالأندلس، فقد عُرفت الأندلس بوجود العديد من المذاهب الدينية المختلفة كالخوارج والشيعة وغيرها ممّا سنتحدث عنه فيما بعد، بالرغم من سيادة المذهب المالكي، وهو المذهب الرسميّ في البلاد آنذاك.

1- المعتزلة[1]:

وَجد دعاة المعتزلة كغيرهم من دعاة المذاهب الأخرى كالشّيعة والخوارج متنفّسًا لهم في بلاد المغرب، واستطاعوا نشر آرائهم وأفكارهم في أوساط البربر بصفة خاصّة، ويرجع نشاط المعتزلة إلى أوائل القرن الثاني الهجريّ، حيث أرسل واصل بن عطاء الذي يُنسب إليه تأسيس المذهب مجموعة من الدعاة لنشره في كثير من الأقطار[2].

وكان من هؤلاء الدعاة الذين أرسلهم لنشر المذهب عبد الله بن الحارث ويبدو أنّ نشاطه قد لقي رواجاً في أوساط البربر، فقد اعتنقت بعض قبائل البربر مذهب الاعتزال، وإذا كانت المذاهب الأخرى قد لقيت مقاومة من الأمويين في الأندلس، كونها لذلك لم تنتشر ولم يكن لها عددٌ كافٍ من الأتباع فإنّ مذهب المعتزلة قد وجد مجالاً أوسع وعدداً أكبر من المؤيدين[3]، فمثلاً كان الأمويون ينظرون إلى المذهب الشّيعيّ على أنه مذهب يريد أصحابة أن يصلوا به إلى أهداف سياسة بخلاف مذهب المعتزلة، الذين لا يبغون

---

[1] المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء الغزالي، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وهم الواضعون لدعائم علم الكلام الإسلامي، فبهم تأسس وبمجهودهم تطورت موضوعاته بما أضافوا إليه من مباحث جديدة أثرت موضوعاته، ولهم دور كبير في تطويره وصياغة مشكلاته، العكلوك، عبد اللطيف، **منهج المعتزلة في توحيد الأسماء والصفات**، 5.

[2] أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، 719-721، بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 178-181.

[3] البشري، سعد الله، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، 36-39 ، فروخ، عمر ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 586.

من ورائه إقامة دولة مثل الشيعة والخوارج، ولكن ليس معنى ذلك أنّ الأمويين قد رحّبوا بهذا المذهب، بل إنهم قاوموه، ولكن لم تكن مقاومتهم له مثل مقاومتهم للمذهب الشّيعيّ[1]، وممَا لاشكّ فيه أنّ تعصّب جمهور أهل الأندلس للمذهب المالكي قد جعلهم ينظرون إلى غيره من المذاهب الفقهية والدينية (الكلامية) بعدم الرّضا، ويستدلّ على ذلك من قول المقدسي وهم يقولون لا نعرف إلا كتاب الله وموطّأ مالك[2].

وقد واجه فقهاء المالكية هذا المذهب باستنكار شديد، ومن كان يكتشف أمره يدعو لهذا المذهب كان يتم إبعاده، وعندما وصل إلى قرطبة الطيّب بن أبي برده سنة(361هـ/971م)، في عهد المستنصر إذ أنه أحسن استقباله على أنه من الشافعية، ولمّا عرف أنه من المعتزلة أبعده فوراً(373هـ/983م)[3].

ورغم ذلك فقد وجد من يعتنق مذهب المعتزلة ويدعو إليه ويبدو أنّ السبب في ذلك هو أنّ المعتزلة التزموا العمل سراً أكثر من الشيعة، واستطاع بعضهم أن يثبت آرائهم خفية دون أن يلحظهم أحد، أو يثيروا غضب المتشددين من فقهاء المالكية الحريصين على الاتجاه السّنّيّ المحافظ[4].

ومن الصّعب تحديد الوقت الذي بدأت آراء المعتزلة تتسلّل تدريجياً بين أكثر عناصر الشّعب الأندلسي ثقافة، نظراً لطبيعة هذا المذهب الذي يعتمد على العقل كثيراً، ولكنَ ذلك لم يحدث قبل حكم الأمير محمد الأول بن عبد الرحمن الأوسط (238-273هـ) الذي سمح للكثير من الآراء والأفكار بالدخول للأندلس، فدخلت كثير من كتب المعتزلة إليها، وتلقّفها الكثير من المثقفين، وخاصَة القضاة، ومن أوائل القائلين بهذا المذهب في الأندلس، أحمد بن موسى بن حدير، الذي كان يقول " إنّ الله عاقل وأحمد بن عبد الوهاب بن يونس"، كما المنذر بن سعيد البلوطي اتّهِم بالميل لهذا المذهب، وابنه الحكم كان رأس المعتزلة وكبيرهم[5].

بالإضافة إلى عبد الأعلى بن وهب القرطبي ت(262هـ/875م)، الذي كان من الفقهاء المشهورين الذين آمنوا بحرية الاختيار، خلود الروح[6]، وكذلك خليل بن عبد الملك بن كليب القرطبي الذي اشتهر

---

[1] الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 2/1091-1092، أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، 719-721.

[2] المقدسي،محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 236.

[3] أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، 719-720، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 145-146.

[4] بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 178-181.

[5] ، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 145-146.

[6] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 375/1.

باسم خليل الغفلة، وكان معاصراً لبقي بن مخلد[1]، ورحل للمشرق ودرس على الكثيرين، وتحدّث بعد عودته للأندلس عن استقلال الإرادة وحرّيّة الإنسان في أفعاله، ورفض مبدأ الجبرية القائل بأنّ الإنسان مجبور في أفعاله[2].

وأشتهر خليل بالمجاهرة في آرائه دون تستّر، وكان في أول أمره صديقاً لمحمد بن وضاح فلما تبين له أمره هجره، وكان يؤول كثيراً من الأشياء، ويذكر أنه جاء لبقي بن مخلد وسأله عن أربعة أشياء:" قال: ما تقول في الصراط؟ قال: الطريق ويريد الإسلام، فمن استقام عليه نجا، قال: ما تقول في القرآن؟ فلجلج ولم يقل شيئاً ، وكأنه ذهب إلى أنه مخلوق، فقال: ما تقول في القدر؟ قال إنّ الخير من عند الله، والشّرّ من عند الرّجل، فقال بقي: لولا حالتك لأشرت بسفك دمك، قم فلا أراك في مجلس بعد هذا الوقت"[3].

ويظهر أنه لم يتعرّض لأيّ نوع من الأذى في حياته، ولكنّه تعرّض للهجر والمقاطعة من أصدقائه نظراً لآرائه، ولكن بعد وفاته جاءت جماعة من فقهاء المالكية ومنهم أبو مروان بن أبي عيسى وأخرجوا كتبه من بيته وأحرقوها إلا ما كان فيها من كتب المسائل[4].

وكان لخليل مؤيد قويّ في مذهبه، وهو تلميذ أبي بكر يحيى بن يحيى، والمعروف بابن السمينة ت 315هـ/927م، وكان كما قال عنه ابن الفرضي" متصرفاً في ضروب من العلم ، متفنّناً في الآداب ورواية الأخبار، مشاركاً في الفقه والرواية وعقد الشروط، بصيراً بالاحتجاج وعلم الكلام، نافذاً في معاني الشعر، وعلم العروض، والتنجيم ،والطّبّ"[5]. وكان قد رحل إلى المشرق، ومّال إلى كتب الحجّة ومذاهب المتكلمين، ثمَ عاد للأندلس وأصيب بمرض النقرص، وظل ملازما لداره يقصده فيه الكثيرون وكان يعلن أخذ ذلك بالاستطاعة عن أستاذه خليل بن عبد الملك، ويبدو أنّ مذهب الاعتزال بدأ يشقَ طريقة شيئاً فشيئاً بين المثقفين والعامة[6] .

---

[1] البشري، سعد الله، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، 39-41 ، ، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 145-146.

[2] أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، 719-720، فروخ، عمر، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 586.

[3] ، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 152-153.

[4] نفسه، 153-155.

[5] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،913/2.

[6] ، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 155.

وبعد ذلك أطلق على الاعتزال علم الكلام[1]، ولكن لم ينل علم الكلام عناية كبيرة عن أهل الأندلس في بادئ الأمر، حيث كانوا يتَخذون طريقة السلف منهجاً ومسلكاً، ولم يميلوا إلى الخوض في دراسة هذا النوع من العلوم أو حتَى تشجيع دراستها، فكانوا يتّهمون كلّ من يخوض بها بالكفر والإلحاد، وأنه بدعه في الدين، ولذلك امتنعت الناس عن دراستها أو حتّى التفكير فيها.

فكان للموقف الصارم الذي اتخذه علماء الأندلس تجاه أهل الكلام ودراساتهم، أثر في القضاء على تعدد المذاهب، ومنع تسرّب التيارات الكلامية إلى الأندلس، الأمر الذي أدّى إلى ضعف الاشتغال به، وفي ذلك قول ابن حزم[2] "وأما علم الكلام ،فإنّ بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل، فقّلّ لذلك تصرّفهم في هذا الباب، فهي على كلّ حال غير عريّة عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، ولهم فيه تآليف، منهم خليل بن اسحاق ويحيى بن السمينة".

وعليه، فإنّ علم الكلام كان بدعة من البدع، ولا شكّ في أنّ أتباعه بخروجهم على ما رسمته الشريعة الإسلامية استوجبوا سخط الأمة الإسلامية، وكراهية جماعة المسلمين لهم؛ فلذلك لم يعمَر مذهبهم طويلاً ولم يجد له أتباعاً كثرًا، فكان موقف فقهاء المالكية في الأندلس موقفاً صارمًا في محاربة المتكلّمين، وآرائهم باعتبارهم أهل بدع وضلال، وبذلك نستطيع أن ندرك حال علم الكلام في الأندلس وانكماشه بسقوط أتباعه أمام قوة أهل السَنة.

2- الخوارج:

إذا كان مذهب المعتزلة قد لقي معارضة شديدة في الأندلس؛ فإنّ مذهب الخوارج بلا شك قد لقي معارضة ومقاومة أشدّ، ومن المعروف أنّ مذهب الخوارج وخاصّة، الإباضّية[3]، والصفرية[4] قد وجد لهم مجالاً وصدًى في بلاد المغرب ووجد أتباعه فيها مجالًا خصباً لبثَ أفكارهم وتشريعاتهم بعيداً عن قبضة

---

[1] علم الكلام: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في سبيل الاعتقادات على مذهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد، ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، 415.

[2] ابن حزم، أبو محمد علي، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، 186/2.

[3] الإباضية:أجمعت الإباضية على القول بإمامة عبد الله بن اباض، وأجمعوا القول على مرتكب الكبائر القول : بأن كفار هذه الأمة يعينون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة، براء من الشرك والإيمان ، وأنهم ليسوا مؤمنين، ولا مشركين، ولكنهم كفار، وأجازوا شهادتهم، وحرموا دماءهم في السر، البغدادي، أبو منصور، **الفرق بين الفرق**، 95.

[4] الصفرية: أصحاب زياد بن الأصفر، وقيل سموا بذلك نسبة إلى مؤسسها زياد بن الأصفر، وذلك نتيجة لكثرة العبادة، ومبادئهم كمبادئ الأزارقة في أن مرتكبي الكبائر مشركون، ولكنهم لا يريدون قتل مخالفيهم من الأزارقة، ويقولون بموالاة عبد الله بن وهب، وحرقوس السعدي، البغدادي،أبو منصور، **الفرق بين الفرق**،84.

الخلافة، وأقبل عليه الكثير من البربر، لأنه كان يتلاءم مع نزعتهم وعقلياتهم بما فيه من بساطة ووضوح من ناحية، وصلابة وتشدّد وقوة مراس من ناحية أخرى[1].

وقد أسهمت الأوضاع والظّروف السياسيّة والاجتماعيّة التي كان يمرّ بها المغرب في تمهيد السبيل لانتشار مذاهب الخوارج فيه، ومن القبائل التي انضمّت للمذاهب الخارجيّة البتر والبرانس أصل البربر، وقد اعتنقت قبيلة زناته المذهب الإباضيّ وساعدت الدولة الرستمية الإباضية ، فقد قال أحد ولاتها: إنّ هذا الدين إنما قام بسيوف نفوسه وأموال زناته، وغيرها من القبائل كنفوسة ،ولماية ،وهوارة، وممن اعتنق المذهب الصفري، قبائل مكناسة، ومطغرة، وبرغواطة[2].

كانت أول ثورة خارجية تندلع على أرض المغرب سنة(122هـ/739م)، بقيادة ميسرة المطغري، ويُعرف بالحقير بائع الماء بسوق القيروان، وقد استطاع ميسرة أن يقود مجموع أتباعه من الخوارج الصفرية وغيرهم ليقضي على ولاة طنجة وإقليم السوس واتبعه هؤلاء وبايعوه بالخلافة وخاطبوه بأمير المؤمنين، وفشت دعوته سائر القبائل بإفريقيا، ويذكر أنَ أتباعه كانوا يحلقون رؤوسهم تشبَهًا بالخوارج من الأزارقة وأهل النهروان من أتباع عبد الله وهب، وقد استطاع المذهب الخارجي بشقيه الإباضي والصّفري أن يحقّق نجاحًا سياسيًا، بالإضافة إلى نجاحه في إقامة دولتين خارجيتين، أحداهما دولة صفرية في سجلماسة في المغرب الأقصى سنة(140هـ/757م)، والأخرى الإباضية في المغرب الأوسط وهي الدولة الرستمية سنة (160هـ/776م)[3].

3- الشيعة :

كانت ضربات الأحزاب المعارضة من شيعة وخوارج تتزايد على بني أمية حتى انتهت بسقوط دولتهم عام(132هـ/749م)[4]، وظنّ الشيعة والخوارج أنّ الدولة أصبحت لهم، ولكن خاب ظنّهم حين قبض أبناء عمومتهم من بني العبّاس على ناحية الأمر وجعلوا الخلافة في بيتهم[5]، وعاد الشيعة مرّة أخرى لنشاطهم كحزب معارض[6]، أما العباسيّون فإنهم بدافع الانتقام من بني أمية نكّلوا بمن بقي منهم تنكيلاً شديداً حتى

---

[1] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 189-191.

[2] البغدادي، أبو منصور، **الفرق بين الفرق** ، 84.

[3] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 189-191.

[4] الشهرستاني،أبوالفتح،**الملل والنحل**،144-145.

[5] مكي، محمود، **التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**، 6-7.

[6] العسقلاني، شهاب الدين، **تهذيب التهذيب**، 94/1.

اضطرّوا أن يتخّفوا ويهربوا إلى أقاصي الأرض وكان ممّن هرب من مطاردة العباسيين عبد الرحمن بن معاوية الذي هرب للأندلس مدفوعاً بعوامل منها، بُعدها عن مركز الخلافة العباسيّة في المشرق، إضافة إلى كثرة موالي الأمويين فيها، واستطاع أن يؤسس في قرطبة إمارة أموية مستقلة، وحفّز نجاحه الكثير من الأمويين للذهاب للأندلس، وكان يعطيهم أفضل المناصب، وهكذا رسخت أقدام الأمويين في الأندلس[1]، ومن الواضح أنّ الأندلس منذ فتحت كانت أموية النزعة، ولهذا كان التشيّع بها ضعيفاً ،وقد استغرق عبد الرحمن بن معاوية مدة إمارته(138-172هـ)(755-788م) يعمل على إخماد الثورات التي قامت ضدّه وذلك بضرب ومقاومة كلّ دعوة هاشميَة عباسيّة كانت أو علوية[2]، ورغم ذلك وجُد في الأندلس مركزان للتشيّع كانا مصدراً للثورات، وهما:

1 - بين البيوت العربية التي دخلت الأندلس وكانت تدين بنصرة آل علي من قبل .

2 - بين القبائل البربرية.

كان الفاطميّون بعد تأسيس دولتهم في المغرب يهدفون إلى نشر مذهبهم الشيعي في الأندلس، وإلى غزو هذه البلاد لجعلها مع المغرب وحدة واحدة، تخضع لسلطانهم ولمذهبهم، وبهذا انقسم العالم الإسلامي إلى قسمين:-

القسم الأول: يتبع للخلافة العباسيّة.

القسم الثاني: يتبع للخلافة الفاطميّة[3].

وبدأت المحاولات الثقافية الشيعية بالتغلغل داخل الأندلس عن طريق الأندلسيّين الذين رحلوا إلى المشرق وأخذوا بقليل أو بكثير من الثقافة الشيعية، ولا سيّما في العراق، أو مصر، أو المغرب، بالإضافة إلى بعض المشارقة الذين باشروا نشاطاً دعائياً في الأندلس، أو قاموا بدور التجسّس لمصلحة مواليهم الشيعية، فمن الواضح أنّ الفاطميّين عملوا على إرسال عيونهم إلى الأندلس للتعَرف على أحوالها، مثل أبي اليسر الرياضي وابن هارون البغدادي، وابن حوقل النصيبي، وقد قام هؤلاء " الجواسيس" بدور مهمّ في الدعاية للفاطميين، والمذهب الشّيعيّ بالأندلس، بالإضافة لجمعهم المعلومات عن أحوالها وأوضاعها

[1] مكي، محمود، **التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**،16-17.

[2] المراكشي، محي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 11.

[3] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،167-169.

الاجتماعيّة، والسياسيّة والاقتصاديّة، وقد دخل هؤلاء متخفين إما بغرض العلم كابن هارون البغدادي، أو بغرض الرحلة والتجارة كابن حوقل النصيبي، ولكنهم في الحقيقة كانوا جواسيس لصالح الفاطميين[1].

ويذكر بعض المؤرّخين أنّ الدعوة للمذهب الشيعي بدأت في الأندلس خلال حكم عبد الرحمن الناصر، ولكنّ غالبية المراجع ترجّح أنها بدأت قبل ذلك، منذ أن استطاع الفاطميّون تأسيس دولهم في المغرب فُمدّوا أبصارهم إلى الأندلس التي كوّن الأمويون لهم فيها دولة، ويبدو أنّ عدداً من عيون الفاطميين، ودعاتهم المتخّفين قد تولوا أمر هذه الدعوة في الأقاليم الأندلسيّة القريبة من المغرب، والمطلة على البحر المتوسط لسهولة الوصول إليها والخروج منها بسبب موقعها الجغرافي ،وبعدها النسبيّ عن العاصمة الأندلسية (قرطبة)[2].

فأول من نقل شيئاً من الثقافة الشيعية للأندلس هو محمد بن عيسى القرطبي المعروف بالأعشى[3] من أهل قرطبة ،ذهب للعراق مخالفاً زملاءه الأندلسيين الذين كانوا في ذلك الوقت يتردّدون على المدينة للتفقه على مذهب مالك بن أنس، وقد كانت نتيجة دراسته في العراق أن نقل إلى الأندلس بعض كتب وكيع بن الجراح، الذي كان من أكثر المحدّثين الشيعة، وله كتاب في الدفاع عن مبادئ الشيعة الزيدية[4].

وممّن رحل إلى العراق بعد ذلك عبّاس بن ناصح الشاعر، أوفده عبد الرحمن الأوسط عام(201هـ/816م)[5]، في التماس الكتب القديمة، وقد تأثر بأفكا رفيق دراسته ورحلته يونس بن إلياس البرغواطي الذي طلب علم النجوم والكهانة ثمَ عاد لبلاده فيما بعد[6].

وكذلك الشاعر أبو عبد الله محمّد بن حيون، الذي كان من وادي الحجارة، رَحل إلى المشرق نحو خمسة عشر عاماً، فسمع بصنعاء ،ومكّة، وبغداد ،ومصر، ولقي جماعة من أصحاب الإمام أحمد، وكان كما ذكر المقري إماما في الحديث، حافظاً للعلل، بصيراً بالطرق، ولم يكن بالأندلس قبله أبصر بالحديث منه،

---

[1] مكي، محمود، **التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**،16-18.

[2] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،169-171.

[3] محمد بن عيسى المعروف بالأعشى، من أهل قرطبة، ويكنى أبا عبد الله، رحل وسمع من سفيان بن عيينه، ووكيع بن الجراح وغيرهم، والغالب عليه الحديث ورواية الآثار، توفي 221هـ/835م وقيل 222هـ/836م، الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 11/2.

[4] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،171-174.

[5] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 387/1.

[6] مكي، محمود، **التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**،18-20.

لم يذهب مذهب مالك، وكان يظنّ به التشيع لشيء كان يظهر منه في حق معاوية وتُوفّي بقرطبة عام(305هـ/917م)[1].

وعلى الرغم من وجود العديد من المحاولات لنشر المذهب الشّيعيّ إلا أنها باءت بالفشل وحالت دون نشره في بلاد الأندلس وذلك لحرص الأندلسيّين حكومةً وشعباً على مقاومته.

4- التصّوف[2]:

من النواحي الجديرة بالبحث في الحالة الدينية هي التصّوف، وكما نشأ التصّوف في المشرق في القرن الثاني للهجرة، كذلك نشأ في الأندلس في القرن نفسه بعد الفتح، غير أنّ التصّوف في المشرق كان مزيجاً من تعاليم الإسلام والأفلاطونية الحديثة، والتعاليم اليونانية والرومانية، فكان من الطبيعي أن تتأثر الأندلس بهذه التعاليم والمعتقدات، خاصّة أنها تجاور هذه البلاد[3].

إضافة إلى ذلك أن الأندلس قد كثر بها العنصر البربري، وقد اشتهر هذا العنصر من قديم بأنّ أهله أصحاب خيال واعتقاد بالغيبيات والخرافات، وسرعة تصديق لأصحاب الدعاوي الغيبية ولا ننسى ما لقيه العرب عند فتحهم للمغرب من شدة مقاومة ،وخاصّة على يد إمرأة تدعى " الكاهنه" حيث التف حولها الكثيرون[4]،وقاوموا العرب مقاومة شديدة، وحتى الآن في كثير من بلاد المغرب لازال للبربر شهرة كبيرة في أعمال السّحر والشعوذة، وقراءة الكفّ ،والتنجيم، وادّعاء معرفة المستقبل[5]، وهذه الأمور ليست إلا ضرباً من ضروب الدجل، ولا علاقة للإسلام بها، إلا أنّ المشتغلين بها ومن أجل أن يعطوا لأنفسهم ولأعمالهم الدجلية المصداقية والتوافق مع الدين ادّعوا التصوف ولبسوا ثوبه.

وأول من عرف التصّوف في الأندلس ابن مسرة محمد بن عبد الله المولود سنة(296هـ/908م)، وقد عرف أبوه بالاعتزال وكان ذلك المذهب ضيّق الشّيوع وغير مرغوب فيه، فاضطرّ أن يخفي ذلك وأورث هذا المذهب لابنه، فاعتزل الناس قبل الثلاثين في خلوة بجبل قرطبة، يتعبّد فيها، ويبثّ هذا المذهب

---

[1] نفسه،18-20.

[2] هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريقة الحق والهدية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، 439.

[3] امين، أحمد، **ظهر الإسلام**، 838.

[4] بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 193.

[5] أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**،838.

لأتباعه، وساعدته عزلته على سعة الخيال وعمق التفكير والصفاء، ولكن سرعان ما اكتشف أمره واتّهم بالزندقه، فخرج من الأندلس للمدينة على أساس أنه يريد الحجّ، حتَى كانت خلافة عبد الرحمن الناصر فعاد مرّة أخرى وأخذ في نشر مذهبه فازداد أتباعه، ويبدو أنه اتخذ التقية وسيلة لإخفاء حقيقة مذهبة الذي يجمع مابين الاعتزال والتصوف[1].

وكان في الأندلس قبل الإسلام زُهَاد من الرهبان المسيحيين وهؤلاء انقطعوا للعبادة، ولذلك يجدر بنا أن نعرف أنّ هذا التصوف لم يكن من المشرق فقط، إنّما في الأندلس كذلك، وكلاهما أثر في الآخر، فمن تلاميذ ابن مسرة أبو بكر محمد الهاشمي الذي أخذ عنه محيي الدين بن عربي وكان متقشفاً زاهداً ولم تُعرف له كتبٌ ، والصوفي أبو عبد الله القرشي الهاشمي الذي تنسب اليه أقوالٌ صوفية ومنها " من لم يدخل في الأمور بلطف الأدب لم يدرك مطلوبه فيها" ويذكر أنه تُوفّي ببيت المقدس في عام 559هـ/1163م، وكان الناس يتبرّكون بضريحه هناك[2].

ووجدت جماعات تخصّصت في شعر الزهد، ولكن اختُلف في فترة ظهور هذا الشعر، ولكن يرجَح أنّ شعر الزهد كان موجوداً قبل ثورة الربض؛ لأنّ الزهد ليس من الأمور التي تحدث فجأة في المجتمع، فأي مجتمع من المجتمعات يجتمع فيه الجانبان :جانب الترف واللهو، وجانب الزهد والتصوف ولا يغلب أحدهما على الآخر، ولكن لا يخلو الأمر من وجود أحدهما إلى جانب الآخر ولكن بدرجات مختلفة حسب ظروف كل مجتمع من المجتمعات ودرجة تدينه[3].

وقد كان تيار الزهد في الأندلس ثمَ التصّوف بعد ذلك ردّ فعل شديدًا لتيار الإسراف في الترف واللّهو الذي جذب الكثيرين، فكان من الطبيعي أن يعلو صوت هذا التيار الذي يقلل من شأن الدنيا، ويدعو إلى الآخرة.

ويبدو أنَ عدد الزّهّاد في الأندلس كان من الكثرة بمكان، حتى إنّ ابن بشكوال صنف كتاباً بعنوان " زهاد الأندلس وأئمتها" ولكنه لم يصل إلينا، وإذا كان الأدب هو ظل الحياة في المجتمع وهو المرآة التي تنعكس عليها، فإننا نستطيع من خلال الكثير من النصوص أن نبيّن بوضوح جانب الزهد في المجتمع الأندلسيّ.

---

[1] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 186-188.

[2] نفسه،187-189.

[3] بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 193.

ومثال على ذلك شعر ابن عبد ربه[1] في الزهد قال:

بادر إلى التوبة الخلفاء مجتهداً والموت ويحك لم يمد اليك يدا

وارقب من الله وعداً ليس يخلفه لا بـــد مـــن نجـاز ما وعـد

ويجب أن نشير إلى أنّ التصّوف لم يقتصر على الرجال، بل شاركت بعض النساء الأمويات مثل البهاء بنت الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وكانت خيّره ،زاهدة، عابدة ، شديده الرّغبة والخير، وبرعت في كتابة المصاحف التي تقوم بحبسها على المساجد[2].

يتَضح ممّا سبق أنّ المذهب المالكيّ احتلّ الصَدارة في تفكير الأندلسيين وحياتهم، حتى إنه أصبح المذهب الرسمي للبلاد في تلك الفترة، ولكننا بالرغم من ذلك استطعنا الإشارة إلى العديد من المذاهب الأخرى التي كان لها أثر في المجتمع في تلك الفترة، حيث كان لتلك المذاهب أفراد أحّبوا الغوص في علوم الكلام والجدل والخروج على النظام المألوف ، ولكنهم كانوا أفراداً قلائل ويعود السبب في ذلك إلى أنّ الدولة كانت تعارض وتتَهم كلّ خارج عن مذهبها بالزندقة والإلحاد، ومع ذلك كلّه فقد رأينا ابن مسرة الذي اهتمّ بمذهبه اهتماماً كبيراً ، والأعشى القرطبي الذي كان من أنصار المذهب الحنفي، والمعتزلي عبد الأعلى بن وهب وغيرهم الكثير.

وخاتمة القول في دور الأندلسيين في ميدان العلوم الدينية، أنهم استطاعوا أن يطرقوا كل أبواب العلوم الدينية، وأن يحققوا في ذلك نشاطاً علمياً رائعاً، فقد شهد عصر الإمارة نهضة علمية جيدة نوعاً ما، ولكنها

---

[1] ابن عبد ربه، يكنى أبا عمر، كان أبرز أدباء عصره، ولد عام 246هـ، ونشأ بقرطبة نشأة علمية متصلة بعلماء عصره، وقد عاش في عصري الإمارة والخلافة حياة شهدت عهود أربعة حكام من بني أمية، ونال حظوة عندهم جميعاً، وكان واسع الثقافة متبحراً في عدة فروع من المعرفة كالفقه ، والتاريخ، واللغة العربية وآدابها، تتلمذ على يد ابن وضاح، وبقي بن مخلد، والخشني، الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 94، الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 491/1.

[2] ابو مصطفى، كمال السيد، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، 74.

[2] علم الكلام: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في سبيل الاعتقادات على مذهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد، ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، 415.

[3] ابن حزم، أبو محمد علي، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، 186/2.

ليست قوية بالمقارنة بعصر الخلافة الذي شهد نهضة واسعة وشاملة في كل ميادين المعرفة، ولما كانت العلوم الدينية من فقه، وحديث، وتفسير، وقراءات، هي العلوم الأكثر التصاقاً بعقيدة المسلمين في الأندلس، فقد شرع في دراستها أعداد كبيرة من العلماء، وقد حظيت هذه العلوم منذ عصر الإمارة بكثير من الاهتمام والعناية، حتى إذا جاء عصر الخلافة كان النشاط العلمي في أوج قوته وازدهاره، فأقبل علماء الأندلس بهمة ونشاط على البحث والتأليف في تلك العلوم، وتمكنوا من إخراج روائع من الإنتاج العلمي تشهد لهم بالنبوغ والتفوق العلمي.

ويكفي للوقوف على هذه الحقيقة أن نطّلع على كتاب ابن الفرضي "تاريخ علماء الأندلس"، أو غيره من كتب التراجم الأندلسية، حيث فيها ما يثبت أنّ الأندلسيين كانوا في ذلك العصر قد بلغوا منزلة عظمى في الازدهار العلمي، وأنهم استطاعوا أن يشاركوا غيرهم من المسلمين في الأقطار الأخرى بنفائس الكتب المختلفة في الفقه، والحديث، والتفسير.

الفصل الثاني

العلوم الطَبيعة والإنسانية

شغلت العلوم بمختلف فروعها، تفكير الإنسان وسلوكه منذ فجر التاريخ، وتُعدّ أحد أهمّ جوانب الحياة الإنسانية، بل هي الجانب العلميّ والتطبيقيّ للتاريخ السياسيّ، فنحن عندما نتناول تاريخ أيَ بلد أو شعب وحضارته نخضعه للتقييم لنحدَد مكانته بين الأمم والبلدان الأخرى ، وأول ما نستخدم لهذا التقييم معيار تقدمه العلمي وما قدمه للإنسانية من علم ومعرفة، فمن خلال هذا الفصل سيتم الحديث عن العلوم الطّبيعية وفروعها كالطّبّ، والرّياضيّات، والفلك، والكيمياء، والعلوم الإنسانية أيضاً من تاريخ، وجغرافيا، وفلسفة، وما كان لهذه العلوم من تأثيرات واضحة في المجتمع الأندلسي، في فترة الإمارة، وما كانت عليه من تقدّم وازدهار كان له الأثر الأكبر في تطور الأندلس، والرقيّ بها خطوات ملحوظة إلى الأمام، فيما تلا هذا العصر من عصور مختلفة وخاصّة عصر الخلافة، وعلى الرغم من نبوغ العديد من الأشخاص

فترة الإمارة في هذه العلوم كعباس بن فرناس، إلا أنّ الاشتغال بها بصورة كبيرة لم يتم إلا في العصور التالية، وذلك بعد أن اتسعت دائرة البحث العلمي باتساع آفاق الأندلسيين في دراسة العلوم القديمة ، وتغيرت النظرة التي كانت سائدة حول كراهية البحث في تلك العلوم، حيث كان البعض يعتبر الاشتغال بهذه العلوم نوعًا من الخروج عن الدين، ومن ثمّ شعور الأندلسيين بالخوف من هذه العلوم ، وعدم الرغبة في تعلّمها بشكل واسع.

أ-العلوم الطبيعية:

هي العلوم التي تهتم بدراسة النواحي الفيزيائية الطبيعية المادية، غير البشرية، لكافة الظواهر الموجودة على الأرض ، وتشكل أساساً للعلوم التطبيقية ، سيتم عرض العلوم الطبيعية التي حظيت باهتمام ملحوظ في فترة الإمارة، ومنها-:

1- الطّبّ[1] والصيدلة

تُعتبر مهنه الطّبّ من أشرف المهن وأجلّها على الإطلاق، فقد عرف الناس الطّبّ والأطباء منذ القدم

حتّى الوقت الحاضر، لأنّ الطبيب يشخص الأمراض وعلاجها، والتحقيق من آلام الناس، ويتضح أنّ عصر الامارة كان قد نال عناية من الأطباء واهتماماً ملحوظاً.

فقد كانت الحاجة شديدة بطبيعة الحال إلى مهنة الطّبّ[2]، فكان الحكّام يحرصون أشدّ الحرص على أن يتوفر في قصورهم أعداد من الأطباء يعالجونهم، ويصفون لهم ما يحتاجون إليه من الأدوية والأغذية المناسبة لصحَة أبدانهم، ولهذا نرى في بادئ الأمر أنَ المشتغلين بالطّبّ كان نشاطهم مقصوراً على قصور الأمراء، والأعيان[3]، ويبدوا أنّ أهل الأندلس منذ الفتح حتّى عهد عبد الرحمن بن معاوية كانوا يعتمدون في الطّبّ على كتاب مترجم من كتب النصارى اسمه" الإبرشيم "ومعناه" الجامع "أو " المجموع "[4] ولا شكّ أنه دخل مع الأمير عبد الرحمن الداخل، وقبل ذلك كان هناك بعض ممارسي مهنة الطّبّ، قدموا

---

[1] من فروع الطبيعيات صناعة الطب، وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء ، ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، 464.

[2] Siraisa,Nancy G.(2001)Medicine and the Italian Universities 1250-1600-Leiden:BRILL.203.ISBN

[3] دويدار، يوسف، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 442

[4] الأندلسي، صاعد، **طبقات الأمم**، 78.

من الشرق مرافقين للحملات العسكرية التي قادها طارق بن زياد[1] ،وموسى بن نُصير[2]، فترة الفتح الإسلاميّ للأندلس.

فالطّبّ في الأندلس كان امتدادًا للنهضة العلمية التي شهدها العالم الإسلامي[3]، وظهرت بوادرها منذ القرن الثاني للهجرة، فصلة الأندلسيين بالشرق لم تنقطع أبداً، وتأثر الطّبّ في بداياته بالتراث العلميّ اليونانيّ، والهنديّ، والسريانيّ، من خلال الترجمات التي أُنجزت في بغداد غالباً، واستمدّ أيضاً من الابتكارات التي طورت تراث الأوائل وفقاً لمنهج علمي جديد يقوم على الاستقراء والتجربة والملاحظة[4].

ويجدر الإشارة أنّ هؤلاء الأطباء قد تخلّوا عن دراسة الطّبّ القائم على العلم والمعرفة إلى دراسته من أجل المصلحة والمنفعة المادية، وهذا بلا شكّ كفيل أن يحدّ من تعمّقهم في دراسة الطّبّ دراسة صحيحة ليكون عليهم قاصرًا على بعض أساليب التداوي التي يرونها ضرورية في علاج من يقومون على خدمتهم من الأمراء والحُكّام، ووصف الأغذية المفيدة لهم، وقد كانت الأمانة أولى الصفات التي يراها الحُكّام في أطبائهم، ويعدّ أحمد بن إياس القرطبي أول من اشتهر بالطّبّ في الأندلس[5]، أيضاً الطبيب أبو إبراهيم المذحجي الذي جاء للأندلس فترة الفتح، ويقال: إنّه مارس الطّبّ بأفكار وأساليب جديدة لم تكن معروفة سابقاً[6].

---

[1] طارق بن زياد: قائد عسكري مسلم، قاد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبرية، خلال الفترة الممتدة بين 711و718م، بأمر من موسى بن نصير والي افريقيا في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وينسب لطارق بن زياد انهاء حكم القوط الغربيين لهسبانيا، أيضاً ينسب إليه جبل طارق وهو الموضع الذي وطأه جيشه في بداية فتحه الأندلس ، واختلف المؤرخين في أصله فمنهم من قال أنه عربي، ومنهم من قال أنه بربري أمازيغي ، وآخرون قالوا أنه فارسي، والأغلب أنه بربري أمازيغي،المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**،2/ 205-206.

[2]موسى بن نصير: أبو عبد الرحمن موسى بن نصير، (19-97هـ)(640-716م) قائد عسكري في عصر الدولة الأموية، شارك موسى في فتح قبرص في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ثم أصبح والياً على افريقيا من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ، واستطاع ببراعته العسكرية أن ينهي نزعات البربر المتوالية للخروج على حكم الأمويين، كما أمر بفتح شبه الجزيرة، وهو الغزو الذي أسقط مملكة القوط وهسبانيا،ابن كثير، أبو الفداء، **البداية والنهاية**، 194/9، زيدان، جرجي، **روايات تاريخ الإسلام**، 20.

[3]حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، 1057.

[4] سالم ، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 207.

[5] سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 207.

[6] حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، 1057.

وأول كتاب ألفّ في علم الطّبّ كان لعبد الملك بن حبيب السلمي الألبيري ت(238هـ/852م) وهو كتاب "المختصر في الطّبّ"جمع فيه أخباراً عن الطّبّ العربي القديم، وضمّنه أحاديث نبوية شريفه، وأصولاً فقهيةً في العلاج والتطبّب، وأتى فيه بمعلومات عن الأغذية والأدوية[1].

ومن أطباء الأندلس في تلك الفترة يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة وهو من أهل قرطبة كان بصيراً بالحساب، والنجوم، والطّبّ [2]، متصرّفاً في العلوم ومتفَنّناً في ضروب المعارف، و حمدين بن أبان يُعدّ من الأطباء المشهورين أيام الأمير محمّد بن عبد الرحمن الأوسط، حيث كان يعتمد على نفسه في صنع الأدوية التي يصفها للمرضى [3] .

بالإضافة إلى حواد الطبيب النصراني، وكان هذا قد اشتهر أمره في أيام الأمير محمد، وله "اللعوق " المنسوب إلى حواد، وله دواء "الراهب"[4]، والأشربة المنسوبه إليه وإلى حمدين وبني حمدين كلّها شجاريه[5]، وممّن برع في هذا المجال أيضاً خالد بن يزيد بن رومان النصراني الذي كان بارعاً في الطّبّ ناهضاً في زمانه فيه، وكان بقرطبة ،وداره الدار المعروفه بدار الشطجيري الشاعر، وكسب بالطّبّ مبلغاً جليلا من الأموال والعقار، وكان صانعاً بيده عالماً بالأدوية الشجارية[6]وكتب إليه الطبيب المصري نسطاس بن جريح رسالة في البول وحالاته، وأعقبه ابنه، لكنّه لم يبرع في الطّبّ كأبيه[7]، وهذا يدلّ على تبادل المعلومات والخبرات، والأبحاث، بين أطباء مصر والأندلس.

ولن ننسى الحديث عن يونس الحّراني الذي جاء من المشرق وعمل في فترة الأمير محمد بن عبد الرحمن، وكانت عنده ابداعات متقدمة بالطّبّ، حيث اشتهر بقرطبة وذاع صيته هناك[8]، وأدخل للأندلس معجوناً كان يبيع الشربة منه بخمسين ديناراً لأوجاع الجوف، فكسب به مالاً كثيراً، لذلك قام خمسة من الأطباء مثل حمدين وحواد وغيرهما، بجمع خمسين ديناراً واشتروا شربة من ذلك الدواء ، وأنفرد كلّ واحد منهم بجزء يشمَه ويذوقه، ويكتب كلّ منهم ما ارتأى إليه بحدسه، وبعد ذلك اجتمعوا واتفقوا على ما حدسوه

---

[1] نفسه، 1057.

[2] ابن أبي اصيبعة،موفق الدين، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 433، حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**،1057.

[3] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 436.

[4] نفسه، 436.

[5] ابن جلجل، أبو داوود، **طبقات الأطباء والحكماء**، 93.

[6] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 436.

[7] ابن جلجل، أبو داوود، **طبقات الأطباء والحكماء**،97.

[8] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 437.

وكتبوا ذلك، ثم ذهبوا إلى الحراني وقالوا له: قد نفعك الله هذا الدواء الذي انفردت به، ونحن أطباء اشترينا منك شربة وفعلنا كذا...وكذا وتأتى إلينا كذا وكذا.. ، فإن يكن ما ارتئينا اليه حقاً فقد أصبنا، والإ فأشركنا في علمه فقد انتفعت، فبدأ بقراءة ما وصلوا اليه لكنه وجد أنهم لم يصيبوا في ذلك، خاصّة بموضوع تعديل أوزان هذا الدواء، وكان يُعرف هذا الدواء " بالمغيث "ولكنه أشركهم في علمه وعُرف حينئذ بالأندلس [1]ولكننا هنا يجب أن نشير إلا أنّ الشربة من ذلك الدواء كانت غالية الثمن ولكن ليس بالمبلغ المذكور ، فالمبلغ المذكور مبالغ فيه ،وهذا بلا شك يعطينا دلالة على تأثير المشرق في الأندلس وكيف أن الأندلسيين كانوا كثيري الاهتمام بكلّ ما يصلهم من تأثيرات علميّة فيدرسونها ويضيفو إليها ولم يلبثوا حتى ابتكروا أساليب جديدة للعلاج، وبذلك أسهموا في نمو الدراسات الطبية ، وبذلك كانوا أهل عطاء وبذل في ميدان الحضاره الإنسانية.

وسعيد بن عبد ربّه وهو أبو عثمان سعيد بن عبد الرحمن مولى الأمير هشام الرضى بن عبد الرحمن الداخل، كان طبيباً فاضلاً وشاعراً حسناً، وكان بصيراً بحركات الكواكب وطبائعها[2]، وكان مذهبه في مداوة الحميَات أن يخلط بالمبرّدات شيئاً، وله في ذلك مذهب جميل[3]، ولم يخدم بالطّبّ سلطاناً، وكتب في في آخر عمره-:

آمن بعد غوضي في علوم الحقائق وطول انبساطي في مواهب خالقي
وفـي حين إشرافـي علـى ملكـوت أرى طالبـاً رزقـاً إلـى غيـر رازقـي
وأيـام عمـر المـرء متعـة ساعة يجـئ حثيثـاً قبـل لمحـة بـارق[4].

وله كتب عديدة ومنها: "الأقراباذين" ، وكتاب "تعاليق ومجريات في الطّبّ " وكذلك" أرجوزة في الطب" [5]، [5]، وإسحق الطبيب والد الوزير ابن إسحاق وهو مسيحي كان مقيماً بقرطبة وله منافع عظيمة، وآثار عجيبة ، وكان قد عاش في أيام الأمير عبد الله الأموي[1].

---

[1] ابن جلجل، أبو داوود، **طبقات الأطباء والحكماء**،94-96.

[2] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،493-440.

[3] ابن جلجل، أبو داوود، **طبقات الأطباء والحكماء**،94-96.

[4] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،493-440.

[5] نفسه 493-440.

بالإضافة إلى أبي القاسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمرجيطي، من أهل قرطبة ، وكان في زمن الحكم ، فقد كان بالإضافة إلى ذلك إمام الرياضيّين بالأندلس، وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم، وكانت له عناية بأرصاد الكواكب، وشغف بتفهّم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي، وله كتاب حسن في تمام علم العدد المعروف عندنا بالمعاملات ، وكتاب اختصر فيه تعليل الكواكب، وغيرها من الأمور التي اشتغل بها[2].

وابن السمح وهو أبو القاسم إصبغ الغرناطي، وقد عاش في زمن الحكم ، وكان على علم ومعرفة بالعدد والهندسة، متقدماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم ، وكان له مع ذلك عناية بالطب، وله العديد من المؤلّفات القيّمة ومنها، كتاب " المدخل إلى الهندسة في تفسير كتاب إقليدس"، وكتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات، وكتاب طبيعة العدد، وله العديد من المؤلّفات الأخرى ، حيث ورد أن له كتابين في الإسطرلاب [3]، وممن برع في هذا المجال أيضاً ابن ملوكة النصراني الذي كان في أيام الأمير عبد الله وأول دولة عبد الرحمن الناصر إذ عرف بمهارته في الطّبّ، وعلاجه للأمراض[4].

بالإضافة إلى عَباس بن فرناس الذي اهتمَ بالطّبّ، فقد اهتمّ بقراءة خصائص الأمراض ، وأعراضها، وتشخيصها، واهتمّ بدراسة طرق الوقاية من الأمراض، وتوصّل إلى الخواصّ العلاجية للأعشاب والنباتات، وكان في سبيل ذلك يقصد الأطباء[5]، ويناقشهم فيما بدا له من اطلاعه في هذه الصنعة الجليلة، التي تحفظ البدن، وتقيه من آفات الأدواء، والأعراض، وقد اتخذه أمراء بني أمية في الأندلس طبيباً خاصّاً لقصورهم، انتخب من مجموعات من الأطباء المهرة لشهرته، وحكمته، وأسلوبه الجاذب عند إرشاداته الطّبية الخاصّة بالوقاية من الأمراض[6]، وإشرافه على طعام الأسر الحاكمة، لإحراز السلامة من

---

[1] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، البشري، سعد الله، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، 320.

[2] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،433.

[3] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،،434، البشري، سعد الله، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، 320.

[4] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،436-437.

[5] المغربي، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، 333/1.

[6] www.**mawhopon**.net

الأسقام والأمراض، فلا يحتاج إلا المداواة إلا نادراً ، فإذا حصل ما يكرهون من المرض دلّهم على أنجع الطرق في المداواة[1].

ويتصل بالطّبّ حقل الصيدلة وتركيب الأدوية[2] وبرز في هذا الميدان العديد من الأطباء أنفسهم، مثل حمدين بن أبان[3]، ووصف بالمهارة في تركيب الأدوية وحسن العلاج[4]، و الطبيب النصراني حواد الذي برع في صنع العقاقير وتركيب الأدوية، وكان يعتمد في علاجه على التجارب الطبية [5]، وما كان يربطه بالطبيب المصري نسطاس بن جريح من علاقه طيبة وودّ يستشيرون بعضهم فيما يعرض لهم من حالات، وخير مثال على ذلك رسالة البول التي ارسلها نسطاس لحواد[6].

يتّضح لمتتبَع حركة الدراسات الطّبّيّة في عصر الإمارة أنّ أكثر المشتغلين بالطّبّ آنذاك كانوا من أهل الذمة، وهذا بلا شك تأكيدٌ لما جبل عليه المسلمون من تسامح كريم في معاملة أهل الذمة، وإفساح المجال أمامهم للتزوّد بالمعرفة والثقافة، وممارسة نشاطهم العلميّ بأمان ويسر. و يرجع ذلك إلى تفرّغهم للعلوم، ينهلون من ينابيعها ما يشاؤون، ففي الوقت نفسه كان العرب منشغلين بالحكم والإدارة والفتح [7].

يلحظ ممّا سبق أنّ الطّبّ في الأندلس حظي باهتمام وعناية ، حيث إنه وجد عدداً من الأطباء في عهد الإمارة ، بالرغم من عدم كثرتهم، إلا أنهم عُرفوا بمهاراتهم، وقدراتهم الجيّدة في علم الطّبّ، وبالتالي كان لهم الدور الكبير في تطور علم الطّبّ، والسير به خطوات ملحوظة إلى الأمام فيما بعد.

2- الفلك[8] والرياضيات:

لم يكن لإسبانيا قبل فتح المسلمين لها نشاط يُذكر في ميدان العلوم القديمة ومنها الرّياضيّات والفلك، فقد كانت في قديم الزمان خالية من تلك العلوم، ولم يشتهر أحد من أهلها بالاشتغال بأيّ منها ، واستمرّ ذلك

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،335/4.

[2] البشري، سعد الله، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**،

[3] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،436.

[4] ابن جلجل، أبو داوود، **طبقات الأطباء والحكماء**،92.

[5] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،436.

[6] ابن جلجل، أبو داوود، **طبقات الأطباء والحكماء**،93.

[7] البشري، سعد الله، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، 322.

[8] الفلك أو علم الهيئة هو عبارة عن علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة، والمتحيزة، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك ، لزمت عنها هذه الحركة المحسوسة بطريقة هندسية، ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، 460.

الوضع حتى فتحها المسلمون ، ومن عوامل تأخّر الإشتغال بتلك العلوم انشغال الأندلسيين بعلوم الدين، وتشدّد فقهاء الأندلس في بادئ الأمر كان له أثر كبير في منع نهوض العلوم الرياضية بما فيها الفلك، لأنّ علم الفلك كان محرّماً ، وبالرغم من ذلك ظهر مجموعة من الأشخاص الذين برعوا في كلا المجالين، وأقصد الرّياضيّات والفلك.

- **علم الفلك والنجوم:**

يعتبر علم الفلك من العلوم التي اهتمَ الأندلسيون بها، ممّا كان لذلك الأثر الأكبر في تقدمه، وكان الدين الإسلاميّ وراء هذا التقدّم ، والاهتمام، فثمّة إشارات في القرآن إلى السماء والنجوم وكثير من الفرائض الإسلامية التي تعتمد على الظواهر الفلكية مثل الصّلاة، والصّوم والحجّ، فاهتمّ القدماء بالنجوم والكواكب وحركاتها ، وربطوا بين ذلك وبين معرفة المستقبل، وأطلق على ذلك علم التنجيم[1] ، والحقيقة أنّ التنجيم على هذا الأساس ليس علماً؛ لأن معرفة المستقبل وعلم الغيب إنما هو لله عزّوجلّ، وبالرّغم من ذلك ؛ فإن بعض حكام المسلمين كانوا يستشيرون بعض المنجمين ويأخذون برأيهم قبل الإقدام على عمل مهمّ كالبناء، أو الحرب[2]، ومن المنجّمين في تلك الفترة المنجَم الواحد بن اسحاق الضّبيّ وهو أول منجّم أندلسيّ ترك عملاً مكتوباً، وهذا المنجم ألفّ أرجوزه تنجيمية لم يبق منها سوى تسع وثلاثين بيتاً تستند إلى نظام الصلب اللاتيني المتأخر[3]، وكانت بلده الجزيرة الخضراء[4]، فلمّا استشاره هشام أخبره بأنّ ملكه لم يدوم أكثر من ثمانية أعوام، ويقول البعض إنه زهد في الدنيا ولزم أفعال الخير عندما أخبره بذلك[5].
ومن المنجّمين أحمد بن فارس البصري الذي كان على عهد الحكم بن هشام[6]، وعبد الله بن الشمر بن نمير القرطبي[7] الذي عرف بولعه بالتنجيم[8]، بالإضافة إلى أبي القاسم إصبغ فقد كان بارعاً في علوم

---

[1] سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 209.

[2] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 447.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 323/1-324.

[4] الجزيرة الخضراء: موقعها الأندلس، ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي جارية طارق بن زياد، مولى موسى بن نصير، كان قد حملها معه فنسبت إليها، وعلى مرسى أم حكيم مدينة الجزيرة الخضراء، وبينها وبين قلشانة 64ميلاً ، وهي على ربوة مشرفة على البحر سورها متصل به، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 223.

[5] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 323/1-324.

[6] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 447.

[7] عبد الله بن الشمر بن نمير القرطبي، من أهل قرطبة، ويكنى أبا القاسم، سمع من الحسن بن سعد، ومن قاسم بن اصبغ، وأحمد بن عبادة وابن الخشني، وكان رجلاً صالحاً، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 238/1-239.

[8] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 447.

النجوم، والهندسة، والطّبّ، وله تآليف منها " المدخل إلى الهندسة في تفسير إقليدس"، وله أيضاً كتاب كبير في الهندسة، وكتابان في الإسطرلاب وزيج على مذاهب الهند المعروف بالسند هند[1].

وقد فرّق علماء المسلمين بين التنجيم والفلك، فقد نادى معظمهم بعدم تأثير الكواكب والنّجوم على مستقبل الإنسان، ونفوا أنه ليس لها دخل بالحسد والنحس، وعلى ذلك فقد وجد من بين علماء الأندلس من رفض التنجيم واهتم بالفلك، ومنهم –:

مسلمة بن حاتم عاش في الفترة (293–353هـ)[2]حيث درس الفلك والنجوم والكيمياء[3]، ومسلم بن أحمد بن بن أبي عبيده الليثيّ القرطبيّ[4] (ت 295هـ/907م)[5] ، ويعدّ من أوائل المشتغلين بالفلك والنجوم في الأندلس، وكان يُعرف بصاحب القبلة، وقد قال بكروية الأرض ، واختلاف الفصول حسب المناخ[6]وتعرَض بسبب ذلك إلى هجوم بعض المقلّدين ومنهم ابن عبد ربّه صاحب" العقد الفريد" الذي قال فيه:

أبـا عبيـدة ما السـؤال عـن خبر ... تحكيــه إلا ســواء والــذي ســألا

أبيـت إلا شـذوذا عـن جماعتنــا ... ولم تصب رأي من أرجى أو اعتزلا

زعمت بهـرام أو بيذخـت ترزقنــا ... لا بل عطـارد أو مـريــخ أو زحــلا

والأرض كورية حف السماء بها ... فوقا وتحتـا وصـارت نقطـة مثـلا[7]

و يقول ابن عبد ربّه في مهاجمة المشتغلين بالفلك والنجوم:

فأين الزّيح والقانون والأركمند والكمه

وأين السند هند البطل والجدول هل ثمه

سوى الإفك على الله تعالى منشر الرمه

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،335/4.

[2] مسلمة بن حاتم من أهل قرطبة ويكنى أبا القاسم، سمع بالأندلس من محمد بن عمر بن لبابة، وأبي حفص بن أبي تمام، وأحمد بن خالد، ورحل إلى المشرق قبل العشرين، فسمع بالقيروان من أحمد بن موسى وغيره، توفي عام 353هـ، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،162/2–164.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،335/4.

[4] مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة الليثي القرطبي، المعروف بصاحب القبلة، من أهل قرطبة، ويكنى أبا عبيدة، رحل للمشرق سنة 259هـ، فلقي جماعة من أهل الحديث والفقه ، وسمع بمكة من محمد بن ادريس وورّاق الحميدي، وكان من أصدق أهل زمانه، عالماً بالحساب والنجوم، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،161/2.

[5] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 335/4.

[6] طربية، جورجيوس، **الوجدية وأثرها في الأندلس**، 198.

[7] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،162/2،عباس، احسان، **تاريخ الأدب الأندلسي**، 90.

إذا كـان أخـو الغيـب	**يرى الغيب بما ضمه**
إلى أن يطاب الـرزق	**طلاب العاجز الهمـة**
وهذي الأرض قد وارت	**كنـوزاً عـدة جمـة**
فـــــلا والله مـــا لله	**خلق يحتوي علمـه[1]**

و يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة الذي كان بصيراً بالحساب[2] والنجوم[3] ، إضافة إلى أحمد بن نصر (ت332هـ\944م) واشتهر بكتاباته عن المساحة المجهولة[4]، بالإضافة إلى أبي القاسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمرجيطي، من أهل قرطبة ، وكان في زمن الحكم ، فقد كان إمام الرّياضيين بالأندلس وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النّجوم، وكانت له عناية بأرصاد الكواكب، وشغف بتفهّم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي، وله كتاب حسن في تمام علم العدد المعروف عندنا بالمعاملات ، وكتاب اختصر فيه تعليل الكواكب، وغيرها من الأمور التي اشتغل بها[5].

و ابن السمح وهو أبو القاسم إصبغ الغرناطي، الذي عاش في زمن الحكم ، وكان على علم ومعرفة بالعدد والهندسة، متقدّماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النّجوم ، وكان له مع ذلك عناية بالطّبّ، وله العديد من المؤلّفات القيّمة ومنها، كتاب " المدخل إلى الهندسة في تفسير كتاب إقليدس"، وكتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات، وكتاب طبيعة العدد، وله العديد من المؤلَفات الأخرى حيث ورد أنّ له كتابين في الإسطرلاب[6].

ولن ننسى الإشارة إلى عَباس بن فرناس فهو فيلسوف، وعالم رياضيّ، وطبيعيّ، وكيميائيّ، من الطراز الأول، وهو أديب وشاعر ذو خيال وأفق علميّ واسع، فقد صمّم ساعة مائيّة عرفت باسم "الميقاتة"، وتوصّل إلى طريقة لتصنيع الزجاج من الحجارة، كما صنع نظارات طبية، إضافة إلى ذات الحلق التي تتكوّن من سلسلة من الحلقات تمثّل محاكاة لحركة الكواكب والنجوم، وطوّر طريقة لتقطيع أحجار المرو في الأندلس عوضاً عن إرسالها إلى مصر لتقطيعها، وفي مجال الكتابة صنع أول قلم حبر في التاريخ، وفي منزله بنى غرفة كنموذج يحاكي السماء، يرى فيها الزائر النجوم، والسحاب، والصّواعق، والبرق،

---

[1] عباس، احسان، **تاريخ الأدب الأندلسي**، 90

[2] ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 433.

[3] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 913/2.

[4] سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 209.

[5] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 433، سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 209.

[6] ابن أبي اصيبعة، موفق الدين، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 434.

وكانت التقنيات المستخدمة في ذلك من صنعه، حيث كان يقوم بذلك في معمله الموجود أسفل منزله، وهو أول من فكّر بقدرة الإنسان على الطيران[1].

-الرياضيات:

تحدَث بعض المؤرَخين عن أن الفقهاء كانوا يتشدّدون بالرياضيات ، ولم يكونوا يبيحون إلا الحساب في مسائل الميراث ، وهذا بلا شكّ أمر مخالف للحقيقة، فالرياضيات لم تلق من التحريم ما لقيته الفلسفة أو الفلك، كما أنّ الرياضيات علم هو أبعد ما يكون عن مجال الانحراف العقائدي، والمساس بعقيدة المشتغل بها، والرّياضيات يتضمّن الحساب والهندسة، وهما علمان اشتغل بهما الأندلسيّون واحتاجوا إليهما، فالحساب احتاجوا إليه في ميدان الفرائض والضرائب[2]، وغيرها من الميادين التي تستند في نشاطها إلى الأرقام الحسابية ،والهندسة احتاجوا إليها في ميادين البناء، والعمارة، والرّيّ، فعندما ازدهرت علوم الرّياضيات اعتمد عليها الفلكيون في ممارسة نشاطاتهم وأبحاثهم الفلكية، وهذا الأمر لم يتحقق إلا في بداية القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، والمقصود بهذه الفترة عصر الخلافة وما تلاه من عصور، وبالرغم من هذا نجد العديد من الأشخاص الذين اهتموا بالرياضيات، ودرسوه دراسة العلم والمعرفة في العصور السابقة كعصر الإمارة إذ نبغ في هذا العصر مجموعة من الأشخاص، ومنهم:

أبو عبيدة الليثى المعروف بصاحب القبلة، كان أول من اشتهر بكتاباته في الرّياضيات، وقد تحدثنا عنه سابقاً في الفلك فكان يجمع عدة علوم في الوقت نفسه[3]، ومنها الحساب والفلك والنجوم[4]، و يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة كان بصيراً بالحساب[5] والنجوم[6] ، إضافة إلى أحمد بن نصر(ت332هـ\944م) واشتهر بكتاباته عن المساحة المجهولة[7].

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 335/4.

[2] سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 209.

[3] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 126/2-127.

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 335/4.

[5] ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 433.

[6] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 913/2.

[7] سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 209.

وعرف عن الأمير محمد بن عبد الرحمن نباهته في الرياضيات، وخاصّة في ميدان الحساب، ولذكائه في ذلك عمل على محاسبة أهل خدمته، وتعقّب أمورهم المالية بنفسه[1]، والعلامة الرياضي الفلكي عباس بن فرناس الذي كان بارعاً في الفلك إلى جانب مهارته في الهندسة ومسائلها [2] فدفعه ذلك إلى صنع آلة لمعرفة الوقت ،سمَاها "الميقاته "وقد أحكم صنعها ونقش عليها أبياتاً منها:

ألا إنني للدين خير أداة إذا غاب عنكم وقت كل صلاة[3]

بالإضافة إلى أبي القاسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمرجيطي، من أهل قرطبة، وكان في زمن الحكم، فقد كان إمام الرياضيّين بالأندلس وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم، وكانت له عناية بأرصاد الكواكب، وشُغف بتفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي، وله كتاب حسن في تمام علم العدد المعروف عندنا بالمعاملات، وكتاب اختصر فيه تعليل الكواكب، وغيرها من الأمور التي اشتغل بها[4].

وابن السمح وهو أبو القاسم إصبغ الغرناطي، الذي عاش في زمن الحكم ، وكان على علم ومعرفة بالعدد والهندسة، متقدماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم ، وكان له مع ذلك عناية بالطّبّ، وله العديد من المؤلّفات القيّمة ،ومنها، كتاب " المدخل إلى الهندسة في تفسير كتاب إقليدس"، وكتاب "ثمار العدد" المعروف بالمعاملات، وكتاب" طبيعة العدد"، وله العديد من المؤلّفات الأخرى حيث ورد أنّ له كتابين في الإسطرلاب[5].

يتّضح لمتتبَع حركة الدراسات الرياضية، والفلكية، أنّ تلك العلوم لم تزدهر وتتطوّر بشكل كافٍ في عصر الإمارة، فقد وُجد عدد قليل من المهتمّين بهذه العلوم، ومن ثمّ ضعف الاشتغال بها، ولكن هذه العلوم حظيت بالاهتمام والعناية فيما تلا عصر الإمارة من عصور، حيث برز علماء كُثر كان لهم دور كبير في نهضة هذا الفرع من العلوم كمسلمة بن أحمد المجريطي الذي كان إمام الرياضيين في الأندلس في

---

[1] مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، 291.

[2] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 335/4.

[3] المغربي، ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب**، 333/1، سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 209.

[4] ابن أبي اصيبعة ،موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 433، سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 209

[5] ابن أبي اصيبعة ،موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 434.

وقته، وأعلم ممّن كان قبله في علم الأفلاك، وكانت له عناية بأرصاد الكواكب، وشُغف بفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي[1].

وبناء على ما تقدم يتبين لنا أنّ هذه العلوم نالت من العناية والاهتمام القدر الكافي ، على أيدي الأندلسيين بما أضافوا لذلك الميدان من التآليف القيّمة، والحقّ أنّ هذا التطور العلميّ البناَء كانت بداياته في عصر الإمارة ، لأن ذلك العصر شهد نشاطاً علميّاً شاملاً بفضل ما أتاحه الأمراء من أجواء علميّة مناسبة ترعرعت فيها القدرات العلمية، وأثمرت ثمرات يانعة، وخاصّة في عهد الأمارة الذي كان بداية لمشروع نهضويّ علميّ كبير فيما تلاه من عصور، وأعني بذلك عصر الخلافة.

[1]ابن أبي اصيبعة ،موفق الدين ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، 482.

3- علم الكيمياء [1]:

علم الكيمياء هو عبارة عن علم ينظر في المادة التي يتمَ بها كون الذهب والفضّة بالصناعة ويشرح العمل الذي يُوصل إلى ذلك[2]، وأول من برع في هذا المجال من العلوم هو عبّاس بن فرناس[3] الذي برع في الفلك كما تحدثنا سابقاً[4]، وكان ذا براعة في الكيمياء، وإليه تعزى طريقة خاصّة في صناعة الزجاج من ضمن الأحجار، وهو الذي صنع آلة لمعرفة الوقت تُعرف" بالميقاته" تعتمد على الظّلّ، وأكبر مخترعاته محاولته الطيران[5] ، كما صنع نظارات طبية ، وطوّر طريقة لتقطيع الأحجار في الأندلس، عوضاً عن إرسالها إلى مصر لتقطيعها، وفي مجال الكتابة صنع أول قلم حبر في التاريخ، و اشتهر بصناعته للآلات الهندسية مثل "المنقالة" وهي آلة لحساب الزمن، واختراعه آلة تشبه الإسطرلاب في رصدها للشمس والقمرو والنجوم، والكواكب، وأفلاكها، ومداراتها ترصد حركاتها ومطالعها ومنازلها عرفت بذات الحلق، وفي منزله بنى غرفة كنموذج يحاكي السماء، يرى فيها الزائر النجوم، والسحاب، والصّواعق، والبرق، وكلّ هذا كان يقوم به في معمله الواقع أسفل منزله، كما اخترع بعض أنواع بندول الإيقاع.

---

[1] الخوارزمي يذكر أن معنى لفظ كيمياء من كمى يكمي، إذا ستر وأخفى، ويقال كمى الشهادة يكميها إذا كتمها، والمحققون لهذه الصناعة يسمونها الحكمة على الاطلاق، وبعضهم يسميها الصنعة، الخوارزمي ، محمد بن موسى ، **مفاتيح العلوم** ، 193.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، 473، الشافعي، حامد، **الكتب والمكتبات في الأندلس**، 46.

[3] من رجال الحكم الربض، ويكنى أبا القاسم، وكان فيلسوفاً، ورياضياً، وشاعراً، وهو من أهل تاكرنا في جنوب الأندلس(مدينة بالأندلس، بالمقربة من أستجة، وهي مدينة تنسب إليها الكورة، وبها بلاط من بنيان الأول لم يتغير، واقليم تاكرنا منضاف إلى اقليم أستجة، ومن مدن تاكرنا مدينة رندة، وهي قديمة ولها آثار كبيرة، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 129)، من أصل بربري، المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 335/4، الشافعي، حامد، **الكتب والمكتبات في الأندلس**، 46.

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 335/4.

[5] فقد صنع لنفسه كساء من الريش ذي جناحين كبيرين، يضع منهما ذراعيه، وقد قفز بذلك الرداء من أعلى تلة قرب مدينة بلنسية(في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة 16 يوم، وعلى الجادة 13 يوم، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس، في مستو من الأرض، عامرة القطر، كثيرة التجارات، وهي على نهر جار، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 17) فطار بضعه أمتار ولكن اختل توازنه وسقط، ويرجع سبب سقوطه إلى أنه لم يفطن لأهمية الذيل وطيران الطائر، وكان من آثار سقوطه أن انكسرت إحدى فقرات ظهره السفلي، فمحاولته الطيران تعتبر صفحة جميلة من تاريخ الحضارة العربية فهي أول محاولة عملية لإنسان في الطيران(المغربي، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، 333/1)، وحكى اليونان أن رجلاً منهم اسمه "ايكاروس"حاول الطيران ولم يوفق ومحاولة عباس هي الثانية من نوعها، وقد ظلت محاولته الطيران عالقة بأذهان الناس وخاصة أهل بلنسية فترة طويلة، فتحولت محاولته إلى اسطورة رمزاً على الفن والابتكار في نواحي بلنسية ، وتوفي عباس في عهد الأمير محمد الأوسط وكان موسيقياً صانع الحان للضرب بالعود،المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 335/4، طوقان، قدري، **العلوم عند العرب**،30.

إلى جانب اهتمامه بالطّبّ، فقد اهتم بقراءة خصائص الأمراض ، وأعراضها، وتشخيصها واهتم بدراسة طرق الوقاية من الأمراض، وتوصل إلى الخواص العلاجية للأعشاب والنباتات[1]، وكان في سبيل ذلك يقصد الأطباء[2]، ويناقشهم فيما بدا له من اطلاعه في هذه الصنعة الجليلة، التي تحفظ البدن، وتقيه من آفات الأدواء، والأعراض، وقد اتخذه أمراء بني أمية في الأندلس طبيباً خاصاً لقصورهم، انتخب من مجموعات من الأطباء المهرة لشهرته، وحكمته، وأسلوبه الجاذب عند ارشاداته الطبية الخاصة بالوقاية من الأمراض[3]، وإشرافه على طعام الأسر الحاكمة، لإحراز السلامة من الأسقام والأمراض، فلا يحتاج إلى المداواة إلا نادراً ، فإذا حصل ما يكرهون من المرض دلّهم على أنجع الطرق في المداواة[4].

ولم يكن ابن فرناس يقنع بكلّ ما كتبه الناس من نظريات ، بل ألزم نفسه إلقاء التجارب ليتحقّق من صحّة كلّ نظرية درسها أو نقلها عن غيره ليرقى بها إلى مرتبة الحقيقة العلمية[5]، أو ينقضها. وقد شجب القبول القبول والقناعة بالأمور الظاهرة، المبسّطة المقدور على النظر والبحث فيها، فكان يغوص في تحقيق ما علم، وكان يطبّق النظريات العلمية على منهج علميّ في كلّ العلوم ، وأهمّها الطّبّ، والصيدلة، وخاصّة دراسة الأعشاب[6]، بعد أن ذاع صيته باختراعاته التي سبقت عصره واتّهم بالكفر والزندقة، وعُقِدت محاكمة محاكمة أمام المسجد الجامع أمام العامة لمحاكمته، إلا انها انتهت بتبرئته لما كان في الاتهامات من مبالغة وجهل، ونُسِب إليه السحر نتيجة عمله بالكيمياء وإجراء بعض التجارب المختلفة، ولكنه لقبَ " بحكيم الأندلس" نظراً لكفاءته وعلمه وخبراته الواسعة في مجالات عديدة[7].

---

[1] Ibn Firnas(Abbas)"by Ahmed Djebbar" Dictionnaire Culturel des Science, by Collective under the direction of Nicolas Witkowski, Du Regard Editions,2003,ISBN 2-84105-128-5

[2] المغربي، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، 333/1.

[3] www.**mawhopon**.net

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،335/4.

[5] حديثاً وتكريماً لأسمه سميت فوهة قمرية بإسمه، كما وضع تمثال له أمام مطار في بغداد، كتب عليه" أول طيار عربي ولد في الأندلس، وأصدرت ليبيا طابعاً بريدياً باسمه، وأطلق أسمه على فندق مطار طرابلس، وفي عام 2011م، افتتح جسر عباس بن فرناس في قرطبة على نهر الوادي الكبير، في منتصفه تمثال له مثبت بجناحين يمتدان إلى نهاية الجسر، من تصميم خوسيه لويس، Ibn Firnas(Abbas)"by Ahmed Djebbar" Dictionnaire Culturel des Science, by Collective under the direction of Nicolas Witkowski, Du Regard Editions,2003,ISBN 2-84105-128-5

[6] www.**mawhopon**.net

[7] عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 252/1.

ومسلمة بن حاتم الذي عاش في الفترة(293-353هـ) حيث عرف بدراسته للفلك، والنجوم، والكيمياء[1] ،ولكنه لم يحظ بالشهرة التي حصل عليها عبّاس بن فرناس.

ب-العلوم الإنسانية:

لم تبدأ الحركة الأدبية نشاطها في قرطبة إلا منذ أن دخلها عبد الرحمن بن معاوية، واتخذها مقراً لدولة بني أمية في الأندلس، أما في عصر الولاة فلم يكن هناك رواجٌ للحركة الأدبية، وذلك لاشتغال الولاة في الفتوح والفتن الداخلية بين العرب والعرب ، أوالبلديين والشاميين والعرب والبربر، وأول ما يلاحظ على الحياة الأدبية لتلك الفترة من تاريخ الأندلس ظهور أول جيل من الأدباء الأندلسيين[2]، ثمَ ظهور بعض الأديبات في الأندلس، وكذلك يلاحظ عدم اقتصار الاشتغال بالأدب على الشّعب، بل مشاركة الحكّام فيه، كذلك ظهور السمات الأولى للأدب الأندلسي، وهكذا تشهد هذه الفترة أولى الخطوات نحو أدب أندلسيّ مستمرّ، فلم يصبح الأدب وقفاً على الوافدين من المشرق كما هو من قبل[3]، وتتميّز هذه الحركة الأدبية في تلك الفترة وأعني فترة الإمارة بالعديد من العناصر، التي منها-:

1-الشعر[4]:

احتلّ الشّعر لدى الأندلسيين مكانة عظيمة، وأصبح يمثّل السمة الأدبية العامة لهم، وقد كان للطبيعة الأندلسية أثر كبير في تألَق الحركة الشعرية، وبروز الكثير من الشعراء الأندلسيين، فقد اتصفت الأندلس بالطّبيعة الساحرة من مياه جارية، وجبال خضراء، وجنات تزهو بخضرة أشجارها ورونق أزهارها، فرقّت مشاعرهم، وأزالت جفوتهم، وأثارت ملكاتهم الفكرية، فاستغلّوا أحاسيسهم العميقة ، وخيالاتهم الواسعة ، في وصف جمال الطبيعة والتغنّي بمفاتنها، وعليه فإنّ البيئة الأندلسيّة كانت ذات تأثير بالغ في تشكيل أشعار

---

[1] الصوفي، خالد، **تاريخ العرب في الأندلس**، 173، مظهر، جلال، **حضارة الإسلام**، 272.

[2] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 463-465.

[3] سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 170.

[4] الشعر: عرف قديماً على أنه منظوم القول غلب عليه الوزن والقافية، وإن كان كل علم شعراً، ابن منظور،محمد بم مكرم ، **لسان العرب المحيط** ، مادة(شعر)، ويعرف الشعر في الوقت الحاضر على أنه النظام الموزون يتركب تركيباً متعاضداً ويكون مقفَى وموزون، وإذا خلا من هذه القيود لا يسمى شعراً، ولا قائله شاعراً، وبالتالي هناك أربعة شروط للشعر: المعنى، الوزن، القافية، القصد، المقري، أحمد بن محمد، **المصباح المنير**، مادة (شعر).

الأندلسيين، وتكوينه بما يناسبها من ألوان الطبيعة الجميلة، والتي تشدّ أذهانهم وتثير أحاسيس الجمال عندهم[1].

فالشعر واهتمام العرب والمسلمين به هو أساس لحضارتهم، حيث إنّ الشّعر الأندلسيَ في فتره الإمارة يسير في اتجاه المدرسة المحافظة المشرقية، فمظاهر هذا الاتجاه المحافظ تتمثل في أنّ الشعر الأندلسيّ كان يهتمّ أكثر ما يهتمّ بالموضوعات التقليدية من فخر ،ومدح، وحماسة ،وما إلى ذلك ، ثم أنه كان يسير على منهج القدماء في بناء القصيدة ،وتجميع صورها غالباً من عالم البادية بالإضافة إلى أن الشعر الأندلسي كان طوال فترة الإمارة يمرّ في طور تكوين غامض غير واضح المعالم، وتمّ هذا التطور وسط المنازعات والحروب ، التي صاحبت نشوء المجتمع الأندلسي، الذي كان وقتها يتهيّأ للخروج إلى النور، وتتابعت حلقاته خلال الأزمان التي كانت أسس النظام الجديد ترسو فيها على مهل، غير متأثرة بالحروب التي اشتدت في أثناء الفتن المتوالية[2]، ولقد كان للشعر العربي في الأندلس في ذلك الحين صدى خافت ، ، لما كان يتردّد في جوانب المشرق من شعر، ولكن أصوله تثبتت في التربة الأندلسيّة نتيجة عوامل كدعم الأمراء للشّعر، مثل الأمير عبد الرحمن الداخل، ولنتأمل ما يقول أبو المخشى[3] في قصيدة يمدح فيها هذا الأمير:

امتطيناها سمانا بُدنـا — فتركناها نضـــاء بالعـنا
وذريني قد تجاوزت بها — مهمها قفزاً إلى أهل الندى
قاصداً خير مناف كلها — ومناف خير من فوق الثرى[4]

و يقول الحكم في تمجيد السيوف وأسلحة القتال:

غناء صليل البيض أشهى إلى الأذن — من اللحن في الأوتار واللهو والردَن
اذا اختلفـت زرق الأسنـــة والقنـا — أرتك نجوماً يطلَعـــن من الطعـــن

---

[1] غرسيه، اميليو، **الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه**، 30.

[2] نفسه، 30-32.

[3] أبو المخشى: هو عاصم بن زيد العبادي، ويتصل نسبه بالعباد نصارى الحيرة، وكان والده من جند الشام الذين وفدوا على الأندلس في فترة الولاة، هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، 99.

[4] ابن الخطيب، لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**،135/2،هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، 82. 82.

بها يهتدي الساري وينكشف الدجـى وتستشعْر الدنيـا لباساً من الأمـــن[1]

فأمثال هذه النماذج تؤكد أن هذا الشعر يسير على خُطا المدرسة المشرقية المحافظة،من حيث بناء القصيدة الذي يميل إلى المدح مثلاً، إلى البدء بوصف الرحلة، إلى الممدوح، و من حيث انتزاعُ الصور والمعاني من البيئة البدوية القديمة، ثم من حيث التعبير بالأسلوب البدوي القديم ، ذلك الأسلوب الذي يعتمد على الألفاظ الجزلة، وإن كانت غريبة، ويتألف من العبارات الضخمة وإن جاءت خشنة، وأخيراً من حيث الميلُ إلى الأبحر الطَويلة ذات التفاعيل الكثيرة والقوافي الرّنّانة.

عوامل اتباع الاتجاه المحافظ :

الكثير من الباحثين يظنّ أنّ سير الأندلسيين على النهج المحافظ في الشعر كان دائماً بدافع التقليد ولم يكن لما تقتضيه حياة الأندلسيين، فالحقّ أنّ سيرهم على منهج المدرسة المحافظة التي وفدت من المشرق كان له ما يبرّره من واقع الأندلسيين وظروفهم، ثمّ من مُثلهم وقيمهم[2].

فواقعهم وظروفهم كانت تتطلب إلى حد كبير هذه الموضوعات التقليدية التي عُرف بها الشّعر المحافظ، فالفخر والحماسة من لوازم الصراع والغلبة، وقد عرفت الأندلس كثيراً من ذلك في تلك الفترة وغيرها من الفترات، والمدح كذلك من لوازم البيئة العربية القديمة، وقد كانت البيئة الأندلسية إلى –حدّ كبير –ذات طابع عربيّ[3]، وخاصّة حينما كان حكّامها يدعمون حكمهم ويقوّون سلطانهم، فهم يتّخذون من الشعر أداه ترويج، ووسيلة دعاية وهم عرب الأمزجة، عرفوا بانبساطهم بالثناء، والمدح، والغزل. كذلك كان من لوازم البيئة العربية القديمة ومظهراً من مظاهرها الرئيسية ،وخاصة في أوساط الفرسان، وقد عرفت الأندلس الفروسية منذ سنيها الأولى[4].

من هنا نرى شاعراً كالحكم بن هشام يميل إلى الغزل، وبخاصّة المتهالك[5]، وليس بذلك غريب عليه كفارس، فشأن الفرسان أن يظهروا أقوياء أشداء في ميدان الحرب، وضعفاء في ميادين الحب[6].

---

[1] ابن الأبار، محمد، **الحلة السيراء**، 13/1، هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، 82–84.

[2] الشكعة، مصطفى، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، 120–122.

[3] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، 82.

[4] الشكعة، مصطفى، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، 120–122.

[5] المراكشي، محي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 13.

[6] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، 85.

وهكذا يمكن أن يقال في باقي الأغراض التقليدية التي تناولها الشعر الأندلسيّ المحافظ فكلّها يمكن اعتبارها من مقتضيات الطبيعة الأندلسيّة وواقع الأندلسيين وظروفهم، أما الأسلوب المحافظ الذي يتناول به الشعراء الأندلسيون تلك المواضيع التقليدية، فله تبريره، مثل الاندلسيين وقيمهم، وذلك أنّ العرب كانوا عندما ينتقلون إلى أي إقليم جديد، وفي مخيّلاتهم عالم مثالي، هو ذلك العالم الذي عاش فيه آباؤهم الأقدمون، حيث الصحراء و النوق ، وكانوا يستلهمون من هذا العالم المثالي الذي يتخيلونه عالم آبائهم وأجدادهم، فهذا هو تعليل ما كان للأندلسيين في فتره تأسيس الإمارة من اتجاه محافظ في الشعر[1].

أما بالنسبة للسّمات الخاصّة التي تميّز ملامح الشعر الأندلسي وتجعله ذا شخصيّة مستقلة، بحيث لا يُعدّ الأندلسيّون مقلدين للمشارقة تقليداً تخفى وراءه شخصيّتهم، ولا تبدو معه خصائص مميزة لشعرهم، فقد ظهر بعضها منذ فترة تأسيس الإمارةعلى أن يظهر البعض الآخر في فترات أخرى[2]، والمهمّ هنا الحديث الحديث عن السمات الأولى التي ظهرت في فتره الإماره وهي-:

- **التجديد الموضوعي:**

ونعني بذلك الحديث عن بعض الموضوعات الجديدة أو تناول بعض التجارب التي لم تُدرس من قبل، وأوضح مثال على هذه الخاصية تلك القطعة الشعرية التي تناول الشاعر أبو المخشى فيها تجربة فقدان البصر، وفيها يقول:

خضعت أم بناتي للعدا ... اذا قضى الله بأمر فمضى
ورأت أعمى ضريرا إنما ... مشيه في الارض لمس بالعصا
فبكت وجداً وقالت قوله ... وهي حَرى بلغت منى المدى
ففؤادي قرح من قولها ... ما من الأدواء داء كالعمى
وإذا نال العمر ذا بصر ... كان حَياً مثل ميت قد ثوى
وكأن الناعم المسرور لم ... يك مسروراً إذا لاقى الروى
ابصرت مستبدلاً من طرفه ... قائداً يسعى به حيث سعى

[1] الشكعة، مصطفى، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، 121-122.

[2] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، 85.

بالعصا إن لم يقـده قائـــد ... وسؤال الناس يمشي إن مشـى[1]

فهذا الموضوع جديد لم يتطرق إليه شاعر قبله، وظهر في شعره هذا سمة أخرى، وهي التجويد الفني، ونعني بذلك محاولة الأداء بطريقة أجود ممّا ألّف السابقون، وللأندلسيّين وسائل مختلفة إلى هذا التجويد، بعضها يتعلّق بالمضمون والبعض الآخر يتّصل بالشكل، وهذه السّمة الفنية التي بدأت في شعرهم منذ نشأته كانت دائماً من أوضح خصائص الشّعر الأندلسيّ في كلّ العصور، وإن أخذت مظاهر مختلفة من عصر لعصر ومن شاعر لآخر[2].

وإذا تأملنا أبيات أبي المخشى وجدناه يستعمل التعبير الموحى بطريقة فنية بارعة ،فهو يتحدّث عن محنته حين فقد بصره، ولكنّه لا يعبّر عن ذلك تعبيراً مباشراً أو مبالغاً، وإنما يعبّر تعبيراً إيحائياً بسيطاً مؤثّراً غاية التأثير، وذلك حين ذكر زوجته وخضوعها للأعداء بسبب فقدان عائلها لنور عينيه، ولم يكتف الشاعر بذكر الزوجة، بل ذكر أنها أم بناته ، دلالة على وجود بنات لديه ،وأنّ الزوجة والبنات جميعاً خضعن للعدا،وأصبحت في حال من الذّلّ والهوان، بالإضافة إلى ذكره أنّ هذا الأمر، إنما قضاء من الله تعالى، وهكذا استمرّ الوصف واستخدام التشبيه وما إلى ذلك في تلك الأبيات[3].

- **الحنين إلى الوطن :**

أيضاَ من سمات الشعر في تلك الفترة ،-وأعني الأمويّة -التركيز العاطفي، فالعاطفة تتضح بالعمل الشعري حتّى لتوشك أن تكون أبرز عناصره، وهذا نصّ شعريّ لعبد الرحمن في مدينته عن نخلة رآها بالرصافة-:

تبـــدت لنا وســط الرصـــافة نخلـــة ... تناءت بأرض الغرب عن وطن النخل
فقلـت شبيهى في التغريـب والنـــوى ... وطول التنـائي عن بنـىَ وعن أهلـي
نشـأت بـــأرض أنت فيهـــا غريبـــة ... فمثلـك في الإقصـاء والمنتـأى مثلـي
سقتك غوادى المزن في المنتأى الذي ... يسيح ويستمـري السماكيـــن بالوبـل[4]

---

[1] ابن الخطيب، لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، 135/2، هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، 85 85

[2] هيكل، أحمد،**الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، 85-87، الشكعة ،مصطفى، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، 121-122.

[3] الشكعة، مصطفى، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، 121-122.

[4] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**،2/ 90.

فعبد الرحمن، ومن خلال هذه الأبيات يتناول موضوعاً تقليدياً وهو الوصف، ولكنه يبرّر الجانب العاطفي بشكل كبير[1]، فهو لم يصف النخلة لا في طولها ولا لونها، وإنما ترك ذلك ليوصفها بأوصاف عاطفية ، وهكذا يبدو، فقد جعل من النخلة إنساناً حيّاً يغترب وينأى عن الوطن ويبتعد عن الأهل، وأوجد بينه وبينها مشاركة وجدانية وعلاقة نفسّية جعلته يخاطبها في حنو ويناجيها في عطف[2].

وهكذا نرى أنّ الشعر الأندلسي في فترة تأسيس الإمارة برغم كون ملامحه العامة هي ملامح الشّعر المشرقيّ المحافظ، قد كانت له سمات خاصّة صنعت الملامح الأولى للشّعر الأندلسيّ المتميّز، ذلك أنّ السّمات التي بدت في تلك الفترة من طرق بعض الموضوعات الجديدة، والميل إلى التجويد،وغلبة للجانب العاطفيّ، لن تكون فقط خصائص الشعر الأندلسي التي تميّزة عن نظيره المشرقي، فهناك سمات ستظهر في عصور تالية نتيجة لظروف مختلفة[3].

- **الشَعراء:**

امتازت هذه الفترة بعديد شعرائها الذين كان أكثرهم أندلسيّين مولدًا،، ونشأة، وثقافة ،وأقلهم أندلسيون حياةً وتأثراً ونتاجاً، ثم إنَّ بعضهم قد كثرت أخباره لكونه أميراً أو حاكماً، على أنَ بعضهم الآخر قد قلت أخباره لكونه لم يتمتّع بحكم أو إمارة، وإنّما من أبناء الشعب، والتاريخ لايُعنى بأخبار الشعب،ومن هؤلاء الشعراء:

- **عبد الرحمن الداخل:**

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هاشم ولد في إحدى قرى دمشق عام (113هـ/731م)[4]، مات أبوه وتركه صغيراً فكفله جدّه هشام[5]، ثمّ عندما كان في العشرين من عمره وحلّت النكبة ببني أميّة، وقام على أنقاضهم بنو العباس[6]، كان عبد الرحمن قد فرّ بأهله وولده إلى ناحية الفرات، ونزل بقرية قرب النهر،

---

[1] المراكشي، محيي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 11.

[2] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**،90-91، أبو الفضل، محمد أحمد، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، 275.

[3] الشكعة، مصطفى، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، 121-124.

[4] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 205/23.

[5] ابن كثير ، أبو الفداء، **البداية والنهاية**، 74/10، عنبتاوي، عدنان، **حكايتنا في الأندلس**، 147.

[6] مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، 115-118، أرسلان، شكيب، **خلاصة تاريخ الأندلس**، 27.

واختفى بها عن أعين العباسيّين وبعدها تسلّل إلى الأندلس[1]، وجمع حوله أنصار بني أمية ونازل يوسف الفهرى [2]والي الأندلس فهزمه ،ودخل قرطبة عام(139هـ /755م)[3]،وقد تغلّب الداخل على كلّ ما صادفه من صعوبات في تأسيس دول بني أمية في الأندلس واعتمد في ذلك على الذّكاء، والحيلة، والقسوة أحياناً، حتى إنه قتل بعض قرابته وخاصّته في سبيل تحقيق غايته، و لقبه أبو جعفر المنصور[4] " صقر قريش " وكان لقباً يليق بعبد الرحمن الذي ظل نحو ثلاثه وثلاثين عاماً وهي مدة حكمه في جهاد متّصل وعمل دائب، من أجل تحقيق هدفه الكبير، ومن ثمّ مات سنة (172 هـ/788م)بعد أن حقّق أكثر ما كان يريد[5]، وكان عبد الرحمن شاعراً مجيداً وناثراً بليغاً، وكان شعره يصوره بجوانبه المختلفة كإنسان وكمحارب وكمحارب وكسياسيّ، كأبياته عن نخلة الرصافة التي ذكرت سابقاً[6].

وهناك نماذج أخرى تمثّله كمحارب ،وكسياسيّ ،وكلّها تأخذ طابع الفخر، ولكنه الفخر الصادق، ومن ذلك قوله في حضنة بعض رفاقه على صيد الغرانيق، وقعت إلى جانب معسكره في إحدى غزواته:

دعني وصيد وقعَ الغرانق

فإن همي في اصطياد المارق

في نفق إن كان أو في حالق

اذا التظت هواجر الطرائق

كان لفاعى ظل نبذ خافق

---

[1] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 28-29.

[2] يوسف الفهري: هو آخر ولاة الأندلس، والذي عاصر سقوط الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية، وظل عليها واليا إلى أن دخلها عبد الرحمن بن معاوية وهزمه ، وبالتالي أسس عبد الرحمن الدولة الأموية في الأندلس، وجده عقبة بن نافع فاتح المغرب العربي، وباني مدينة القيروان، ووالي افريقيا أيام معاوية بن أبي سفيان، المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 224.

[3] المراكشي، محي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 11.

[4] أبو جعفر المنصور اسمه الكامل عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هشام، ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم، واشتهر بتشييد مدينة بغداد التي تحولت لعاصمة الدولة العباسية، تولى الخلافة عام 754م، حتى وفاته عام 775م، وكان همه الأكبر أثناء حكمه هو تقوية حكم أسرة بني العباس، والتخلص من أي خطر يهدد سيطرتهم، ادهم، علي، **أبو جعفر المنصور**، 52-55.

[5] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**،2/ 60.

[6] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 205/23.

غنيت عن روض وقصر شاهق[1]

وعبد الرحمن وإن كان مشرقيّ المولد والنشأة، فإنّه يعتبر أندلسيّ الحياة والشّعر، وذلك لأنه وفد على الأندلس في شبابه الباكر، وتأثر بما كان في الأندلس من حياة طويله عريضة مزدحمة بالأحداث والتجارب، حتَى كان كلّ ما أثر عنه من شعر قد قيل في الأندلس، ومن هنا جاء شعره مرتبطاً بالأندلس[2].

ونماذج شعره قسّمها بين الحنين والفخر. أما الحنين فتصدّره تعليق قلب الشّاعر بوطنه الأول في المشرق حيث وُلد ونشأ وكان لآبائه دولة كبيرة، وأما الفخر فمصدره بطولة الشّاعر ومغامراته وانتصارته، فقد استطاع وهو شاب أن يؤسّس دولة بني أمية لتعوّضهم الدول التي فقدوها[3].

ومن هنا كان شعر الداخل يتسم بالصدق؛ لأنه يعبّر عن تجارب عاشها الشّاعر بنفسه، وانفعل بها حتى الفخر الذي من شأنه أن يكون مثقلاً بالمبالغات والأكاذيب، فقد كان من عبد الرحمن الداخل فخراً محتملاً لا تثقله مبالغات أو أكاذيب، لأنه يصوّر حقيقة الرجل وسيرته، واتسم شعره أيضاً بفنية التعبير، فهو في حديثه عن بعض الأشياء لا يصفها من الخارج وإنما يتعمّق بداخلها.[4]

- **أبو المخشى -:**

هو عاصم بن زيد العبادي، ويتّصل نسبه بالعباد نصارى الحيرة، وكان والده من جند الشام الذين وفدوا على الأندلس في فترة الولاة، وكان قد نزل مع جند دمشق بمنطقة البيرة، فنشأ أبو المخشى ببلدة شوش واتجه إلى قرض الشعر ومازال ينبغ فيه حتى صار ألمع شعراء عصره[5].

ويقال: إنه كان ذا هجاء يمسّ الحرم، و يتناول الأعراض أحياناً، ولذلك كان الشّعراء يجدون في أصله النصراني البعيد مغمزاً يعيّرونه به، وكان -أول الأمر- كثير المدح لسليمان بن عبد الرحمن الداخل، حتّى ليوشك أن ينقطع به، وقد ذكر في إحدى مدائحه بيتاً من الشعر اعتبره هشام بن عبد الرحمن تعريضاً به وهو-:

---

[1] ابن الأبار، محمد، **الحلة السيراء**، 11/1،هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**،94.

[2] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**،2/ 60.

[3] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**،**95-96**.

[4] نفسه،95-97.

[5] ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، 123/2-124.

وليس مثل من سئل عرفا ... يقلبَ مقلةً فيها اعورار[1]

وسبب اعتبار هذا البيت تعريضاً بهشام أنه كان أحول، فاغتاظ من أبي المخشى، وخاصّة لمّا عرف عنه من هجائه الذي يمسّ الحرم، ولمّا اشتهر به من مدح سليمان دون هشام، فاستدعاه إلى مدينة ماردة، وكان هشام واليها في حياة أبيه، فطمع أبو المخشى بعطائه ، فلمّا دخل عليه قال له : "يا آبا المخشى، إنَ المرأة الصالحة التي هوت ابنها، فقذفها فأفحشت فيها ،وقد أخلصت دعاءها لله في أن ينتقم لها منك فاستجاب رجاءها، وسلطني لأقتصّ لها، ثم أمر به فقطع بعض من لسانه، وسملت عيناه، وقد عولج جراحه، ولكن عاش بعد ذلك ممثَلاً به ، فأما لسانه فانجبر بعد وقت إلا قليلا فاستطاع الكلام ولكن بصعوبة، وأما العمى فقد استمرّبه، فعظم مصابه وكثرت شكواه في أشعاره،ولمّا بلغ عبد الرحمن الداخل صنع ابنه هشام بأبي المخشى ساءه الأمر، وكتب إلى ابنه يعنّفه، ثم قدم الشاعر على عبد الرحمن وأنشده قصيدته التي صوّر من خلالها محنة العمى التي يعاني منها ، فرق قلب عبد الرحمن وأعطاه الأموال ، وكذلك ابنه هشام شعربالندم[2].

ويقال إنّ الشّاعر اتخذ صبياً كمنشد لشعره بعد أن أعجزته مأساته عن الإنشاد الفصيح، وعمّر أبو المخشى بعد محنته، حتى لحق دولة عبد الرحمن الأوسط وتُوفّي قريباً من هذا العهد وذُكر أنه مات في عهد الحكم الربضي.

ولكن برغم ما عرف عنه من غزارة القول إلَا أنّه لم يصلنا من شعره إلا القليل الذي منه تلك الأبيات التي صوّرت محنة العمى لديه، ومن القليل الذي بقي من شعره أيضاَ تلك الأبيات التي يمجّد فيها انتصار الداخل في بعض المعارك:

وهمّ ضافي في جوف ... كلا موجيهما عندي كبير

فبتنا والقلوب معلقات ... وأجنحة الرياح بنا تطير[3]

و ما قاله في آخر حياته وهو يصوَر عجزه ومأساته وحياته عالة على زوجته:

أم بنَياتي الضعيـــف حويلهـــا ... تعول امرأ مثلـى وكان يعولهـــا

---

[1] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 377.

[2] ابن القوطية، أبو بكر ، **تاريخ افتتاح الأندلس**، 35-36، هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،97-100. 100.**

[3] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 277، أبو الفضل، محمد أحمد، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، 275.

إذا ذكرت ما حال بيني وبينها بكت تستقبل الدهر ما لايقيلها[1].

فأبو المخشى كان يمثّل الشّعر الأندلسيّ في فترة تأسيس الإمارة أصدق تمثيل، فهو يمثله في سيرة هذا الاتجاه المحافظ ذي الملامح البدوية، فعالج موضوعات كثيرة من خلال شعره ومن ضمنها موضوع فقدانه البصر[2].

- **الحكم بن هشام-:**

هو أبو العاص الحكم بن هشام بن عبد الرّحمن الداخل، ويلقّب بالربض، ولد عام(154هـ/770م)[3]، ونشأ في بيت الإمارة الأموية في الأندلس، وتولّى الأمر بعد موت أبيه هشام سنة (180هـ/796م)وهو في نحو الخامسة والعشرين من عمره[4].

وقد عُرف بكثير من التحرّر الذي أسخط عليه الفقهاء وأبعده كثيراً عن قلوب الشّعب[5]، فقد كان ميالاَ إلى إلى اللهو، مولعاً بالصّيد، يؤثر الندماء والشّعراء على الفقهاء والعلماء،ولذلك حرّضوا العامة ضدّه ، وكان أكثر الناس تأثراً بهذه الإثارة هؤلاء المولّدون الذين يسكنون الربض، والذين عُرفوا بثورتهم، التي كادت أن تقضى على الحكم وربّما على الإمارة الأموية كذلك[6]، وقضى الحكم شطراً كبيراً من حكمه في قيادة الجيوش ومحاربة المتمرّدين، وكان أخطر ما عانى ثورة الربض، فقد كان الحكم فارساً شجاعاً ومغامراً باسلاً، وكان أديباً مجيداً وشاعراً وناثراً، وشعره يتردد بين الغزل والحماسة، فهو في غزله رقيق ليّن خاضع متذلل، وهو في حماسته عنيف أبيّ متجبّر شأنه في ذلك شأن كلّ الفرسان الذين يعدّون الخضوع للأحباب والقسوة على الأعداء من أهمّ معالم شخصيَتهم[7].

---

[1] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 377.

[2] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**،**98-99**.

[3] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**،2/ 79.

[4] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 219/23.

[5] المراكشي، محي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 13.

[6] الحميدي، أبوعبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**،30، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،420-423.

[7] ابن خلدون، عبد الرحمن، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، 125/4، مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، 273-274.

وشعره إلى جانب تردّده بين الغزل والحماسة يميل إلى شئ من المبالغة التي مبعثها شخصيّة الشاعر وطبعه الفروسيّ، وشعره يعدّ جيّداً نوعاً ما ، ففيه يتلاءم الأسلوب مع الموضوع وتنسجم التجربة مع التعبير[1].

ومن شعره:

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعـــا وقد ما لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليـوم ثغـــرة أبادرها مستنضـــي السيف دارعـــا
وشافه على الأرض الفضاء جماجما كأقحاف شريـــان الهبيـد لوامعـــا[2]

ومن شعره أيضاً:

قضب من البان ماست بين كثبان ولين عنـي وقد أزمعـــن هجرانـــي
ناشدتهـن بحقي فاعتزمـــن علـــي العصيان حتى خلا منهن عصياني
ملكننـي ملكـــاً ذلـــت عزائمـــه للحب ذل أسيـــر موثـــق عانـــى[3]

- **عبّاس بن ناصح-:**

هو أبو المعرّي عبّاس بن ناصح الثقفي ،من أهل الجزيرة الخضراء، وكان قد رحل مع أبيه إلى مصر، وتردّد على الحجاز والعراق، ولقي أئمة العلم في تلك البلاد، فكان على حظّ كبير من العلم بالفقه، والراوية للشّعر، ولمّا عاد للأندلس ولّاه الحكم قضاء الجزيرة الخضراء مع شذونة[4].

وكان يتردّد على قرطبة فيأخذ عنه أدباؤها، وتدور بينه وبينهم محاورات أدبية طريفة، ويمكن أن نعتبرها المحاولات الأولى للنقد الأدبيّ في الأندلس، وقد اشتهر ابن ناصح بالشّعر شهرة كبيرة، بالاضافة لكونه شاعراً، فهو عالم مؤدّب، وخلّف ديوان شعر كان موضع عناية الأندلسيين ودراستهم، ولكن هذا الديوان ضاع، ولم يبق من شعره إلا القليل[5].

ومن أمثلة شعره الزهدي-:

---

[1] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**،101-103.

[2] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، 120.

[3] مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، 126، أبو صالح، وائل، **الجواري في الأندلس**، 102.

[4] المغربي،ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، 253.

[5] الضبي، أحمد، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، 276.

ما خير مدة عشي المرء لوجعلـت كمدة الدهـر والأيام تفنيهـا

فارغب بنفسك ان ترضى بغير رضا واتبع نجاتك بالدنيا وما فيها[1]

فشعره كان –بشكل عام– ذا سمات بدوية واضحة، وكان قليل الصقل، كثير الخشونه، ويتمثّل ذلك في سذاجة بعض الأفكار واهتزاز بعض الصّور[2].

- **حسَانة التميمية–:**

هي حسانة بنت أبي الحسين الشاعر، كانت من أهل البيره، وقد تأدبت على أبيها الذي كان من الشعراء، ولمَا مات لجأت إلى الحكم أمير الأندلس وقتها[3]، وكانت وسيلتها في ذلك تلك الأبيات–:

إني إليك أبـو العاصـي موجعـة أبا الحسين سقته الواكف الديم

قد كنت أرتع فـي نعمـاه عاكفـة فاليوم آوي إلى نعماك يا حكم

أنت الإمام الذي انقـاد الأنـام لـه وملكتـه مقاليد النهـى الأمـم

لاشيء أخشى إذا ما كنت لي كنفاً آوى إليه ولا يعـرو لي العـدم

لازلـت بالعـزة القعسـاء مرتدياً حتَى تذل إليك العرب والعجـم[4]

فلمّا وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها بإجراء راتب، وكتب إلى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن، غير أنه لمّا مات الحكم نالها بعض الضّرّ من عامل بلدها جابر بن لبيد، الذي لم يحرّر أملاكها، ولم ينفذ ما خطه الحكم، فلَما جاءت للأمير الجديد عبد الرحمن الأوسط وأنشدته قصيدة منها–:

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي على شحط تصلى بنـار الهواجـر

ليجبر صدعـي إنـه خيـر جابـر ويمنعنى من ذي الظلامـة جابـر

فإنـي وأيتامـي بقبضـة كفـه كذى ريش أضحى في مخالب كاسر

جدير لمثلـي أن يقـال مروعـة لموت أبي العاص الذي كان ناصري

سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى علي زمـان باطـش بطـش قـادر

---

[1] المغربي، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**،235.

[2] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**،**105**–108.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 168/4.

[4] نفسه، 168/4.

أيمحو الذي خطتــه يمنــاه جابــر لقد سام بالأمــلاك إحــدى الكبائــر[1]

فلمَا فرغت من قصيدتها رقَ اليها وعزل الوالي وأقرها على أملاكها وانصرفت وبعثت إليه بقصيدة منها-:

ابن الهشامين خير الناس مأثرة وخيــر منتجــع يومــاً لــروّاد

إن هزَ يوم الوغى أثناء صعدتــه روّى أنابيبها من صرف فرصاد[2]

وتعتبر حسانة أولى الشّاعرات الأندلسّيات وأسبقهنّ إلى قول الشعر، ومن الواضح من خلال الأبيات أنّ شعرها مزيج من الرثاء والشكوى والمدح وطلب العون، وهو على جانب كبير من النضج الفنيّ، فهو شعر يتّسم بالتجويد الفنيّ، والتركيز العاطفيّ، وشعر حسّانة يتسم بالأصالة والصدق، ففيه كثير من طبيعة المرأة في ضعفها وحاجتها إلى الحماية وبحثها عن الكنف، وفزعها من القهر، ومن خلال حديثنا عن حسانة الشاعرة يتّضح لنا أنّ المرأة كانت تشارك بالحياة الأدبية في المجتمع بشكل بارز وواضح، فمن أهمّ مظاهر المجتمع في الأندلس في تلك الفترة ظهور شخصيّة المرأة في مجال الفن[3]، ومن الأمثلة على على ذلك أنّ عبد الرحمن الداخل عمل على استقدام بعض الفنانات المشرقيات، وأسّس لهم بالقصر داراً، عرفت بدار المدنيات لأنّ أغلبهم من المدينة وهنّ اللاتي وضعن بذور الموسيقى العربية في الأندلس، ومن أمثالهن فضل، علم، العجفاء[4]، ومن الفنانات التي عرفت بتلك الفترة قلم وأصلها من سبي" البشكنس" "البشكنس "ولكنها أدبت في المدينة وعملت بعد ذلك في دار المغنيات مع صواحبها، وهكذا كان المجتمع الأندلسيّ في تلك الفترة مجتمعاً مستقراً نسبياً، ثمّ كان المجتمع في تلك الفترة يفتح عينه على بواكير حضارة أراد الأمويين أن يعيدوا بها في الأندلس حضارة فقدوها بالمشرق[5].

- **العجفاء**

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 168/4 ، الشكعة، مصطفى، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، 122-123-122.

[2] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 168/4، هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،108**.

[3] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،108-110**.

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 168/4.

[5] الشكعة، مصطفى، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، 122-123، هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،108-110**.

تُعدّ الجارية العجفاء أول شاعرة بأرض الأندلس، حيث كانت من الجواري الوافدات من المشرق، وسيّدها اسمه مسلم بن يحيى مولى بني زهرة، ومن شعرها:

يا طول ليلي أعالج السقما أدخل كل الأحبة الحرمـا

ما كنت أخشى فراقكم أبـدا فاليوم أمسى فراقكم عزما[1]

وعبد الرحمن الداخل عندما سمع بأدبها بعث إلى صاحبها واشتراها[2] .

- **زرياب**[3]:

يُعدّ زرياب من الشّخصيّات التي نستطيع أن نسمّيها حضارية،ويراد بالشّخصيّات الحضارية أولئك الأفراد الذين يتميّزون بخصال وخصائص شخصيّة وعلميّة أو فنية يكون لها أثر في تطوير الحضارة ومستواها في عصورهم ، واسمه أبو الحسن علي بن نافع ولد عام(173هـ/789م)في العراق وكان عتيقاً للخليفة العباسي، ولقب زرياب بسبب لون وجهه النحاسي الغامق، واسمه يعني طيرًا أسود الريش، وسرعان ما فرض نفسه على المجتمع القرطبي بثروته ، وابتكاره العود ذا الأوتار الخمسة الذي حلّ محلّ العود ذي الأوتار الثلاثة[4].

واختراعه مضرب من مخلب النسر بدل المضرب المصنوع من الخشب، وعرفت موهبته حداً من الشهرة، حيث إنّ الخليفة هارون طلب من أستاذ زريات إحضاره معه ليظهر مقدرته أمامه[5]، ففاق الموسيقار الفنّيّ كلّ حدّ في حضرة الخليفة، ممّا أثار حسد إسحاق الموصلي[6]، ولذلك قرّر الرحيل طلبا للثروة في الغرب، وبعد أن مكث مدة قصيرة في القيروان بالمغرب في بلاط زياد الله الأول الأغلبي أخذ طريق الأندلس، بسبب غضب زياد عليه فقد أمر بضربه وإخراجه من المغرب [7]،وكان خبر براعته قد سبقه إلى

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،98/2.

[2] الشكعة، مصطفى، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، 122-123.

[3] زرياب في الفارسية معناه ماء الذهب، الأصفر من كل شئ، الزبيدي، محمد ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، 286.

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 115/4،مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، 288-298.

[5] بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 54-55.

[6] هو اسحاق بن ابراهيم التميمي، من أشهر ندماء الخلفاء، وكان عالماً بالموسيقى، مولده ووفاته ببغداد سنة 235هـ/850م، نادم الرشيد، والمأمون، والواثق العباسيين، ابن خلكان،أحمد ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 202/1-204.

[7] والسبب في ذلك غنائه أبيات منها:

فإن تك أمي غرابيَة من أبناء حام بها عبتني

فإني لطيف ببيض الظبا وسمر العوالي إذا جئتني

إلى الأمير الأموي الحكم في الأندلس، عن طريق الموسيقار اليهودي القرطبي أبي النصر منصور، ونزل إليها من البحر في الجزيرة وهنا تلَقى نبأ وفاة الأمير الذي استدعاه، وتولي ابنه عبد الرحمن الثاني على أنّ هذا الأمير أسرع إلى إبلاغه بأنه يأخذ على عاتقه تنفيذ عقد والده ، وأنفذ إلى زرياب من الهدايا إلى درجة دعت المهاجر أن يضع حدّاً لتردده ويعزم على الاستقرار في الأندلس بقية أيامه[1]، فإنّ هذا الموسيقار العراقي، وقد استقبله سيّد البلاد باهتمام بالغ، سرعان ما فرض نفسه على المجتمع القرطبي بموهبته الموسيقية، ممّا أثار سخاء الأمير الأندلسي عليه ضجّة في العالم الإسلامي، جعلت موسيقاراً آخر من بغداد يستطيع أن يعترض للخليفة المهدي عن سوء حاله، مقارناً نفسه بزرياب صاحب المكانة والنفوذ وكان زريات حين وصل الأندلس عام(207هـ/ 822م)قد بلغ نيفاً وثلاثين سنة من عمره، قد مكث فيها حتى وافته المنية عام(262هـ/ 875م)[2].

فقد عُرف عن زرياب اهتمامه في مسائل الأناقة والمظهر الخارجي، فكان نموذج المجدّد العبقري في الأرض التي أحسنت استقباله، فقد أوجد معهداً سرعان ما استطاعت فيه الموسيقى الأندلسية أن تصل إلى مرتبة عالية وسمة رفيعة ، بعد أن كانت في البداية وثيقة القرابة بالمدرسة الشرقية التي أذاع صيتها إسحاق الموصليّ، وكان يتعلّم الشباب والشابات في هذا المعهد، وكان يهتم بتربية الصوت وتوسّع مداه ويُلزم التلاميذ بالقيام بتمارين وتدريبات عسيرة لكي يخرج الصّوت من القفص الصّدريّ كله، لا من الحنجرة فحسب، كما يفعل الكثير من المغنين ،والغرض من ذلك أن تستخدم امكانات المغني الصوتية استخداماً كاملاً فتتسع قدرته للتعبير الغنائي عن المعاني والأحاسيس[3]، وقد اتبع في تعليم الغناء طرقاً تتعدّد بتعدّد حالات التلاميذ، فكان يأمر التلميذ بالجلوس على وسادة تعرف بالمسوّرة ، وأن يشدّ صوته جيداً إذا كان قوي الصوت، وإلا فيأمر أن يربط بطنه، لأنّ ذلك في رأيه يقوّي الصوت، وإن كان ثمّة تلميذ لا يستطيع فتح فمه بشكل مناسب أدخل فيه قطعة خشبية وأبقاها عدة ليالٍ حتى ينفرج فكّاه، ومن لم

ولولا فرارك يوم الوغى لقدتك في الحرب أو قدتني

ابن عبد ربه، أبو عمر، **العقد الفريد**، 30/7.

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 115/4-116.

[2] AL-itasan ibn Ahmad ibn Ali al-katib, la perfection des connasissances musicales, traducation et commentare dun traite de musique arabe du xi siècle par amnon shiloah, bibliotheque detudes islamiques f.5,(paris:p.Geuthnen,1972,pp.55-56.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 115/4-116.

يره مناسبًا أبعده، وقد كان لزرياب أسلوب خاص في أداء الغناء، حيث يبدأ بالنشيد أو بأي نقر على إحدى الآلات الموسيقية ، ثم يأتي بالبسيط، ثمّ يختم بالمحركات والأهزاج[1].

وهو أول من أنشأ في الأندلس المسرح الصغير الذي تجلس عليه الفرقة الموسيقية،وكان ذلك المسرح يسّمى " الشارة "وكان غناء أهل الأندلس إلى ذلك الحين غناءً عربياً بسيطاً وهو الحداء، فأدخل زريات موسيقى عالية عرفت باسم " الزريابية "وأصبح الحداء أو الحدو هو الغناء الشعبي في ميدان الموسيقى الزريابية التي أصبحت الموسيقى الكلاسكية الراقية بالأندلس، فقد كان يعمل بنظام تام وهيئة جليلة[2].

وكان يخصص صدر النهار للدرس والتدريس، وبعد الظهر للقراءة والاطّلاع، وفي الليل يتوجّه إلى القصر، وكان الميسورون من الناس يرسلون إليه بجواريهم ليعلّمهم وقد أخرج جيلاً من المغنيات المختارات، اشتهر أمرهم في العالم الإسلامي مثل" قلم" "علم" "شفاء "وبلغ من إعجاب عبد الرحمن الأوسط أن أمر ذات مرة بأن يدفعوا له ثلاثين ألف دينارٍ مكافأة له على اللحن، فرفض خزنة الأمير إعطاءه المبلغ على اعتبار ذلك تضييعًا لأموال المسلمين، فلم يستطيع الأمير إرغامهم على الدفع، وهو الذي علَم أهل الأندلس ارتداء الصوف بالشتاء ،والقطن والكتّان صيفاً ،وعلم أهل قرطبة أكثر طرائق الطعام تعقيداً في المطبخ البغدادي، ودّربهم على كيفية إعداد وجبة راقية ، حيث أنه يجب أن تقدم ألوان الطعام بنظام، وإنما يبدأ بأطباق الشوربة ،ويتبعها مقدمات من اللحم، من أنواع الطيور المتبلة بالبهارات بمستوى الذوق الرفيع، وفي النهاية تأتي الأطباق المحلاة مثل الكاتو المصنوع من الجوز، واللوز، والعسل وغيرها، بالإضافة إلى ذلك فتح معهداً حقيقياً للجمال لفنّ الشّعر، وهندمة الرأس وغيرها من الأمور الجمالية[3].

وفي تاريخ الموسيقى العربية احتلّ ذلك الطائر الأسود مكاناً رفيعاً وجليلاً، فقد كان من القلائل الذين أخلصوا للفن الموسيقيّ، وجدّدوا فيه ،وحافظوا على مكانة الفنان وهيبته[4]،ولن ننسى عند الحديث عن زرياب أن نتحدث عن بادرة النوبة ، التي تتألّف من تتابع تقليدي ، يتميز بالتصاعد من القطع البطينة في

---

[1] ابن حيان،أبو مروان ، **المقتبس من أنباء الأندلس**، 221، شلبي، عمر ، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)** ، 171-172.

[2] بلنثيا، آنخل، **تاريخ الفكر العربي**، 42.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 4/115-116.

[4] بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 54-55.

البداية، إلى النشيد والتي تحرف في الإسبانية إلى " أناشير" ، ثم إلى "بسيط" ليصل أخيراً إلى القطع السريعة المحرّكات، وتتبعها الأزجال[1].

وكان زرياب شاعراً مجيداً متضلّعاً في علوم مختلفة كالنجوم، وقسمة الأقاليم السبعة، وتصنيف بلادها والطبيعة، والسياسة، والتنجيم، ومن تلاميذ زرياب جارية اسمها "مصابيح "أبى مولاها أن يدعها تغني للشاعر أبي عمر بن عبد ربه، فصنع هذه الأبيات وبعثها إليها-:

يامن يصنن بصوت الطائر الغرد ماكنت أحسب هذا الفن من أحد

لو أن سماع أهل الأرض قاطبة أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد[2]

ومن أقواله أيضاً-:

علقتها ريحانة هيفاء عاطره نضيرة

بين السمينة والهزي له والطويلة والقصيرة

لله أيام لنا سلفت على دير المطره[3]

ويقال: إنّ رجال الدين كانوا لا ينظرون إلى الموسيقى بعين الرّضا، وكان الفقهاء يعتبرون الاشتغال بها أمراً محطّاً لا يليق إلا بالموالي والإماء، وذوي السمعة السيئة[4].

وهكذا كان زرياب مدرسة متعدّدة الجوانب، تعلّم فيها الأندلسيّون ما لم يكونوا يعرفونه من أدوات، وملابس، وفنون، وكان يساعده في التعليم في هذه المدرسة أولاده، وبناته، وجواريه، وخاصّة" متعة[5]،

---

[1] الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**،489/1.

[2] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 115/4-116، أبو الفضل، محمد أحمد، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، 275.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 115/4-116، أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، 545.

[4] أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، 545.

[5] متعة جارية لزرياب علمها الغناء، وأدبها، وكانت رائعة الجمال، غنّت للأمير عبد الرحمن فأعجب بها، فأبدت رغبتها به وغنته بالأبيات:

يا من يغطي هواه من ذا يغطي النهارا

قد كنت أملك قلبي حتى علقت فطارا

يا ويلتا أتراه لي كان أو مستعارا

يا بأبي قرشيَ خلعت فيه العذارا

وغزلان وهنيدة"، إذ علّمهما الغناء فبرعن فيه، وقد بالغ الأمير عبد الرحمن الثاني في إكرام زرياب فكثر حسّاده، فقد هجاه يحيى الغزال هجاءً لاذعاً جعل الأمير يأمر بنفيه من الأندلس، وواجه زرياب معارضة بعض الفقهاء والوزراء، وهي معارضة رأى فيها بعض المؤرّخين عدم تقبل للحضارة العراقية في بيئة الأندلس، وقد يكون ذلك صحيحاً، إلا أنّ السبب الأقوى لهذه المعارضة كان استحواذ زرياب على قلب عبد الرحمن الثاني، وقد تُوفّي زرياب(243هـ/857م)، وقيل(238هـ/852م)، قبل وفاة الأمير بأربعين يوماً[1].

- **يحيى الغزّال-:**

يُعدّ من طرائف الشّخصيّات أيام الحكم وابنه عبد الرّحمن وهو يحيى الغزال الجيانيّ ،وهو عربيّ من بكر بن وائل، ولد في جيّان وقد سمّي بالغزّال لجمال هيئته وأناقته كان شخصيَة جميلة يخلط الجدّ بالهزل[2]، ولايكفّ عن مهاجمة الدنيا بسخرية لايكاد يهتمّ لشيء، وكان شاعراً مبدعاً وعقلاً جريئاً، ولا يكف عن مهاجمة الفقهاء، والتحدث عن نفاقهم وتظاهرهم بالتقشّف والعزوف عن الدنيا، مع غناهم وحرصهم على المال والحياة[3]، وقد تعقّبوه بإصرار لكي يجدوا وسيلة لاتهامه بالزندقه والقضاء عليه، ولكنّه كان أمهر منهم، فهرب إلى المشرق وغاب عنهم زمناً، ولقي أبا نواس وأنشده شعره، وفي هذه الرحلة قال كلاماً كثيراً كان من الممكن أن يؤذيه، ولكنه لم يتعرّض لأي أذًى، ولمّا عاد إلى الأندلس لقي قبولاً من عبد الرحمن الأوسط وأصبح من ندمائه وأصحابة[4]، وجعله سفيراً إلى الملوك، فأرسله في بعثة إلى الإمبرطور "تيوفيلوس "إمبراطور بيزنطه، وذهب برفقة صديق له يسمّى " يحيى صاحب المنقله "وقد كسب الغزّال اعجاب أهل البلاط البيزنطي، وأعجبت به سيدات القصر رغم تجاوزه الستين من العمر، وقيل أنه أنشد في بعضهنّ أشعاراً قام المترجمون بنقلها إلى اليونانية، ولقيت هذه الأشعار إعجاب آل القصر، وقد قضى في سفارته ثلاث سنوات رجع بعدها محملاً بالهدايا والذكريات، وكان عند عودته قد حمل إلى الأمير عبد

ولما عرف زرياب أمرها أهداها للأمير عبد الرحمن الأوسط، وصارت ذا حظوة كبيرة عنده، المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 4/115-116.

[1] ابن حيان، أبو مروان ، **المقتبس من أنباء الأندلس**، 221.

[2] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 3/21.

[3] بهجت، منجد، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، 69.

[4] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 555، الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 1/489-491.

الرحمن رسالة من الإمبراطور[1]، وقد كان نجاحه في هذه السفارة حافزاً لعبد الرحمن لإرسالة إلى ملك النورمان في الدنمارك، لكي يتباحث معه أمر أولئك الغزاة الذين يؤرقون أمن الأندلس، فذهب مع صاحبه يحيى بالبحر أيضاً، وكانت رحلته شاقة اضطرته الأمواج خلالها إلى الرسوّ في ايرلانده، ثم إنجلترا، وبعدها مضايق بحر البلطيق، ووصل بلاط ملك النورمان وأبدع الغزال أيما إبداع، واستظرفه الملك وكان يحبّ أن يستقدمه ويستمع إليه في حديثه وفكاهته بواسطة مترجم، وطال مكوث الغزّال في بلاط النورمان ،لأنّ الناس أحبّوه واستمسكوا فيه، ولكن كان لابد من أن يعود إلى قرطبة، وعاد وحدّث الناس عن ما كان بينه وبين الملك من ودّ وتفاهم، وتُوفّي وقد تجاوز الثمانين من العمر في عام(250هـ/864م)[2].

فكان يُعرف الغزّال إلى جانب شعره بأنه حكيم، ومعنى "حكيم "أنه يحسن التصّرف في الأمور والكلام،و يقال إنه نظم أرجوزة في فتح الأندلس كانت جميلة وعرض فيها أسباب الفتح والوقائع التي جرت بين المسلمين والنصارى،وصرف وقته في تحصيل العلم، ولم يكن متزوجًا حينما أنشد أبياتًا منها-:

أنا مثل سهم سوف يرجـــع بعدمـــا أقضاه رامية المجيد ليخيـــرا

ما كنت أحب أن أضيع وأنت في الد نيا وأن أمسى غريباً معسراً[3]

ففي فترة الإمارة الأموية شاع البذخ والترف وازدهر فنَ الغناء على يد زرياب، كما أنه أدى إلى التجديد والأدب ، والاهتمام بأغراض وموضوعات لم تكن شائعة كأشعار اللهو ،والمجون، والخمر، ومن الأمثلة على ذلك يحيى الغزّال الذي أكثر من القول في الخمريات ومن ذلك-:

ولما رأيت الشرب أكدت سماؤهم تأبطت زقى واحتسب غنائـــي

فأما أتيت ألحـــان ناديـــت ربـــه فهب خفيف الروح نحو ندائي[4]

ومن شعره أيضاً:

إذا أخبرت عن رجل بريء من الآفات ظاهره صحيح

فسلهم عنه هو هو آدمـي فإن قالوا نعم فالقول ريح

---

[1] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 555، أبو الفضل، محمد أحمد، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، 275.

[2] الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 489/1-491.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 21/3.

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 21/3،الشافعي، حامد، **الكتب والمكتبات في الأندلس**،46.

ومن إنعام خالقنا علينـــا بأن ذنوبنا ليست تفـــوح[1]

وأيضاً:

وإنَ مقامي شطـــر اليـــوم بمنزلـــه أخاف على نفسي به لكثير

وقد يهرب الإنسان من خيفة الردى فيدركه ما خاف حين يسير[2]

- **ابن عبد ربه**

يكنّى أبا عمر ، كان أبرز أدباء عصره، وُلد سنة(246هـ/860م)[3]، ونشأ بقرطبة نشأة علميّة متّصلة بعلماء عصره، وقد عاش في عصري الإمارة والخلافة حياة شهدت عهود أربعة حكّام من بني أمية، ونال حظوة عندهم جميعاً، وكان واسع الثقافة متبحّراً في عدّة فروع من المعرفة كالفقه ، والتاريخ، واللغة العربية وآدابها، تتلمذ على يد ابن وضّاح، وبقيّ بن مخلد، والخشني، وتوفّي بعدما أصيب بمرض الفالج سنة(328هـ/939م)[4]، وظهرت ثقافته بشكل واضح من خلال كتابه" العقد الفريد"، الذي جاء على نحو موسوعيّ ملمّ بثقافته إلماماً واسعاً[5] .

لقب بالعديد من الألقاب، ومنها "شاعر الأندلس"، و"بليغ الأندلس"، فمثلاً ابن شرف القيرواني الذي توفّي عام(460هـ/1067م)، أثنى على أشعاره في مرحلتي الشباب والشيخوخة[6]، ولابن عبد ربه في ولد المنذر المنذر بن محمد قصيدة منها:

بالمنذر بن محمد شرفت بلاد الأندلس

فالطير فيها ساكن والوحش قـد أنـس[1]

---

[1] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 597.

[2] القرطبي، أبو عبد البر، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**،243/1.

[3] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 49/1.

[4] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 94.

[5] الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 491/1، بهجت، منجد، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط سقوط غرناطة**، 82-84.

[6] Ibn Shuhayd,Risalat at-Tawabi:wa z-Zawabi translated by james T.Monroe(Berkdey),(A;los Angeles:Univirsity of Californai publications ,1971,pp.26-27 and 71-73.

و قوله أيضاً في مدح عبد الله الأمير الأموي:

خلافة عبد الله حــج عــن الــورى فلا رفث في عصــره وفســوق
تجلت دياجي الحيف عن نور عدله كما ذَر في منح الظلام شروق
وثقّف سهم الدين بالعدل والتقـــى فهذا له نصـــلٌ وذلــك فــوق[2]

ومن شعره عندما هنّأ الخليفة الناصر:

بدا الهــلال جديــدا والملك عضَ جديد
إمام عــدل عليـــه تاجان : بأسٌ وجود
يوم الخميس تبدى لنا الهــلال السعيــد[3]

وفي أحد الأيام مرَ بقصر من قصور قرطبة، فسمع منه غناء أذهب لبه، وألهب قلبه، فبينما هو واقف تحت القصر، إذ رشّ ماء من أعاليه ، فكتب لصاحب القصر هذه الأبيات:

يا من يصن بصوت الطائر الغرد ما كنت أحسب هذا البخـل في أحـــد
لو أنَ سماع أهل الأرض قاطبــة أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضنَ على سمعــي ومن بــه صوتاً يجول مجال الروح في الجســد
أما النبيذ فإنـــي لســت أشــربه ولســـت آتيـــك إلا كســوتي بيـــدي[4]

وله أيضاً:

هيج الشَوق دواعي سقمي وكسا الجسم ثياب الألـــــم
أيها البيـــن أقلنـــي مــرة فإذا عدت فقد رحــل دمـــــي

---

[1] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 316، السعيدي، ناجية، **الزهد في الشعر الأندلسي حتى أواخر القرن الثالث الهجري**،23-25.

[2] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 94 ،الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 491/1.

[3] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 94.

[4] الاشبيلي، أبو النصر، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، 271، الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 491/1.

يا خلي الذرع نم في غبطة إنَ من فارقتـــه لـم ينـــــم

ولقد هاج بقلبـــي سقمــاً حب من لو شاء داوى سقمي[1]

ومن شعراء تلك الفترة أيضاَ عبّاس بن فرناس الذي وصف بالأدب[2]، وقول الشّعر وله أشعار رائعة وقصائد في مدح الأمراء[3]، والشاعر مؤمن بن سعيد ت (267هـ/880م) الذي كان منافساً قوياً لعباس حتّى غدا من أبرز الشعراء وأفضلهم في تلك الفترة[4].

ولن ننسى الشاعر تمام بن علقة ت(283هـ/ 896م) حين نظم الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها والخلفاء فيها، ووصف حروبها لآخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم وكان عالماً وأديباً، بالإضافة للأمير عبد الله الذي عرف بموهبته الشعرية [5]، والذي قال-:

يا مهجة المشتاق ما أوجعك ويا أسير الحب مـا أخشعـــك

ويا رسول العين من لحظها بالردّ والتبليـغ مـــــا أسرعـــك

تذهب بالسرّ فتأتـــي بـــه في مجلس يخفى على ما معك[6]

و يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة[7]، من أهل قرطبة إلى جانب براعته في الحساب والنجوم اهتم بالشعر ومعانية[8]، ولن ننسى الشاعر عبد الملك المعروف بالبشري وينسب للخليفة مروان بن الحكم الأمـوي[9]، وإلـى جانـب نبـوغ العديـد مـن الشـعراء فـي تلـك الفتـرة، ولا مجـال لـذكرهم لكثـرتهم. ولا مجال للنقاش في أنّ الأندلسيّين اتخذوا أمثلتهم ومستوياتهم من أوطانهم الأولى، وخاصّة في بداية

---

[1] الاشبيلي، أبو النصر، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، 272.

[2] ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، 333/1.

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،335/4، شلبي، أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، 86/4، الحجي، عبد الرحمن، **الحضارة الإسلامية في الأندلس**، 52، السرجاني، راغب، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، 172-174.

[4]الصوفي، خالد، **تاريخ العرب في الأندلس**،173.

[5] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**،153/2-155.

[6] نفسه ، 153/2-155.

[7] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 913/2.

[8] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 335/4.

[9] دخل الأندلس في بداية عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية، عرف باهتمامه ومحبته للشعر، كمال السيد، أبو مصطفى، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، 74.

أمرهم، فعندما جاء لامع البغدادي وهو أبو علي القالي استقبلوه بترحاب شديد وكانت أحاديثه حول أمور معجمية ونحوية بالدرجة الأولى[1]، ولكنها تنضوي على ميادين حول ميوله الأدبية[2]، ودونها في كتاب " الأمالي" أي ما أملاه الأديب.

بالإضافة إلى ظهور نوع من الشعر، وهو شعر الزهد الذي ظهر في فترة تأسيس الإمارة و تشكّلت أصوله ورسخت، ويقال: إنّ بداية ظهورة كانت أيام الثورة على الحكم الربضي الذي توفَي(206هـ/821م)، وقد اختص بأشعار الزهاد الأتقياء، وكانوا يتفننون بها في الليل، ومن شعراء الزهد في تلك الفترة موسى بن أصبغ المرادي العابد الزاهد ت(320هـ/932م)، حيث رتّب قصيدة على حروف المعجم، لكل حرف عشرون بيتاً وغيرها من القصائد الأخرى[3].

- **الشعر التعليمي في الأندلس:**

هو أسلوب من أساليب تيسير النحو وتسهيله، يتمثّل في نظم قواعد النحو العربيّ شعراً وهو شعر يهدف إلى تعليم الناس شؤون حياتهم، وإطلاعهم على الماضي البعيد والقريب [4]، والبحث في القضايا والأحكام الدينية ، والتاريخية، وغيرها، فقد صاحب ظهور الشعر التعليمي في الأندلس خلافٌ حول بداياته، فهو كغيره من العلوم كانت بداياته مجهولة، ولا يوجد دليل مؤكد حول أول من قاله أو ابتدعه في الأندلس[5] ، فهو في ذلك يشترك مع الموشّحات الأندلسيية التي ما زالت بداياتها وأول من قال فيها مجهولًا وغير معروف، غير أنّ بعض المصادر ترجّح أقدم أرجوزة في الشعر التعليمي لأحمد بن عبد ربه الأندلسي الذي توفّي في عام(328هـ/939م)[6]، حيث جاءت هذه المنظومة في مدح الخليفة عبد الرحمن الناصر ،

---

[1] Dhul-Nun Taha" Importance des Voyages Scientifiques entre Iorient et IAndalus" Revue de Loccident musulman et de la Mediterranee, vol.40,2 eme Semestre (1985),pp.39-44.

[2] Luis Molina, "lugares de destino de los viageros en el Tarig de Ibn al –faradi" in:Manuela Marin, Maria luisa Avila and luis Molina ,eds Estudios on omastico-Bio graficos de al –Andalus,6 vols,(Madrid:Consego Super iorde Invesigaciones Gientificas,Instituto de filologia,Departamento de Estudios Arabes (1988-1994) Vol.1,pp.585-610

[3] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 316، السعيدي، ناجية، **الزهد في الشعر الأندلسي حتى أواخر القرن الثالث الهجري**،23-25.

[4] عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**،144.

[5] يقال أن هذا الفن عربي أصيل، عرفته الجاهلية أيام زهير بن أبي سلمى، حيث أرخ لحرب داحس والغبراء، وبعدها خفت صوت هذا الفن فترة من الزمن، ثم عاد للظهور من جديد في عصور تالية، أبو صالح، وائل، **الشعر التعليمي النحوي في الأندلس**، 60.

[6] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 49/1.

، وبلغت حوالي أربعمائة وخمسين بيتاً، ووصف بها غزوات الناصر وحروبه، وتاريخ تلك الغزوات والحروب. لذلك كانت هذه الأرجوزة أو المنظومة أشبه بكتاب منظوم قصره على مغازي الناصر، من غير أن يتطرّق إلى النواحي العمرانية التي قام بها الناصر[1].

ويقال عن هذه المنظومة: إنها كاملة ومتكاملة ناضجة، وهذا يعني أنها ليست الأولى وليست وليدة لحظة، بل لا بدّ من أن يكون قد سبقها الكثير من المنظومات التي وضعها العلماء وأفاد منها ابن عبد ربّه، حتى أخرج منظومة بهذه الدقة والمتانة، وبعد ذلك بدأت المنظومات تحتلّ موقعاً متميّزاً من اهتمام علماء الأندلس، ليظهر الكثير منها وبخاصة أرجوزة " أبو طالب عبد الجبار" التي تنوّعت موضوعاتها، فشملت الأدّلة على وجود الله، والحثّ على التفكير في العالم[2].

وبعد أن أحسّ الأندلسيّون بمقدرتهم على الإمساك بزمام الشّعر التعليميّ ، والعلوم المختلفة، بدأوا ينظمونه في مختلف العلوم وشتى الفنون، وكانت المنظومات اللغوية والنحوية، تحتلّ موقعاً متميزاً من اهتمام الأندلسيين في عصور الازدهار والتقدم، وكان لذلك أسباب عدّة جعلت هذا العلم ينمو ويتطور وينتشر بكثرة[3].

- **أسباب انتشار الشعر التعليمي في الأندلس:**

تعدّدت الأسباب التي تقف وراء هذا الفنّ في الأندلس، والنتيجة واحدة هي ظهور فنّ شعريّ ضمّ في ثناياه أعظم علوم العربية (علم النحو) بطريقة سهلة مميزة ،ولعل من أهم تلك الأسباب:

- ضبط أصول العلم بدقة وإحكام، الفنَ المنظوم شعراً يجمع المادة النحوية ويلم شعثها، بعبارات موجزة جامعة دقيقة يستطيع الإنسان الحصول عليها والاستعانة بها.
- طبيعة الشعر المنظوم، فمن المعروف لدى الباحثين والدارسين أنّ الشعر المنظوم أسهل حفظاً وأيسر من المنشور، وذلك لاحتوائه على القافية والموسيقى، وهي غير متوافرة في النثر، فنظم قواعد النحو العربي شعراً يسهّل حفظها وتدارك ما ضاع منها وما فات ، فهي تحوي الأسماء والأعلام بطريقة سهلة وبسيطة[4].

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 390/4.

[2] عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، 150-153.

[3] الخولي، عبد البديع، **الفكر التربوي في الأندلس**، 42،عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، 152-153.

[4] عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، 150-153.

- الحياة المترفة ورقيّ العقلية العلمية في الأندلس، فقد كان العرب في الأندلس على درجة عالية من التمدّن والحضارة، فهم يعيشون حياة الترف والفنّ، فانتشرت في بلادهم الموسيقى والغناء، وكلّ وسائل الترفيه والتسلية، وكان لهذه الوسائل دورها في جعل حياة أهل الأندلس مترفة، وفي الوقت نفسه كان هناك إجلال وإكبار للعلماء وتقدير لجهودهم، وإسباغ العطايا عليهم، مما دفعهم إلى التقدم في شتى العلوم والمعارف، فأصبح علماء النحو في الأندلس على علم واسع بهذا العلم وتفهم جزئياته وموضوعاته، فقرروا أن يواكبوا الحياة المترفة ويعيدوا الحياة لقواعد النحو، عن طريق نظمها شعراً موزوناً يسهل فهمه وحفظه، لما يتمتع به من طرافه وسهولة، فالقلفاط محمد بن يحيى الذي توفّي في عام (302هـ/914م)، يُعدّ من أشهر نحاة الأندلس الذين صاغوا قواعد النحو العربي شعراً، وهذه الفترة في حياة الأندلس شهدت تقدماً علمياً عظيما في علم النحو، وتفهّم كلّ ما فيه من جزيئيات وخفايا ، فأخذّ الأندلسيّون يصوغون تلك القواعد شعرًا، ومن ذلك أنّ القلفاط طرحت عليه عدة أسئلة نحوية، فاختار الإجابة عنها شعراً ، فقال عدة أبيات تضمنت الحلول لتلك الأسئلة، وهذه الأبيات هي:

وعن خطايا أسما تسمى به	**أن كنت تصغيراً له تدري**
هل يأوه–قل–بـــــدل لازمَ	**أنت لها لا بــد مستبقــي**
أم هل تعود اليـــاء مهموزة	**فسره لنا تفسير مستقصي**
إن كان تصغير مطايا كتصغ	**ير خطايا قل ولا تخطـــي**
فإن تصب هذا فأنـــت امــرؤ	**أعلم من خليـــل النحـــوي**

فهذه الأبيات تدلَ على مدى الرقيّ الذي وصلت إليه عقول علماء الأندلس، حتّى استطاعوا صوغ هذه القواعد شعراً ، ليسهل على الطلبة فهم جزيئيات هذا العلم[1].

إذن فالشعر التعليميّ كان يهدف إلى التسهيل والتيسير على طلبة العلم، في ضبط الكلمات، وتعلّم النحو بطريقة جيدة، لذلك وُضعت المتون النحوية المنظومة، وقد ساعد اختصار هذه المتون واقتصارها على الأسس العامة على حفظها وتقريب الحقائق النحوية إلى ذهن المتلقي، فهي جاءت في الغالب خالية من الشواهد والأمثلة الموضحة لقواعدها[2].

---

[1] الخولي، عبد البديع، **الفكر التربوي في الأندلس**، 42،عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، 150–153

[2] عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، 150–153.

وأخيراً، فإنّ عصر الإمارة قد أنجب فئة من الشعراء شهد لهم الأدباء من معاصريهم، ومن أتى بعدهم بالبراعة في الشعر، والتصرّف في فنونه كابن عبد ربّه ، وعبد الرحمن الداخل ، وهذا –بلا شكّ– دليل كبير على تفوّق الأندلسيين ، وعلى ما بلغوه من درجة رفيعة ومكانة سامية في قرض الشّعر.

- **فنّ الموشّحات:**

هي عبارة عن فنّ شعريّ مستحدث يختلف عن ضروب الشّعر الغنائي العربي في أمور عدّة، وذلك بالتزامه قواعد معينة، وتميّزت الموشّحات بتحرير الوزن والقافية، وتسمّى بالشعبية؛ لأنها نشأت في أوساط الشّعب لإرضاء حاجة الشّعب، ولأنه كان يستخدم في بعض فقراتها اللغة العامية[1]، وتعتمد في تعابيرها أحياناً على أجزاء من أغنيات شعبية، ولأهميّة هذا الاتجاه الشعري كان له أثر كبير في الغرب والشّرق[2].

فالموشّحة تتألف غالباً من خمس فقرات، تسمّى كل فقرة بيتاً، والبيت في الموشّحة ليس كالبيت في القصيدة، لأنّ بيت الموشحة فقرة أو جزء من الموشَحة، يتألف من مجموعة أشطار، لا من شطرين فقط كبيت القصيدة، وكلّ فقرة من فقرات الموشّحة الخمس ينقسم إلى جزأين: الجزء الأول مجموعة أشطار تنتهي في قافية متحدة فيما بينها، ومغايرة في الوقت نفسه للمجموعة التي تقابلها في فقرة أخرى من فقرات الموشحة، أما الجزء الثاني من جزئي بيت الموشحة فهو شطران أو أكثر، تتحد فيهما القافية في كلّ الموشحة، والجزء الأول الذي تختلف فيه القافية من بيت إلى بيت يسمى غصناً، والجزء الآخر الذي تتحد قافيته في كلّ الموشّحة يسمّى قفلا[3].

هذا ما يتعلَق بالقافية، ويلاحظ أنّ فيها حريةً وتنويعاً من ناحية، والتزاماً وتماثلاً من جانب آخر أما الحرية والتنويع فهي الأغصان حيث تغاير قافية كلّ غصن قافية باقي الأغصان، وأما الالتزام والتماثل في الأقفال، فيجب أن تتحد قوافيها في الموشّحة كلّها، أما أوزان الموشّحة، ففيها حريّة وتنويع يقابلها التزام وتماثل[4].

والموشحات قد نشأت في الأندلس أواخر القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي، وقد كانت نشأتها في تلك الفترة التي حكم فيها الأمير الأموي عبد الله، وفي هذه السنين التي ازدهرت فيها الموسيقى وشاع

---

[1] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة**، 138.

[2] الشكعة، مصطفى، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، 120–121.

[3] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة**،139.

[4] نفسه، 139–140.

الغناء من جانب، وقوي احتكاك العنصر العربي بالعنصر الإسباني، من جانب آخر، فكانت نشأة الموشّحات استجابة لحاجة فنية أولاً، ونتيجة لظاهرة اجتماعية ثانياً، أما كونها استجابة لحاجة فنية فسبب ذلك يعود إلى أنَ الأندلسيّين قد أولعوا بالموسيقى وكلّفوا بالغناء منذ أن قدم زرياب[1]، وأشاع في الأندلس فنّه، والموسيقى والغناء إذا كان لازدهارهما تأثيرٌ في الشعر، وقد اتخذ هذا التأثير صورة خاصة في الحجاز، والعراق حين ازدهر فيها الغناء والموسيقى في العصر الأمويّ ثمّ العباسيّ، وكذلك اتخذ هذا التأثير صورة مغايرة في الأندلس ، حين ازدهر الغناء والموسيقى في تلك الفترة، فيظهر أنّ الأندلسيين أحسّوا بتخلّف القصيدة الموحّدة، إزاء الألحان المنوّعة، وشعروا بجمود الشعر في ماضيه التقليديّ الصّارم أمام النغم في حاضره التجديدي المرن ، وأصبحت الحاجة ماسّة إلى لون من الشّعر جديد، يواكب الموسيقى والغناء في تنوّعهما ، واختلاف ألحانهما، ومن هنا ظهر هذا الفنّ الشّعريّ الغنائي الذي تتنوع فيه الأوزان، وتتعدّد القوافي، والذي تُعتبر الموسيقى أساساً من أسسه، فهو ينظم ابتداء التلحين والغناء[2].

أما نشأة الموشَحات فقد جاءت نتيجة لظاهرة اجتماعية، فبيانه أنّ العرب امتزجوا بالإسبان وألّفوا شعراً جديداً فيه عروبة وفيه إسبانية، وكان من مظاهر هذا الامتزاج أن عرف الشعب الأندلسي العاميّة اللاتينية، كما عرفوا العاميّة العربيّة، إي أنه كان هناك ازدواج لغويّ نتيجة للازدواج العنصري ، وكان لا بدّ من أن ينشأ أدب يمثّل تلك الثنائية، فكانت الموشّحات، وجميع فقرات الموشحة تُنظم بالعربية الفصحى إلا الفقرة الأخيرة منها، والتي تسمّى " الخرجة" ، فقد كانت تعتمد على عامية الأندلس، ومعروف أنّ تلك العامية هي عاميّة العربيّة المستخدمة لألفاظ من عاميّة اللاتينية، فكأنّ الموشّحات لها جانبان: جانب موسيقي يتمثّل في تنوع الوزن والقافية، وهذا قد جاء استجابة لحاجة الأندلس الفنية، حيث شاعت الموسيقى والغناء، وجانب لغوي يتمثّل في أن تكون الموشّحة فصيحة في فقراتها ،عاميّة في خرجها[3].

وُيعتبر فنّ الموشّح الصّورة الأدبية المعبّرة عن تبلور الشّخصيّة الأندلسية في ميدان الأدب، ويقول البعض: إنّ للتجديد الموسيقي الذي أدخلة زرياب ومن بعده تلاميذه في الألحان بالأندلس[4]والتفنن العروضي الذي أوجده ابن عبد ربه [5]كان لهم الأثر الأكبر لظهور فنّ الموشح، حيث يقال في الموشح "

---

[1] عباس، احسان، **تاريخ الأدب الأندلسي**، 178-179.

[2] فروخ، عمر، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 587.

[3] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة**،140، عباس، إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي**، 178-179.

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 115/4، مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، 288-298، بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 54-55.

[5] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 49/1، بهجت، منجد، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، 82-84.

وأما أهل الأندلس، فلَما كثر الشّعر في قطرهم وتهذّبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية استمدّ المتأخّرون فنّ الموشَح، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات كلّ بيت على أغصان، عددُها حسب الأغراض والمذاهب"[1].

[1] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 49/1.

2-النثر:

يُعرّف النثر على أنه تعبير عن المشاعر، وما يدور في الذهن دون قيود فنية ، أو كلّ ما يدور في نفس الإنسان وقلبه من أفكار وخواطر، وانفعالات، ولا يتقيّد بوزن أو بقافية، ويدخل فيه الخيال للتعبير عنه، و الكتابة بشكل مرسل دون اتباع وزن أو قافية[1].

ويُقسم النثر إلى نثر تأليفيّ ونثر خالص، ويُراد بالتأليفي ذلك النثر الذي تصاغ به المعارف الإنسانية المؤلّفة في أسلوب أدبيّ، أما الخالص فالمقصود به ذلك النثر الذي لايراد به التعبير عن تلك المعارف الإنسانية المؤلّفة، وإنما يراد ما سوى ذلك من المعارف كنقل عاطفة أو تصوير تجربة، أو إيصال فكرة وما إلى ذلك، فالنثر الأندلسيّ كان في فترة تأسيس الإمارة نثراً خالصاً، حيث كانت الأندلس حتّى ذلك الحين لا تعرف النثر التأليفي؛ لأنه يحتاج إلى مستوًى ثقافيّ لم تكن الأندلس قد وصلت إليه بعد ،وكان هذا النوع من النثر الخالص لايعرف كذلك تلك الفروع الراقية التي نشأت فيما بعد كالفرع القصصي مثلاً، وإنما كان مقصوراً على تلك الفروع التقليديه، كالخُطب، والرسائل، والوصايا، وكان اقتصار النثر الأندلسيّ على تلك الأمور أمرًا طبيعياً في تلك الفترة الباكرة من تاريخ الأندلس، فهي الفروع التي كانت تلائم حياة الأندلسيّين وتتناسب مع ظروفهم السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وهي الفروع التي كانت مألوفة في المشرق في تلك الفترة، ، أما من حيث أسلوبهُ فيلاحظ أنه لايزال نثراً ذا تقاليد عربية خالصة، فهو يتسم بالجزالة المسببة أحياناً بغرابة بعض الألفاظ، و كان النثر يتسم أيضًا بالبساطة والتعبير المباشر والابتداء بالموضوع دون مقدمة أو تمهيد، وغيرها الكثير من الصفات الجيّدة[2].

ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه عبد الرحمن الداخل إلى أحد الخارجين عليه يسمى سليمان الأعرابيّ قوله" أما بعد: فدعني من معاريض المعاذير، والتعسف عن جادة الطريق، لتمدّنَّ يداً إلى الطاعة، والاعتصام بحبل الجماعة، أو لأزويّنّ، بنانها على رضف المعصية، نكالاً بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد"[3].

وهكذا نجد النثر الأندلسيّ في تلك الفترة مشابهاً لحدّ كبير بالنثر الذي كان معروفاً في المشرق أيام الدولة الأموية، فكان كالشعر يسير على الأسلوب الأدبي المحافظ، وقد كان لتلك الفترة نثر تقليدي وكان لها

---

[1] مبارك، زكي، **النثر الفني في القرن الرابع**، 45.

[2] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة**،110-112.

[3] المراكشي، ابن عذارى،**البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**،86/2.

ناثرون عديدون منهم: فطيس بن عيسى، وخطاب بن يزيد اللذان كانا كاتبين لهشام بن عبد الرحمن، ثمَ لأبيه الحكم، و حجّاج العقيلي الذي كان كاتباً للحكم، ومن الأفراد الذين برعوا في النثر عبد الرحمن الداخل[1]، والحكم الربضي، فقد كان الأول خطيباً وكاتباً، والثاني كاتباً وموصياً، فمن أمثلة الخطب ما قاله عبد الرحمن الداخل لأصحابه يحثّهم على القتال يوم أن خاض المعركة الفاصلة مع يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس " أسّ ما يبنى عليه، إما ذل الدهر وإما عز الدهر فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون، تربحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون"[2].

ومن أمثلة المحاورات ما دار بين جنديّ وعبد الرحمن الداخل حيث قال الجندي :"يا ابن الخلائق الراشدين، والسادة الأكرمين، اليك فررت، بك عذت زمن ظلوم ودهر غشوم، قليل المال، وكثير العيال، وشعث الحال، فصير إلى نداك المال وأنت وليّ الحمد والمجد، والمرجوّ للرقد"[3].

فأجاب عبد الرحمن :"سمعنا مقالتك، وقضينا حاجتك، وأمرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك، فلا تعودون ولا سواك لمثله، من إراقة ماء وجهك بتصريح المسألة والإلحاف في الطّلبة ، وإذا ألمّ بك خطب أو خزّ بك أمر، فارفعه إلينا في رقعة لا تعدوك، كما نستر عليك خلتك، ونكف شمات العدو عنك، بعد رفعها إلى مالكك ومالكنا عزّ وجهه، بإخلاص الدعاء وصدق النية"[4].

وفي عصر الإمارة كان يضم بلاط الدولة أكثر من كاتب، وهو أمر كان يبدو أنه من مقتضيات السياسة، وما يفترضه نظام الدولة، إلا أنه في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط نرى أنه قد استجد نظام جديد في الكتابة، إذ اختصّ ذلك الأمير بكاتب خاصّ يُدعى محمد بن سعيد الزجالي واتخذ لوزرائه كاتباً خاصّاً لكتاباتهم، واستمرّ هذا النظام حتّى سقوط الدولة الأموية[5] .

وقد أنتج علماء الأندلس مؤلّفات وتصانيف في ميدان الأدب، وبها استطاعوا أن يرسموا وجهاً رائعاً للأندلس، إذ احتلت بعض مؤلّفاتهم الأدبية مكاناً رائعاً ليس في الأندلس فحسب[6]، بل وفي المشرق أيضاً كأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه (246-328هـ)(860-939م) فقد كان بارعاً في الأدب وقول

---

[1] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 205/23.

[2] هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة**،110-113.

[3] نفسه،110-113.

[4] نفسه،111-113.

[5] ابن حيان،أبو مروان، **المقتبس من أنباء الأندلس**،34-35.

[6] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس**،101.

الشعر، ممّا كان لذلك أكبر الأثر في تقريب منزلته لدى الأمراء في عصر الإمارة، ثمّ لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر، كما نال ابن عبد ربه بعلمه وأدبه منزلة رفيعة، وشهرة واسعة بين أدباء عصره[1] .

فقد نشأ ابن عبد ربه بقرطبة ، وطلب العلم بها، ثمّ رحل إلى المشرق حيث تلَقى العلم هناك، وكان لاطلاعه على كتب الأدب المشرقية أثر في تكوين ثقافته، وبالتالي بروز التأثير الأدبي المشرقي في مصنفاته الأدبية، وأهمّها كتابه" العقد الفريد" إذ يعدّ هذا الكتاب من روائع الأدب العربيّ، كما أنه مرآة لثقافة الأندلسيّين في الأدب، وقد اعتمد ابن عبد ربه في تأليفه لذلك الكتاب على ثقافته المشرقية، ممّا اكتسب في رحلاته العلميّة ، وقد استند في تأليفه إلى العديد من المصادر العلمية لعلماء المشرق كالمبرّد[2]، والأصمعيّ[3]، وابن المقفع[4]، فقد نال هذا الكتاب مكانة رفيعة بين كتب الأدب العربية، وأثنى عليه أكثر من عالم وأديب، ووصف بالقيمة الأدبية الكبيرة لما ضمه من ضروب الآداب والمعارف، التي لا تتوافر في غيره من كتب الأدب الأخرى إلا فيما ندر.

وختاماً، فإن ميدان النثر الفنيّ كان في تطوّر وازدهار مماثلاً لبقية العلوم والآداب، من اعتماد على التأثيرات العلمية للمشرق في بداية الأمر، ثمّ ما لبث الحال أن يتغيّر ليبدأ الأندلسيّون في محاولة التخلّص من قيود التقليد والمحاكاة لغيرهم، لينتهي الأمر بوضوح الشّخصيّة الأندلسيّة وبروزها، وهو ما نلاحظه من خلال اهتمام العديد من الأشخاص بالنثر فترة الإمارة، وعرف عن أهل الأندلس جمعهم بين النثر والشّعر في آن واحد.

فكان من الطبيعي، وقد أُثبت الأندلسيّون قدراتهم الواسعة في ميادين المعرفة، أن يمتدّ نشاطهم العلميّ إلى حقل الدراسات اللغوية ، فقد انصرف الكثير من علماء الأندلس إلى البحث والنظر في هذه العلوم ، وذلك لارتباطها الشديد بعلوم كثيرة كعلوم القرآن والدين بوجه عام.

---

[1] الحنبلي، ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،312/2.

[2] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي الثمالي، (207–285هـ)(822–898م) من أشهر أدباء الإسلام، له كتاب الكامل في اللغة، ابن النديم،أبو الفرج، **الفهرست**،87.

[3] عبد الملك بن قريب الباهلي ، من كبار أهل الأدب، وكان للرواية أغلب عليه، ولد 123هـ/749م، وعمر طويلاً، ابن قتيبة، أبو محمد، **المعارف**، 237.

[4] عبد الله بن المقفع من أئمة الكتاب، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، ولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**،140/4.

3-النحو:

هو نصاب العلم ونظامه وعموده وقوامه، زينة الكلام وحلته، وجماله ، إذ أنّ كلاً من الأدب والنحو واللغة نالوا المرتبة الثانية بعد العلوم الدينية من حيث اشتغال الأندلسيّين بالعلوم في بداية الحركة العلمية، وممّا يدهش الدارس للحركة العلمية وخاصّة الأدبية في الأندلس أنّ كثيراً من علماء الأندلس في كافة حقول العلم يتّصفون في سِيرهم العلمية بلون واحد من ألوان الأدب كالبلاغة وقول الشعر[1].

فما إن سطعت شمس الإسلام على بلاد الأندلس الواقعة جنوب أوروبا حتّى أخذت الأندلس تنهل من معين العلم الإسلامي الذي غزا العالم في عصر بني أمية الذين حكموا العالم الإسلامي قرابة مائة عام، فنشروا فيه العلم والمعرفة، ثمّ انتقلوا إلى بلاد الفرنجة لينشروا شمس الحق هناك، فقام موسى بن نصير عام(92هـ/710م)، بفتح تلك البلاد التي لا يفصلها عن إفريقيا الإسلامية سوى مضيق جبل طارق.

لقد كان الفتح الإسلامي لتلك البلاد بداية جيدة لنشر علوم مختلفة فيها، وتخليصها من الجهل والظلم الذي يسيطر عليها ، فنتيجة للفتوحات الإسلامية انتشرت في تلك البلاد الفلسفة، والطّبّ، وكان لعلوم اللغة العربية وعلم النحو على وجه الخصوص نصيب عظيم من اهتمام الأندلسيين، كما هو الحال في المشرق العربي، وليس غريباً أن يلقى النحو اهتماماً عظيماً من أهل المشرق والمغرب، وذلك لصلتهم الوثيقة بمصدري التشريع الإسلامي وهما القرآن والحديث، حيث غزا مرض اللحن العربية الفصحى، وأصبح الخطر يقترب شيئاً فشيئاً من القرآن، فقام أبو الأسود الدؤلي[2] بتحديد علم النحو ، بإرشاد من علي –رضي الله عنه–.فكانت نشأة النحو مشرقية أو عربية محضة، وبعبارة أدق كان بصريًا عراقيًا، وكان للأندلس حظ وافر فيه، وأنّ الأندلسيين العرب والمؤدّبين منهم بشكل خاص، كانوا يعلّمون طلابهم النحو منذ الفتح، فكانوا يضعون لطلابهم نصوصاً مختلفة ويشرحونها مع طلابهم ، وذلك لنشر اللغة العربية في

[1] الأصبهاني، الراغب، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر و البلغاء** ،15.

[2] أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان، علوي الرأي، وكان رجل من أهل البصرة، وهو أول من أسس للعربية ونهج سبلها، ووضع قياسها، وذلك حين اضطرب كلام العرب، توفي سنة 69هـ، في طاعون الجارف وهو ابن ثمان وخمسون سنة، الزبيدي، أبو بكر، **طبقات النحويين واللغويين**، 21.

أوساط الاسبان المستعربين[1]، وكانت تلك النصوص بسيطة سهلة، بعيدة عن التعقيد من السهل فهمها ودراستها.

تأثر النحو في الأندلس بالمذاهب الفقهية:

لم يعد هناك أدنى خلاف بين الدارسين الذين يعانون البحث في رحاب العربية والإسلام، أنَّ سلف هذه الأمة كان لهم تصوّر كلّيّ للحياة الفكرية، وخاصّة في حقلي اللغة والدين، فكانت العلوم الإنسانية مرتبطة أوثق ارتباط بعلوم اللغة العربية، وكان التواصل قائماً بين دراسة الشعر والتوحيد والنحو والتفسير، وغير ذلك ممّا تداخل بعضه في بعض، في تكامل مثمر انعكس على كلّ فروع المعرفة الإسلامية بالثراء والخصوبة[2].

ولم يكن علماء النحو في الأندلس بعيدين عن الفقه والتأثر بالمذاهب الفقهية أسوة بعلماء المشرق، بل كان نحاة الأندلس أكثر تأثراً بالفقه من غيرهم من العلماء في أيّ مكان، فمثلاً كان الغازي ابن قيس نحوياً فقيهاً في الوقت نفسه، وكان يحفظ موطّأ مالك، حيث إنّ المذهب المالكي أثر في النحو الأندلسي تأثيراً واضحاً تجلّى بكثرة الاستشهاد بالحديث النبوي[3].

أما المذهب الفقهي الذي كان له أعظم الأثر في النحو الأندلسي فهو المذهب الظاهري ، الذي ينادي بالأخذ بظاهر النّصّ دون الحاجة إلى الغوص في متاهاته أو تحميله أكثر ممّا يطيق، فليس في هذا المذهب عند إمامه ابن حزم مجال للاجتهاد بالرأي أو بالقياس أو بالمصلحة، أو بالذرائع[4].

دوافع تيسير النحو لدى الأندلسيين:

حين فتح المسلمون الأندلس شمّر علماؤها عن سواعدهم يريدون أخذ علم النحو من علماء المشرق، ولاحظوا صعوبة هذا العلم، وما علق به من شوائب، فعمل عدد منهم على تخليص هذا العلم ممّا أقحم عليه من فلسفات غريبة عنه، وكانوا يقصدون من وراء ذلك أن يقف طلابهم على هذا العلم ميّسرا، وذلك

---

[1] الاسبان المستعربين هم النصارى الذين لم يعتنقوا الإسلام ، وكانوا في المدن الكبيرة، وكانوا عنصراً فعالاً في الحياة الأندلسية، واليهود والعرب المتنصرون وهم المسلمون الذين بقوا بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، الحاج قاسم، محمود، **انتقال الطب العربي إلى الغرب**، 7.

[2] عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، 23-25.

[3] الطنطاوي، محمد، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، 9.

[4] الخولي، عبد البديع، **الفكر التربوي في الأندلس**، 42.

كي تتمكَن الشعوب المستعربة والجماعات العربية التي ابتعدت عن قواعد هذا العلم وأحكامه من فهمه بيسر وسهولة[1].

ويمكن لنا أن نضع عدّة أسباب أو عوامل دفعت علماء الأندلس إلى تيسير النحو العربي وتخليصه من شوائبه التي علقت به على مرّ العصور السابقة، ولعل من أهمّ تلك العوامل:

- اختلاف الأجناس التي كانت تسكن الأندلس، وصراع اللغات فيما بينها، فهناك العرب الفاتحون الذين جاؤوا حاملين لغتهم ذات الصبغة اليمنية، وقد استقرّوا في الأندلس بعد الفتح الإسلامي، وهناك أيضاً البربر الذين كانوا يشكّلون النسبة العظيمة من جيش طارق بن زياد فاتح الأندلس، وقد ازدادت أعداد البربر بعد الفتح إلى أضعاف كثيرة، ، و كان في الأندلس أيضاً اليهود الذين رحبوا بالفاتحين ليخلّصوهم من ظلم القوط، وكان هناك أيضاً عجم الأندلس، وهم السكان الأصليون الذين كانت لهم لغتهم الخاصّة، والتي يقول عنها حسين مؤنس في كتابه" إنَ اللغة التي كان يتكلّمها أهل إيبيريا قبل القرن الحادي عشر الميلادي ، لا يمكن أن تعرفها إلا على وجه التقريب، نظراً لقلة الأصول التي يعتمد عليها ، وكلَ ما يمكن قوله: إنها كانت تضمّ ألفاظاً محكية من لغة القوط، أما بقيتها فكانت لهجات مختلفة من اللاتينية العامة" ، وهذه اللهجة العاميّة سمّاها العرب العجمية أو عجمية أهل الأندلس، وكانت كلّ هذه القوميّات تسعى على نشر لغتها بين القوميات الأخرى ، واحيائها وبعث الحياة فيها، كما فعل اليهود عندما بعثوا اللغة العبرية والأدب العبري تحت رعاية حكم المسلمين[2].

لقد كان العرب يسعون إلى نشر اللغة العربية في الأندلس؛ لأنها لغة القرآن الكريم، ولا يتعلم الدين من دون تعلّمها، لذلك وجد علماء الأندلس أنه من الواجب عليهم أن يقدموا[3] اللغة العربية بشكل مبّسط ميّسر بعيد عن التعقيد والشوائب حتى تكون تلك اللغة محفَزة لغير العرب من أجل تعلَمها وحفظ قواعدها، وكذلك لتكون تلك اللغة ذات نحوٍ قويّ يستطيع منافسة اللغات الأخرى؛ لذلك انبرى عدد من علماء الأندلس إلى تبسيط تلك القواعد ليسهل حفظها ونشرها[4].

- البعد الجغرافي بين الأندلس والمشرق العربي مولد النحو، فقد أوجد البعد الجغرافي عن مصدر اللغة والنحو عند الأندلسيين ضعفاً في فهم قواعد العربية، التي وضعها العلماء وأسهموا في تعقيدها،

---

[1] عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، 23-25، الخولي، عبد البديع، **الفكر التربوي في الأندلس**، 42.

[2] الطنطاوي، محمد، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، 9.

[3] ضيف، شوقي، **المدارس النحوية**، 11.

[4] عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**،25-27.

والقياس فيها، لذلك لم يكن أمام نحاة الأندلس إلا اللجوء إلى تبسيط تلك المصنفات النحوية المشرقية ، إما بشرحها وتوضيح غريبها، وبيان مشكلها تارة، أو باختصارها والتعليق عليها تارة أخرى، كلّ ذلك حتّى تنسجم تلك القواعد مع عقلية أناس من قوميّات متعددة ومختلفة، وحتى يستطيع طلاب الأندلس من العرب المسلمين فهم تلك القواعد؛ لأنَ فهمها أصبح شيئاً صعباً، بعدما أصابها التقعّر والفلسفة النحوية[1].

- دعوة عدد من العلماء في بلاد الأندلس إلى تبسيط النحو العربي، وتيسيره على المتعلّمين ، وذلك بعد أن أفسد النحاة النحو بتعليلاتهم وشروحاتهم، وكان من أشهر هؤلاء العلماء ، عالمان من فلاسفة الأندلس وهما ابن حزم الأندلسي ، وابن رشد[2].

-عوامل تطور النحو في الأندلس:

لا شكّ في أنّ طبيعة أيّ علم من العلوم أن يمرّ بمراحل نموّ متدرّجة ، ويكون عرضةً لعوامل تساعده على النمّو والازدهار، وفي المقابل هناك عوامل أخرى تسهم في انحطاطه وتراجعه، وعلم النحو العربي في الأندلس نما وتطور إلى درجة كبيرة، حتّى إنه كان يُعدَ من أهمّ العلوم المنتشرة والمتطورة في بلاد الأندلس، وما كان هذا التطور ليأتيّ صدفة، بل توافر لهذا العلم عدة عوامل ساعدت على نموّه وازدهاره في تلك البلاد ،ومنها:

- **الرّحلات العلميَة:**

يُقسّم بعض العلماء الرحلات التي كان يقوم بها علماء الأندلس لطلبة العلم وتحصيل المعرفة إلى ثلاثة أقسام: رحلات كبرى إلى المشرق العربي من أجل لقاء العلماء المشارقة وأخذ العلم منهم، ورحلة وسطى إلى بعض المناطق القريبة من الأندلس كالقيروان من أجل تبادل المعارف والعلوم، ورحلة صغرى كانت محدودة في بلاد الأندلس[3].

لقد شهد القرن الثالث الهجري وما بعده تطوراً كبيراً في ميدان رحلات العلماء الأندلسيّين إلى المشرق، فبعد أن كانت الرّحلات إلى المشرق مقرونة بأداء فريضة الحجّ، أي أنّ لقاء الأندلسيين بالعلماء المشارقة كان يتمّ في مواسم الحجّ، أصبحت الرحلة العلميّة هدفاً بحدّ ذاته، وغدا الطلاب يرحلون لأجل العلم

---

[1] عيسى، محمد، **تاريخ التعليم في الأندلس**، 408، الطنطاوي، محمد، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، 9.

[2] عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**،27-29.

[3] عيسى، محمد، **تاريخ التعليم في الأندلس**، 408.

وطلبه، سواء أكان هذا العلم هو علم الشريعة الإسلاميّة من تفسير وحديث ، أم علم اللغة من نحو وصرف، فقد كان كثير من العلماء يجمع معظم هذه العلوم ويعود بها إلى بلده ، وكان عدد من العلماء الأندلسيين لا يكتفي بلقاء العلماء المشارقة، بل يخرجون إلى البادية، للقاء الأعراب وأخذ اللغة عنهم مباشرة كالكسائي[1].

وتدلنا أسماء العلماء الذين رحلوا إلى الأندلس وحملوا معهم الكتب المشرقية أنّ الثقافة الأندلسيّة كانت تتغذى على تلك المؤلفات المشرقية الشهيرة، فلا يخفى لأحد ما لهذه الرحلات من أثر في تطور النحو في الأندلس، فإنّ النحو العربيّ دخل إلى الأندلس عن طريق العلماء الذين رحلوا إلى المشرق ودرسوا على يد علمائه، وكذلك يعود الفضل في إدخال كتاب سيبويه وغيره من مشهور الكتب إلى رحلات أندلسيّة إلى المشرق[2] .

ولكنّ تلك الرحلات الأندلسيّة على المشرق قد تأثرت سلباً في نهاية القرن الرابع الهجري، بقدوم بعض العلماء المشارقة إلى الأندلس ، وخاصّة قدوم أبي علي القالي حيث استغنى بعض الطلاب عن الرحلة؛ لأنهم وجدوا في أبي علي القالي خلاصة العلم اللغويّ المشرقيّ ، كما كان قيام الدولة الفاطمية ، وامتداد سلطانها إلى المغرب ومصر، أثره السلبي على الرحلة إلى المشرق نظراً لسوء الظّروف السياسيّة السائدة في المشرق[3].

- **الهجرة إلى الأندلس:**

كانت هذه الهجرة تقابل الرحلات التي كان يقوم بها العلماء الأندلسيّون إلى المشرق، ذلك أنّ الأندلس بلاد جميلة حباها الله تعالى، موقعاً متميّزاً جميلاً، وخيراً وفيراً، لذلك كانت في بعض الأحيان مقصداً لبعض العلماء المشارقة الذين يقصدونها لنشر العلوم فيها، وكان لتلك الرحلات في أحيان كثيرة أهداف تجارية أو ظروف خاصّة، ومن العلماء الذين رحلوا إلى المشرق بقي بن مخلد[4]، وعبد الملك بن حبيب السلمي[5]، ولكن هؤلاء العلماء وغيرهم ممّن رحل إلى الأندلس لم يُحدثوا تلك الفائدة التي كانت تقوم بها الرحلات إلى المشرق ويرجع ذلك لأسباب، منها:

---

[1] ضيف، شوقي، **المدارس النحوية**، 11.

[2] الطنطاوي، محمد، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، 9.

[3] عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، 28.

[4] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 142/1-145.

[5] نفسه، 362/360/1.

- قلة المهاجرين إلى الأندلس، لأنَ عددهم كان قليلًا جداً، إذا ما قيس بالذين كانوا يتركون الأندلس ويتّجهون صوب المشرق لطلب العلم ونشره.
- طبيعة هؤلاء العلماء المهاجرين، فلم يكونوا من العلماء الأفذاذ، بل كانوا على درجة متواضعة وبسيطة.

- **هدف تلك الرحلات:**

لم يكن الهدف العام لتلك الرحلات في الغالب العلم ونشره ، لأنّ المشارقة كانوا يعدّون أنفسهم أعلى مرتبة علمية من أهل الأندلس ولم يكن الهدف أيضاً لنشر العلم، بل كان الهدف غالباً التجارة والتكسّب، وبالرغم من هذه العوامل إلا أنّ الهجرة إلى الأندلس ساعدت على إحياء حركة النحو في الأندلس وتطوّره.

ويأتي الفقيه عبد الملك بن حبيب في مقدمة هؤلاء حيث وصف بالعلم في اللغة والإعراب ،وصنّف كتاباً سمّاه اعراب القرآن إذ إنه بجانب كونه محدّثاً كان أديباً رائعاً وبارعاً[1]، وله مؤلف " غريب الحديث"، و أيوب بن سليمان (302هـ/914م)كان إلى جانب براعته في الفقه ضليعاً في النحو والشعر[2]، وكذلك بقيّ بن مخلد الذي تحدثنا عنه سابقاً في الجانب الديني[3]، و عباس بن ناصح [4]الذي نال من رحلاته للمشرق علماً كثيراً ومعارف جمّة في النحو وعلوم اللغة، فقد كان من أهل التقدّم في ذلك، بالإضافة إلى أنه لقي علماء البصرة والكوفة وتزود منهم بالكثير من المعارف.

وممّن برع في اللغة والنحو أيضاً محمد بن يحيى المعروف بالقلفاط ت(302هـ/914م)، وكان بارعاً في النحو والشعر، إذ أنه عدّ من أبرز النحويين، وكان لسعة علمه أثر في انصراف الناس إليه يقتسبون من

---

[1] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس** ،360/1-362.

[2] أيوب بن سليمان بن معاوية الرَعينيَ ، من أهل سرقسطة كانت له رحلة وعناية بالعلم، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،449/1.

[3] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،142/1-145.

[4] نفسه، 387/1.

علمه ومعارفه، بالإضافة إلى محمد بن إسماعيل النحويّ[1] حيث كان عالماً بالنحو والحساب، ومحمد بن أيوب بن سليمان[2] كان عالماً باللغة، بصيراً بالنحو والشعر.

أما في ميدان الآدب بمفهومه الشامل ،فقد برز أدباء أسهموا في نشاط الدراسات الأدبية ويأتي في مقدمتهم فرج بن سلام القرطبي [3]الذي كان مهتمّاً بالأخبار والأشعار وألوان الأدب المختلفة، وكان له أثر كبير في تعريف الأندلسيين على كتب الأدب المشرقية ،فقد أدخل كتب عمرو بن بحر الجاحظ مثل كتاب" البيان والتبيين "وغيرها من الكتب إلى الأندلس، وكان فرج قد درس على يد العلامة المشرقي الجاحظ وأخذ عنه العلم، وبذلك فتح لإخوانه من الأندلسيين باب البحث والدارسة في الأدب وفنونه المختلفة[4].

كما أسهم الأديب عثمان بن سعيد الكناني[5] ت(320هـ/932م)، في حركة الدراسات الأدبية بما قدمه من جهود علمية، كتصنيفه كتاباً في شعراء الأندلس، إلى جانب تفننه في الأدب والبراعة وحرصه على جمع الكتب في هذا الميدان، وممّن عاش طرفاً من عمره في عصر الإمارة الأديب الذائع الصيت أحمد بن محمد المعروف بابن عبد ربه(246-328هـ)واشتهر بكتابه " العقد الفريد.[6]"

كان الأندلسيون يحرصون على استقامة ألفاظهم ، وصحّة كلامهم، وخلوه من اللحن، ولهذا نجد أنّ علم النحو عندهم كان يتمتّع بدرجة رفيعة، ويُعتبر من العلوم القيّمة لديهم، فاهتمّوا به ووسّعوا دراساته.

وفي بداية اشتغالهم بالنحو بشكل واضح وبارز كانوا يعتمدون على قراءة كتب الأدب والنصوص دون استعمال كتب النحو، ثم بعد ذلك توسّعوا في دراسته فتناولوا كتب النحو وعكفوا على دراستها، وأول ما

---

[1] محمد بن اسماعيل النحوي المعروف بالحكم، من أهل قرطبة، ويكنى أبا عبد الله، سمع من محمد بن وضاح، ومن محمد بن عبد السلام الخشني، وعبد الله بن مسرة، كان عالماً بالنحو والحساب، دقيق النظر، مثيراً للمعاني، وبلغ الثمانين من العمر، وأدب الخليفة المستنصر بالله ، وتوفي عام 331هـ/942م، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 72/2.

[2] محمد بن أيوب بن سليمان، كان عالماً باللغة والنحو، روى عن أحمد بن خالد ، وأحمد بن بشر، وقاسم بن اصبغ، وكان حسن الخط، وولي قضاء تدمير، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 100/2-101.

[3] عصيدة، فادي، **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، 28.

[4] نفسه، 28-30.

[5] عثمان بن سعيد الكناني من أهل جيان، سكن قرطبة، ويكنى أبا سعيد ، ويعرف بحرقوص، سمع من بقي بن مخلد، وكان من رؤساء أصحابه، وكان جامعاً للكتب، معتنياً بالعلم، مناظراً لاعلى مذهب الشافعي وغيره، وألف كتاباً في شعراء الأندلس، توفي عام 320هـ، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 394/1-395.

[6] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 94.

ذاع بينهم كتاب الكسائي[1] ت(188هـ\804م) وسيبويه ت(177هـ\793م) ، ثم لم يلبث أن اتجه بعضهم إلى تأليف كتب في ذلك مثل جودى بن عثمان[2] ت (198هـ\813م) ونسب إليه أنه أول من أدخل إلى الأندلس كتاب الكسائي، وكان جودى قد رحل في طلب العلم إلى المشرق، والتقى بكبار علماء النحو، كالرياشي[3]، والفراء[4]، والكسائي،وله كتاب في النحو اسمه" منبه الحجارة" .

فمثلاً اشتهر محمد بن عبد الله بن سوار[5] بمعرفته بالنحو ، واهتمامه بدراساته[6]، حيث التقى بأبي حاتم السجستاني البصري، وأخذ منه العلم والنحو البصري، والغازي بن قيس حصل معه الأمر ذاته حيث لقي الأصمعي البصري[7].

يتبين لنا من أثر الرحلات العلمية في ازدهار حركة الدراسات النحوية واللغوية، في الأندلس، وكيف أنّ ذلك دفع الأندلسيين إلى طرق ميدان الدراسات النحوية واللغوية، والنظر فيما وصل إلى أيديهم من إنتاج أهل المشرق، فاستفادوا من ذلك كلّه، وتيسّر لهم الانطلاق بعد ذلك في البحث والتأليف، فلم تمرّ فترة وجيزة حتّى نشطت حركة الدراسات النحوية، واللغوية وآتت أكلها[8].

وبناء على ما تقدم نستطيع القول: إنّ ميدان النحو شهد نشاطاً حسناً، وأثبت فيه الأندلسيَون قدرتهم الفائقة على طرق ميادين العلم المختلفة ، ومن ثمّ ظهر منهم علماء بارعون، أسهموا في صنع الكيان العلمي الأندلسي، ولم يبقوا عالةً على المشرق والثقافة، فإنَ تلقّيهم علومهم على أيدي المشارقة لم يمنعهم من

---

[1] الكسائي: هو علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي، أخذ عن جماعة من أهل العلم، ثم قدم بغداد، فعينه الرشيد مؤدباً لإبنيه الأمين والمأمون، وخلف كتباً في النحو والقراءات، ابن النديم، أبو الفرج محمد ، **الفهرست**، 97-98.

[2] جودى بن عثمان مولى لآل طلحة العنبسيين، من أهل مورور، رحل إلى المشرق فلقي الكسائي ، والفراء، وغيرهما، وهو أول من أدخل كتاب الكسائي للأندلس، الزبيدي، ابو بكر، **طبقات النحويين واللغويين**، 256.

[3] الرياشي: هو محمد بن سليمان من علماء اللغة، والنحو، كثير الرواية عن الأصمعي، ت 257هـ/870م، ابن النديم، أبو الفرج محمد ،**الفهرست**، 86.

[4] الفراء: هو يحيى بن زياد، له كتاب معاني القرآن، وكتب في النحو، ت257هـ/822م ، ابن النديم، أبو الفرج محمد ، **الفهرست**، 99-100.

[5] كان من أهل العلم باللغة ، متفنناً في علم الأدب، شهد بالبصرة صاحب الزنج سنة 257هـ/822م ، وتوفي في تلك السنة أيضاً 257هـ/822م، الزبيدي، أبو بكر، **طبقات النحويين واللغويين**، 260.

[6] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 36/2.

[7] أبو صالح، وائل، **تطور الدرس اللغوي في الأندلس**، 50.

[8] ألبير، مطلق، **الحركة اللغوية في الأندلس**، 29.

الانطلاق نحو ميادين البحث والتأليف، فبرزت لديهم مؤلفات وتصانيف قيمة شهدت بما وصلوا إليه من علم ومعرفة في ميدان الأدب.

وخلاصة القول: إنّ ميدان الحياة الأدبية، واللغوية، والنحوية، شهد في عصر الإمارة نشاطاً زاهراً، أثبت فيه الأندلسيّون سعة معارفهم وتألَق شخصيَتهم العلمية، فهذه العلوم أسهم الأندلسيون في تطوَرها ابتداءً من عصر الإمارة الأموية، فالنشاط آنذاك كان ينصبّ على علوم الدين والأدب، واللغة، والواضح من ذلك أنّ الأندلسيّين رأوا ضرورة الارتباط بين علوم الدين وبين تلك العلوم، ممّا يؤدي ذلك إلى إيضاح الكثير من مسائل الدين الواردة في القرآن والسنة المطهرة، وشرح معاني ألفاظها وتسهيل فهمها.

ففي عصر الإمارة بلغ الأندلسيون درجة رفيعة في ميدان البحث العلمي في مختلف وجوه العلم، ومنها الدراسات الأدبية، واللغوية، والنحوية، والدليل على ذلك حديثنا عن أعلام الأدب واللغة، والنحو، الذين أثروا ذلك الميدان بإنتاجهم العلميّ الرفيع، وأضافوا بذلك دراسات قيمة ومفيدة كان لها الأثر الأكبر في تطور هذه الدراسات ونموّها بشكل كبير وواضح فيما بعد.

ج- التاريخ والجغرافيا:

أمّا فيما يتعلّق بهذه العلوم، فقد تأخر الاشتغال بها دون سواها من العلوم الأخرى، ولكن مع ذلك برز بعض المشتغلين بها حيث أسهموا في رفع الحركة العلمية بما جاءت به مواهبهم ومعارفهم، وفي هذا الميدان يتصدر التاريخ والجغرافيا تلك العلوم، وقد اتجه الأندلسيّون إلى هذه الناحية رغبة في تخليد فكر وطنهم والحفاظ على تراثه[1]، وقد ظهر علم الجغرافيا في الأندلس مع علم التاريخ في آن واحد كما هو الحال في المشرق، فكان هشام بن محمد الكلبي(204هـ/819م)،وأبو حنيفة الدينوري ت(282هـ/895م)، وابن قتيبة (267هـ/880م) وابن واضح اليعقوبي ت(284هـ/897م)، وغيرهم من رواء علم التاريخ في المشرق فقد كانوا رواداً لعلم الجغرافيا في الوقت نفسه، وذلك لأنّ التاريخ والجغرافيا في نظر العرب فرعان متلازمان من شجرة العلوم والمعارف التي كانت تسمى الأدب بصورة عامة، فما كان من الضروري للعربي حسب وجهة نظرهم أن يعرف لغته ونثرها بل كان لابد من أن يعرف أنساب العرب وأخبارهم وسير الرسول . صلى الله عليه وسلم ومن ثم الانتقال إلى الأدب من لغة ونثر[2].

---

[1] مؤنس،حسين، **تاريخ الجغرافية والجغرافيون في الأندلس**،1-2.

[2] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 265، سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 202.

1- التاريخ-:

نال علم التاريخ من الأندلسيين كلّ عناية واهتمام، فقد رأوا أن من واجبهم الوطني نحو بلدهم الأندلس أن يسعوا بجدّ للحفاظ على تاريخه، وما يتضمّنه من ضروب النشاط السياسيّ والعسكريّ والحضاريّ بوجه عام.

ولمّا كانت الأندلس في عصر الإمارة وما تلاه من عصور كالخلافة قد بلغت شأناً كبيراً في ميدان الحضارة والحقل العلمي، فمن الطبيعي أن نرى الأعداد الهائلة من العلماء في مختلف وجوه العلم، وفروع المعرفة، الأمر الذي دفع بالأندلسيين إلى تخليد مآثر بلدهم في هذا الميدان بكتابة تراجم علمائه وأعيانه.

ولم يكن ظهور علم التاريخ في الأندلس منفصلاًعن جذوره التي نشأ فيها وتطوّر عنها في المشرق، وقد تأثرت الأندلس بمؤثرات علمية وفنية كثيرة وفدت من المشرق ،ومنها تدوين التاريخ الذي تأثر في بدايته بمدرسة مصر التاريخية، كما تأثر بمؤثرات لاتينية، وخاصّة كتاب هروسيس"هروشيوش" في التاريخ الذي تمت ترجمته واستفاد منه الكثير من المؤرخين الأندلسيين، وقد اهتمّ الأندلسيّون بتاريخ بلادهم وتعصّبوا له، ممّا يدلّ على ظهور الروح القوميّة الأندلسية، والجدير بالذكر أنّ التاريخ عند المسلمين قد نشأ في أحضان الحديث نتيجة لحرص العلماء على صحة الأحاديث ومعرفة صحيحها من سقيمها ،وقد دفعهم هذا إلى الاهتمام بتراجم الراوة ومعرفة سيرهم، وهذا بلاشك قادهم إلى ميدان التاريخ والتراجم، ومن هنا نلمس ارتباط التاريخ بالحديث عند المسلمين.

وقد شهد عصر الإمارة نشاطاً جيّداً إلى حدّ ما في ميدان التاريخ، فبرز مؤرخون بارعون كان لهم جهد بارز في إثراء هذا العلم بالكثير من الدراسات المثمرة التي تنمّ عمّا امتازوا به من القدر العلمي الكبير، وفي مقدمة هؤلاء نرى الفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي على علم ومعرفة بالتاريخ وله كتاب يسمى " بداية خلق الدنيا " تحدّث في هذا الكتاب عن نشأة الخلق، وتاريخ الأنبياء والرسل ،فهو بذلك يُعدّ أول مؤرّخ أندلسي يعرض لتاريخ بلاده، وهو من أوضح الأمثلة على تأثر الأندلسيَين بالتأثيرات المشرقية في تدوين التاريخ[1]، وعُريب بن سعيد القرطبي ت(269هـ/882م) الذي يُعدّ من مشاهير المؤرّخين بالأندلس، وهو من أصل إسبانيّ

[1] الاشبيلي، أبو النصر، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**،235، ذنون، عبد الواحد، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، 9-10.

و أنجبت قرطبة عدداً من كبار المؤرّخين في الأندلس، ومن أقدمهم ثلاثة يحملون اسم الرازي، واشتغلوا جميعاً بالكتابة التاريخية وأولهم " محمد بن موسى الرازي "الذي توفّي سنة (273هـ/886م)، حيث صنّف كتاب "الرايات" وهو كتاب تاريخيّ وجغرافيّ[1] ،وثانيهم أحمد بن موسى الرازي[2] الملقب بالتاريخي ت (344هـ/955م) حيث ألّف هذا كتابين، أحدهما في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها، والثاني في أخبار ملوك الأندلس، وثالثهم عيسى بن أحمد بن موسى الرازي الذي ألّف كتاباً في تاريخ الأندلس واسمه " حجاب خلفاء الأندلس"[3].

ولا ننسى الحديث عن اهتمام نفر من الأمويين بعلم التاريخ والأخبار، ومن أبرزهم معاوية بن هشام المرواني المعروف "بالشباسني" أو" الشبسني"، وينسب للأمير هشام الرضا وهو من أهل قرطبة عاش في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري، وله تأليف في نسب العلويين وغيرهم من قريش سماه " التاج السني في نسب آل علي" ، ومن المؤرّخين المروانيين عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ت(329هـ/940م)، ومن مؤلفاته كتاب" العليل والقتيل في أخبار ولد العباس" وكان يقع في عدة أسفار، و أحمد بن عبد الله الحبيبي القرشي ت(330هـ/941م)، من نسل حبيب بن عبد الملك المرواني، وكان راوية إخبارياً[4].

وأخيراً فإنّ ميدان التاريخ قد حظي من الأندلسيين باهتمام وعناية بالغين، فظهر فيهم مؤرخون لامعون استطاعوا أن يمدّوا حركة الدراسات الأدبية بالكثير من الجهود العلمية، فأثروا بذلك حقل التاريخ بالعلم والمعرفة، وكان للأمير عبد الرحمن الأوسط وغيره من الأمراء دور مهمّ في ازدهار تلك الدراسات، بما كان يبذله من جهود ومساعدات لتحقيق الازدهار العلمي.

فالتاريخ دوماً هو الحافز الدافع للإنسان ، لأن يتقدم ويحرز شيئاً ، وذلك لأنَ علم التاريخ يعطينا تصوّراً واضحاً ودقيقاً عن العالم القديم والتجارب التي مرّ بها الإنسان، فهو عبارة عن دروس ماضية تفيد

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 97/4.

[2] أحمد بن محمد بن موسى الرازي ، من أهل قرطبة، ويكنى أبا بكر، وفد أبوه على الإمام محمد، وكان من أهل اللسانة والخطابة، ولد أحمد بالأندلس، وسمع من أحمد بن خالد، وقاسم بن اصبغ، وكان كثير الرواية حافظاً للأخبار، وله مؤلفات في أخبار الأندلس، وتواريخ دول الملوك فيها، وكان أديباً بليغاً شاعراً، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 87/1..

[3] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 97/4.

[4] كمال السيد، أبو مصطفى، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، 74.

للتخطيط المستقبلي، و التاريخ ينصف الأمم ويحفظ تراث الأمم، فكثير من التراث العلميّ، أو الماديّ الذي تتميّز به الدول سببه حفظ التاريخ وإبرازه بشكل مميز وواضح.

2- الجغرافيا-:

شهد ميدان الجغرافيا في عصر الإمارة نشاطاً كبيراً يتمثّل في الجهود الجغرافية التي تنمّ عن المستوى العلمي الطيب الذي بلغه جغرافيو الأندلس آنذاك[1]، أما عن الجغرافيا فإنها لم تفترق عن التاريخ في الأندلس بوجه خاص، حيث لا نكاد نجد مؤرّخاً أندلسياً إلا وكان جغرافياً في الوقت نفسه[2]، أو بدأ تاريخه بمقدمة جغرافية. وكما اشتهر الاندلسيون بولعهم الشديد بعلم التاريخ وخاصة تاريخ بلادهم إلى درجة أنهم كانوا يعتبرونه أنبل علم عندهم[3]، اشتهروا أيضاً بولعهم الشديد بالرحلة والتنقل وكان الواحد منهم يعاب عليه بأنه لم يرتحل إلى المشرق لطلب العلم [4].

لهذا احتلّ وصف وطنهم الأندلس مكاناً بارزاً في مؤلّفاتهم، فتحدّثوا بالتفصيل عن خططها ومسالكها ومُدنها وكورها، كما اهتمّوا بضبط الأسماء الأعجمية ومحاولة الرجوع إلى أصولها اللاتينيه أو الإغريقيه [5] ،وابتكروا طريقة لطيفة في هذا المجال لإظهار محاسن كلَّ مدينة عن طريق إقامة مناظرات على ألسنة المدن الأندلسيّة المختلفة، وقد جمع الكثير من المؤرّخين الأندلسيين معلومات جغرافية عن كتبهم، وخاصّة عن الأندلس، ومنهم ابن حيّان ، كما ألّف بعضهم كتباً في الجغرافيا تصل إلى جانب التاريخ، مثل أحمد بن محمد الرازي الذي عاش في الفترة ما بين(274-344هـ)/(887-955م) ، والذي ألّف كتاباً في مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها[6], وأخبار ما بعد الفتح حيث كان دقيقاً في أوصافه الجغرافية، فذكر خواصّ كلّ بلد وما يتميز به عن البلدان الأخرى، وضمّن ذلك معلومات لا توجد في مصنّفات غيره من الجغرافيين ، واعتبر ذلك مقدمة جغرافية لكتابه الكبير في التاريخ " أخبار ملوك الأندلس"[7]

---

[1] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 104.

[2] الضبي، أحمد بن يحيى ، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، 151.

[3] حميدة، عبد الرحمن، **أعلام الجغرافيين العرب**، 247.

[4] مؤنس، حسين، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، 95-96.

[5] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 465.

[6] ابن الفرضي، ابو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 87/1.

[7] نفسه، 87/1.

وخلاصة القول: إنّ ميدان الجغرافيا قد شهد نشاطاً طيّباً ، وقد نجم عن ذلك إثراء هذا الميدان بعدد من التصانيف العلمية التي تتضمّن ما توصّل إليه أولئك الجغرافيون في عصر الإمارة من دراسات كانت بمثابة القاعدة لما حدث فيما بعد، حيث توسّعت آفاق البحث في ميدان الجغرافيا بشكل واضح تمام الوضوح في عصر الخلافة.

لهذا يُعدّ علم الجغرافيا من أجل العلوم الإجتماعية والأدبية وأسماها؛ إذ لا يمكن لأيّ قارئ أو باحث الاستغناء عنها، كون هذا العلم يهتمّ بدراسة الأوقات والاتجاهات، فإنه مهمّ لمعرفة أوقات الصلاة، واتجاه القبلة، بالإضافة إلى مساهمته بشكل كبير في التعرف على أنواع المناخ ، والعوامل المؤثّرة فيه، ودوره في تنوّع المحاصيل الزراعية، والعديد من الأمور المهمّة.

يتّضح لنا ممّا سبق أنّ هذه العلوم لم تكن تخلو من النشاط العلمي ، وإن كان هذا النشاط لم يبلغ الذروة، ويمكن القول: إنَ جهود الأندلسيّين في هذه الدراسات كانت نواة لصرح علميّ شامخ شهده عصر الخلافة، فجهود الرازي في التاريخ والجغرافيا دفعت أبناءه من بعده إلى مواصلة السير في هذه الدراسات ، فكانوا من أبرز علماء التاريخ والجغرافيا في تلك الفترة، وهكذا يتبين لنا أنّ عصر الإمارة كان فترة خصبة نبتت فيها القدرات العلمية وترعرعت لتعطي ثمارها فيما بعد يانعة طيبة.

3- الفلسفة[1]-:

خلت إسبانيا من الاشتغال بالفلسفة قبل الإسلام، فلم يُعّرف عن أهلها الاهتمام بهذا العلم والاشتغال به، ولم تزل على هذه الحالة حتّى فتحها المسلمون (92هـ/710م)، و استمرّ الحال على هذه الصورة إلى أن توطّد الملك لبني أمية فانصرف الناس إلى دراسة العلوم ومن بينها الفلسفة[2].

لم يكن للفلسفة آنذاك سوقٌ ناهضة فقد كانوا أبعد الناس عن الاشتغال بها ،وبالرغم من ذلك فإنه ينسب إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط إدخال الفلسفة إلى الأندلس، وذلك لما اتصف به من حب لها وشغف، فقد كان يبث رجاله في الأقطار، وخاصّة المشرق للبحث عن كتب الفلسفة وتصانيف الفكر اليوناني ،

[1] الفلسفة: لفظ يوناني مركب، فيليا وتعني محبة، وصوفيا أي الحكمة، أي أنها تعني محبة الحكمة، وتستخدم كلمة الفلسفة في العصر الحديث للسعي وراء المعرفة بخصوص مسائل جوهرية في حياة الإنسان كالحياة والموت، علي، حسين، **ما هي الفلسفة**،11

[2] سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة**، 212-213.

والهندي، والفارسي، فالأمير عبد الرحمن الأوسط أغرق الصّلات والعطايا على أهل العلم .وقرّبهم إليه، وترجم كتب الفلسفة اليونانية[1].

ويمكن أن نرجّح السبب في ضعف الاشتغال بالفلسفة في عصر الإمارة وما قبله من عصور إلى اشتغال الأندلسيين آنذاك بالدراسات الدينية كالحديث، والفقه، والدراسات اللغوية والأدبية، إذ كانت هذه العلوم جلّ ما استحوذ على اهتمامهم وعنايتهم، ولذلك لم يكن لديهم متّسع لدراسة علوم الأوائل، بالإضافة إلى أنّ الأندلسيّين كانوا ينظرون للفلسفة نظرة الكراهية وعدم الاستحسان، بل كانوا ينقمون على من يشتغل بها[2].

ولا غرابة في ذلك، فإنّ ما عُرف به فقهاء المالكية من تشبّث بأحكام الشريعة ، والتزام بها قد دفعهم إلى محاربة كلّ ما من شأنه الخروج على شرائع الدين وتعاليمه، فقد حاربوا علم الكلام ، بل هاجموا أصحاب المذاهب الأخرى التي تحاول فرض وجودها إلى جانب المذهب المالكي في الأندلس، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يتبين لنا عمق الكراهية والتبرّم الشديد غير المألوف من المذاهب الدينية والأفكار الفلسفية[3] .

ومن الطبيعي لعلم الفلسفة أن يتضمّن الكثير من الدراسات الفلسفية حول الإنسان والكون، والعدم، والوجود، إلى غير ذلك من المسائل التي تستند في تعريفها وتوضيحها على الاجتهادات العقلية لبعض الفلاسفة، ممّا لا يعطي جانب الإيمان بالله أيّ نصيب في ذلك، وهو أمر يترتّب عليه إقحام النفس الإنسانية في ميدان الضلال والانحراف العقائدي، ومن ثمَ يتَسم العديد من مسائل الفلسفة بسمة الإلحاد والخروج عن الدين، وهذا بلا شكّ هو الدافع الذي جعل الفلسفة مذمومة، ممقوتة، في نظر الأندلسيين، حتّى إنهم اعتبروا من يشتغل بها زنديقًا ،ونتيجة لذلك كان لهم آراء في هذا الميدان تخالف آراء أهل السّنّة[4].

وقد عاش في عصر الإمارة محمد عبد الله بن مسرة الذي أدرك عصر الخلافة ت (319هـ/931م)[5] وقد اعتنق والده مذهب المعتزلة ،وكان هذا المذهب غير مرغوب فيه بالأندلس، فاضطرّ لاخفائه ولقنه لابنه، ومن المعروف أنّ هذا المذهب يعتمد على العقل كثيراً، ويتسلّح أصحابه بالمنطق و الفلسفة، لذلك نشأ محمد معتزلياً محبّاً للدراسات العقلية والحكمة، فقد رحل إلى المشرق في سنة(298هـ/910م)، ولقي أهل

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 335/4.

[2] محمد عيسى، عبد العزيز، **الأدب العربي في الأندلس**، 29-30.

[3] نفسه، 29-30.

[4] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 441.

[5] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 100/5.

الجدل وأصحاب الكلام، ثم أظهر الورع والتنسّك، وأصبح له تلاميذ يلقنّهم مذهبه الذي يجمع بين التصوف والاعتزال، وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول عند الحديث عن المذاهب الإسلامية، وبفعل آرائه المتعددة عمل على إثارة العامة والفقهاء بعد اكتشاف أمره، فأشاعوا عنه أنه زنديق ممّا اضطرّه إلى مغادرة لمغادرة الأندلس في آخر عهد الأمير عبد الله، ثمّ عاد في عهد الناصر، فواصل الدعوه لمذهبه وألف العديد من الكتب منها " التبصرة " "الحروف"[1].

و يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة ت (315هـ/927م)، رحل للمشرق وتعرّف على مذاهب المتكلمين، ومال إلى مذاهبهم واطّلع على تصنيفاتهم، وكان له آراء تخالف أهل السّنة[2].

وثمّة العديد من الكتب التي دخلت إلى الأندلس في فترة الإمارة الأموية، ومنها:

- كتب التراجم: مثل كتاب خليفة بن خياط العصفري ت(240هـ/854م) فقد أدخل بقي بن مخلد هذا الكتاب إلى الأندلس[3]، و كتاب المولد والوفاة لأبي بشر الدولاني ت(310هـ/922م) ، وكتاب تاريخ طبقات أهل العلم ومن نسب منهم إلى مذهب سليمان ابن داوود الشاذاكوني ت(230هـ/844م)[4].
- كتب الأنساب: مثل كتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام ت(214هـ/829م)، وكتاب النسب للزبير بن بكّار الأسدي ت(256هـ/869م)، بالإضافة إلى اهتمام الأندلسيّين بتاريخ المدن والبلدان ، ومن الكتب التي أدخلوها بعد سماعها بالمشرق فضائل مكة وفضائل الكعبة لأبي الحسن الخزاعي، وكتاب أخبار المدينة لمحمد المخزومي[5].
- كتب السيرة: لقيت كتب السيرة من الطلاب اهتماماً كبيراً ،ولذلك أدخلوها للأندلس في وقت مبكر ومنها كتاب مغازي رسول الله تأليف: موسى بن عقبة ت(141هـ/758م)، ورواها قاسم البياني، وكتاب سيرة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لمحمد المطلبي، وكتاب السيرة لأبي إسحاق الفزاري ت(185هـ/801م)، و كتاب سيرة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– ومغازيه للواقدي ت(207هـ/822م)[6].

---

[1] الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 2\1090، دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،183-185.

[2] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 913/2.

[3] نفسه، 142/1-145.

[4] زيان، علي، **المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري**، 28-32.

[5] القرطبي،ابن حيان، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، 246.

[6] ابن خير،أبو بكر محمد، **فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف**، 275/1.

وبناء على ما تقدم يتّضح أنّ هذه العلوم لم تكن تخلو من النشاط العلمي، ويمكن القول: إنّ جهود الأندلسيين في هذه الدراسات كانت نواة لصرح علميّ شامخ شهده عصر الخلافة، حيث إنها لم تصل في عصر الإمارة إلى درجة كبيرة وواضحة، خاصّة لاعتبارها من العلوم المنافية للأخلاق والدين ، ورمي كلّ متّبع لها بالإلحاد والزندقة.

وبعد هذا العرض للنشاط العلمي للأندلسيين في ميدان العلوم الإنسانية من تاريخ، وجغرافيا، وفلسفة، نخلص إلى القول: إنّ هذه العلوم لقيت نشاطاً ملحوظاً من علماء الأندلس، فلم يكونوا في عطائهم هذا لما ذكرناه من علوم بأقلّ ممّا منحوه للعلوم الأخرى.

والحقّ أنّ الأندلسيين أظهروا تقدّماً ملحوظاً في مجال التاريخ من خلال الدراسات والبحوث العلمية القيمة، ويكفي الأندلسيّين فخراً أن ظهر بينهم مجموعة من العلماء تناولت هذه المجالات بالدراسة والنقد ، كأسرة الرازي التي تُعدّ من أعظم الأسر العلمية عطاءً في ميداني التاريخ والجغرافيا.

وفي ميدان الفلسفة أظهر العديد من الأندلسيون اهتماماً بها، بالرغم ممّا اعترض اشتغالهم بهذا العلم من عقبات ، ولكن النبوغ الواضح والحقيقيّ لهذه العلوم كان فيما بعد ، مع أنّ البداية الحقيقية كانت في عصر الإمارة.

الفصل الثالث

تطور الحركة العلمية في عهد الإمارة الأموية في الأندلس

أ-دور الطبقة الحاكمة في رعاية الحركة العلمية:

مجّد الأندلسيّون العلماء، والفقهاء، ورجال الأدب، وكان لهؤلاء القيادة والريادة في المجتمع الأندلسيّ، وعُرف عن العلماء شغفهم بالعلم حتى إنّ الواحد منهم كان على معرفة بأكثر من علم في آن واحد، وكان للأمراء دور مهمّ في رعاية الحركة العلميّة، فقد عرفوا بشغفهم للعلم، وتقديرهم للعلماء، وتجلى ذلك من خلال رعايتهم وتقريبهم للعلماء، ويعد عصر الإمارة نقطة الانطلاق نحو ميادين الحضارة والبناء الفكري، وفيما يلي عرض الاهتمامات العلمية لكل أمير:

- **عبد الرحمن الداخل**

تميَز بثقافته وعلمه واستطاع بذكائه بناء قرطبة بعد أن اتخذها حاضرة للبلاد [1]، فشيّد المباني الضخمة، وأُقام القصور، واهتم بنشر التعليم فأنشأ المساجد، ودور العبادة لنشر الثقافة الإسلامية، ولتعليم فئات المجتمع العلوم المختلفة، كعلوم الدين واللغة، والفلسفة، وغيرها من العلوم [2]، ففي عهده أصبحت قرطبة مهداً للحياة الراقية ومصدراً للعلم والحضارة، وموطناً للفلاسفة والشعراء، وموئلا للعلماء والمفكرين ، ومركزاً للفنون والآداب، فقبل وفاته بعامين بدأ ببناء مسجد قرطبة العظيم الذي أنجز في عهد ابنه هشام إذ يعتبر الأثر الرائع للحضارة الإسلامية التي لعبت دوراً رئيسيا في تقدم الأمم والشعوب وتطوّرها[3].

فقد اهتم اهتماماً كبيراً بالجانب الديني، ونشر العلم، وتوقير العلماء، واهتم بالقضاء وبالحسبة، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان من العلماء في أيامه معاوية بن صالح الحضرمي ، وكان من جلة أهل العلم ، ومن كبار المحدثين، وقد أخذ عنه جملة من الأئمة ومنهم: سفيان الثوري، وابن عيينة، والليث بن سعد، ويذكر أنّ الإمام مالك روى عنه حديثاً، وكان عبد الرحمن الداخل قد ولاه القضاء[4]، وكان من

---

[1] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 60/2.

[2] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 205/23.

[3] ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 110/8-111، الشريقي، ابراهيم، **التاريخ الإسلامي**، 149، جمال الدين، عبد الله، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، 22.

[4] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 407.

علماء الأندلس في عهده- أيضاً- سعيد بن أبي هند، والذي لقبه الإمام مالك بن أنس بالحكيم، لما عرف عنه من رجاحة عقل، وتوفي أيام الداخل[1].

يتَضح مما سبق أنَ عبد الرّحمن الداخل كان أول من أسهم في إرساء قواعد الانطلاقة الفكرية العلمية في الأندلس، وذلك لأن الفترة السابقة من حكمه كانت فترة تأسيس وفتوحات، وإن مورست بعض الأنشطة فإنها مورست على نطاق محدود،وبالتالي يمكن اعتباره أول شخص يهتم بالنواحي العلمية، وتجلى ذلك بشكل واضح عندما بدأ في إنشاء مسجد قرطبة العظيم الذي أنشىء للعبادة والعلم، شأنه في ذلك شأن معظم المساجد التي ابتناها المسلمون في الأندلس، حيث كان العلماء والفقهاء والأدباء يعقدون فيها لطلاب العلم، والمعرفة، حلقات تدريسيّة في مختلف المواضيع .

فقد كان راجح العقل، وراسخ العلم، وواسع الحلم، كثير الحزم، ناقد العزم ، شاعراً مهتماً بالشعر، ومن شعره متشوقاً للشام :

أيها الراكب الميمم أرضـــي ... أقرَ بعض السلام لبعضي

إن جسمي كما علمت بأرض ... وفؤادي ومالكية بـــأرض[2]

ومن شعره عندما بنى الرصافه:-

تبدت لنا وسط الرصافة نخلــة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهى في التغرب والنَوى وطول التناءي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبــة فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي[3]

- **هشام الرضى**

كان أديباً فاضلاً عفيفاً صوّاماً قوّاماً [4] ، حكم بالكتاب والسّنّة، ولم تأخذة في الله لومة لائم[5]، وساد الأمن الأمن والهدوء في الأندلس فترة حكمه،فقد كان عالماً محبّا للعلم مقرّباً للعلماء، وقد أحاط نفسه بالفقهاء

---

[1] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 407.

[2] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 60/2، سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، 209.

[3] المراكشي، محيي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 11، قزيحة، رياض، **الفكاهة في الأدب الأندلسي**، 31.

[4] مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، 120.

[5] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 65/2، السرجاني، راغب ، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، 168-170.

وكان له أثر عظيم في بلاد الأندلس بنشره اللغة العربيّة فيها، وقد أخذ ذلك منه مجهوداً عظيماً حتّى أصبحت العربية في عهده تُدرّس في معاهد اليهود والنصارى داخل أرض الأندلس، ممّا كان لذلك الأثر الاكبر في دخول الكثير منهم في الإسلام، بالإضافة إلى نشر روح المودة بين هذه الفئات[1].

وأهمّ ما حدث في عهد هشام في المجال الداخلي دخول المذهب المالكي، فقد كان أهل الأندلس قبل ذلك على مذهب الأوزاعي، وكان تلميذه في الأندلس صعصعة بن سلام الشامي صاحب الصّلاة في قرطبة، ورحل في عهد هشام عدد من رواة الحديث، منهم قرعوس بن العبّاس، وعيسى بن دينار، ولمّا عادوا إلى الأندلس وصفوا ما رأوه من فضل مالك وسعة علمه، فانتشر رأيه ومذهبه في الأندلس،وكان رائد الجماعة في ذلك شبطون، وهو أول من أدخل موطأ مالك للأندلس[2].

فقد عُرف عنه إن حضر مجلساً امتلأ أدبًا، وفي عهده جاء المنجّم المعروف بالضّبّيّ من بلده الجزيرة الخضراء إلى قرطبة، وكان في علم النجوم والمعرفة بطليموس زمانه[3]، فقد كان تقياً متواضعاً يهتمّ بشؤون بشؤون رعيته، وتميَز عهده بنشر العدل ،كما اهتمّ ببناء مسجد قرطبة، وجدّد بناء قنطرة الوادي الكبير وامتلأت الأندلس في عهده بالمساجد، والقصور والحدائق وتعددت ضواحيها،فقد كان يكرم رجال العلم والفقهاء، ويجزل عليهم العطايا، ويزور الفقراء في بيوتهم، ويحمل إليهم الطعام فأحبّه لذلك الشعب، ولكنه تُوفّي وهو لا يتجاوز ثمانية وثلاثين عاماً عام 180هـ/ 796م[4].

- **الحكم بن هشام**

من أهل الخير والصلاح[5]، كثير الغزو والجهاد ،شديد الحزم، ماضي العزم، أفحل بني أمية بالأندلس، وأشدّهم إقداماً ونجدة[6]،تميَز عهده بالعديد من الأمور، ومنها كثرة الفتن، بالإضافة إلى اهتمامه بالغزو والجهاد وعدم اكتراثه برجال الدين والفقهاء، مما أدى إلى إغضابهم وإعلان معارضتهم الدامية له، فلم

---

[1] أبو عبد الله، الحميدي، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 30-31، سويدان، طارق، **التاريخ المصور**، 126.

[2] المراكشي، محيي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 13، جمال الدين، عبد الله، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، 25.

[3] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 23/209-210، مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، 269.

[4] مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، 120، الشريقي، ابراهيم، **التاريخ الإسلامي**، 152.

[5] المراكشي، ابن عذارى ، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 68/2، السرجاني، راغب، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، 170-172، سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، 227.

[6] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 30-31، مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، 273. 273.

يكن كجدّه أو أبية ممّن يحسن صحبة الفقهاء، وقد يرجع ذلك إلى صغر سنه، وهذا يحول دون أن يكون الفقهاء هم من يزيّنون مجلسه، فأبعدهم ولم يحظوا بالمنزلة ذاتها التي كانت في عهد والده، وهذا دفعهم إلى التعريض به أمام الناس، وإلى إثارة الناقمين للثورة عليه[1]، فمن أشهر الثورات التي قمعها ثورة الربض الربض عام(198هـ/804م)[2]، وسببها تحريض الفقهاء للعامة، واتهامه بشرب الخمر والتشاغل باللهو والصّيد[3].

و كان الحكم ضابطاً حازماً، مبسوط اليد بالعطاء، عظيم العفو، خطيباً، بليغاً ،شاعراً جزيلا، وعاصره كلّ من يحيى الليثى، وعيسى بن دينار، وهم الذين أدخلوا كتاب مالك للأندلس، ومن شعره في جوارٍ له:

قضب من من البان ماست بين كثبان ولين عني وقد أزمعن هجراني
ناشدتهن بحقي فاعتزمنَ على العصيان حتى خلا منهن عصياني
ملكنني ملكاً ذلت عزائمه للحب ذل أسير موثق عانى[4]

وله قصيدة بعد ثورة الربض ومنها:-

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعا وقدمت لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغره ابادرها مستنضي السيف دارعا
وشافه على الأرض الفضاء جماجما كأقحاف شريان الهبيد لوامعا[5]

وبالرغم من اشتعال الفتن والثورات في عهده إلّا أنّ الأوضاع استقرّت في آخر فترات حكمه ،والعلوم والآداب في عهده شهدت نوعًا من التطور، فقد نبغ عدد من الشّعراء، والكتّاب كعبّاس بن ناصح الثقفي ويحيى الغزّال[6] وعبّاس بن فرناس[7].

- **عبد الرحمن الأوسط**

عرف بحفظه للقرآن بالروايات السبع [1]، وحفظه أيضاً لما يزيد على ثلاثة الآف حديث، وكان عارفاً بالفلك، والفلسفة[2]، وتُعدّ فتره حكمه من أفضل فترات حكم تاريخ الأندلس، فقد استأنف الجهاد من جديد

---

[1] مؤنس، حسين، **شيوخ العصر في الأندلس**، 20-22.
[2] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 217/23، جمال الدين، عبد الله، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، 26-28.
[3] المراكشي، محيي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 13.
[4] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 217/23.
[5] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 30-31.
[6] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 21/3.
[7] المغربي، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، 333/1.

ضدّ النصارى في الشمال، وألحق بهم الهزائم، وكان حسن السيرة، هادئ الطباع، محباً للعلم ومحباً للناس[3].

وكان عادلاً ،فاضلاً ،وله نظر في العلوم العقلية، وهو أول من أقام رسوم الإمرة، وامتنع عن التبذل للعامة، وهو أول من ضرب الدراهم بالأندلس وبنى سور إشبيلية ،وأمر أيضاً بزيارة جامع قرطبة[4].

واهتمّ بنشر العلم والمعارف في الأندلس، وبناء المساجد، والمستشفيات، كما أنفق أموالاً ضخمة على تحسين قرطبة وتجميلها، حتّى أصبحت تنافس بغداد في قصورها وعمرانها ونهضتها العلمية، وعُرف بولعه بالشّعر، وعلوم الشّريعة والفلسفة، وكان على غرار الخليفة المأمون يجزل العطايا على أهل العلم، ويعقد في قصره الندوات للدراسات والمناقشات الفلسفية، حتّى إنّه شكل لجنة لترجمه المصنَفات، والكتب اليونانية، فقد أرسل عبّاس بن ناصح[5] الشاعر إلى المشرق من أجل شراء الكتب النافعة، فجاءه بكتاب "السند هند"[6] فاطلّع الأندلسيون عليه ،واعتبروه من مؤلّفاتهم، وهو كتاب مهمّ في علم الفلك، والرّياضيّات،

---

[1] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 80/2.سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، 228. شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني (الأوسط)**، 112.

[2] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 226/23–228.

[3] ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 69/8–70، سويدان، طارق، **التاريخ المصور**، 133.

[4] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 30، سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، 228. شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني (الأوسط)**، 112.

[5] هو أبو المعلي الأندلسي الثقفي، من أهل العلم بالعربية، واللغة، والشعر، وله حظ في الفقه، والرواية، وصل مع أبيه إلى مصر ، وتردد إلى الحجاز طالباً لغة العرب(السيوطي، جلال الدين، **بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة**،28/1)، وكان أثيراً عند الخلفاء والمروانيين ووفد مرة على قرطبة في مدة الحكم الربضي، فجاءه أدباءها للأخذ عنه فمرت عليهم قصيدة:

لعمرك ما البلوى بعارٍ ولا القدم إذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

حتى انتهى القارئ إلى قوله:

تجاف عن الدنيا فما لمعجز ولا حازم إلا الذي خط بالقلم

فقال له يحيى الغزال–وهو حدث– أيها الشيخ، وما الذي يصنع مفعَل مع فاعل، فقال: فكيف تقول أنت؟ قال: تجاف عن الدنيا فليس لعاجز، فقال عباس: والله لقد طلبها عمك ليالي فما وجدها، وجعله الرازي فحل شعراء الأندلس، المغربي، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، 324/1.

[6] السند هند كلمة من اللغة السنسكريتية الهندية القديمة، وأصلها" الست هانت" ومعناها مقالة الأفلاك، ومؤلفها العالم الفلكي الهندي برهمكييت ، عبد محمد، سوداي، **تأثر الفكر الأندلسي بالحركة العلمية في المشرق الإسلامي**،301.

والفلسفة، والمنطق، ويقع في جزأين أحدهما في بحث الأزياج(الجداول)، والآخر في رسائل هذه الجداول، ولذلك اعتبر أول من عني من الأمويين بجمع الكتب[1].

وفي عهده نقلت الكتب العلمية إلى الأندلس عن طريق التّجّار، وبخاصّة التّجّار العراقيّون الذين جلبوا – إلى جانب البضائع المختلفة– الكتب العلميّة، وباعوها في أسواق الأندلس، ممّا أدّى إلى تنشيط الحركة العلمية فيها[2]، ومن الكتب التي نقلت بهذه الطريقة كتاب" العروض" للخليل بن أحمد الفراهيدي ، وشرحه عبّاس بن فرناس، وسهل فهمه لأهل الأندلس[3].

وكان عبد الرّحمن أيضًا ذا همّة عالية ، وأيامه هدوء وسكون، وعرف بالأوسط ؛لأنه ثاني ثلاثة عرفوا بهذا الاسم، وقاموا بأمر الأندلس، وكان وسطاً بين العنف واللين، فكان رجلًا على مستوى عالٍ من الثقافة والعلم، وكان هدفه البحث من أجل اقتناء الكتب المفيدة فهذا المجهود الذي يقوم به كان بمثابة نواة لمكتبة قرطبة التي عمّرت أيام الحكم المستنصر[4].

عُرف بحبه لجاريته طروب[5] حتَى قال فيها:

إذا مابدت لي شمس النهار طالعـــة ذكرتنـــي طروبـــا

أنا ابن الهشامين من غالب أشب حروباً وأطفى حروبا[6]

وأحبَ مؤثرة أمَ ولده المنذر فأعتقها وتزوّجها، وكذلك تزوّج جاريته "الشفاء" ،وكانت له جارية تسمى "قلما" ذاكرة، حسنة الخط ،راوية للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الأدب[7]، فيبدو أنّ الجواري كنَ يتزودن

---

[1] مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، 122 ، جمال الدين، عبد الله، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، 40، عمر، **عبد الرحمن الثاني (الأوسط)**، 112-114.

[2] السامرائي، خليل، **أثر العراق الحضاري على الأندلس**، 129، عمر، **عبد الرحمن الثاني (الأوسط)**، 114.

[3] المغربي، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**،333/1، ويقال أن عباس بن فرناس بعد أن اطلع على الكتاب لاحظ بذكائه أنه ناقص من أوله، فبعث الأمير عبد الرحمن من يحضر الجزء الناقص من العراق فأحضر له، وبذلك سهل عل عباس شرحه وتوضيحه،العبادي، أحمد، **في تاريخ المغرب والأندلس**،164.

[4] ابن حزم، أبو محمد علي، **رسائل ابن حزم**، 192/2، عمر، **عبد الرحمن الثاني (الأوسط)**، 114-115.

[5] كانت طروب أكثر جواريه حظوة، إذ كانت في مضمار السياسة تبرم مع نصر الخصي فلا يرد شيء مما تبرم، فكان من جملة ما أبرمته مؤامرة تقضي فيها على زوجها ، وتجعل ولدها ملكاً على الأندلس، وخاصه أن حق الإمارة ليس لولدها بل لأخوه الأكبر سناً ، أبو صالح، وائل، **الجواري في الأندلس**، 57.

[6] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 80/2.

[7] أبو صالح، وائل، **الجواري في الأندلس**، 57-59.

يتزودن بمعارف العصر من موسيقى، وشعر ،وأخبار، وحديث، ولكنَ أصولهنَ ليست من الأندلس وبانتقالهنَ إلى الأندلس أثَرن في الحياة الثقافية فيها.

وشهد عهده عودة قسم كبير من الدارسين الأندلسيّين من المشرق بعد أن تلقّوا علومهم هناك، ومنهم: عبد الملك بن حبيب السلمي[1]، ويحيى بن يحيى الليثي[2]، وقد كان غالبية هؤلاء العائدين من العلماء الكبار الذين يمثّلون الجيل الأول من أهل الثقافة الأندلسيَة.

ففي عهده كانت قرطبة مركزاً حضارياً عظيماً، وغدت حاضرة المسلمين في الأندلس، وكانت مركزاً للازدهار الماديّ والتقدّم الإداريّ والنشاط الفكريّ، وبدأت طلائع الشّعر الشّعبيّ الاندلسيّ[3] بالظهور، ومن ومن الشّعراء ابن عبد ربّه، ففترة حكم هذا الأمير شهدت دفعة كبيرة للحركة العلميّة ووثبة عظيمة للثقافة والفنّ، حيث شهد عصره الكثير من الهدوء والاستقرار واليسر والرخاء، حتى سُمّيت أيامه بالعروس[4].

فلم يكن عبد الرحمن أميراً فحسب، بل كان أديباً، وشاعراً، وعالماً ،حكيماً، أحاط نفسه بالعلماء والأدباء، وامتاز عهده بظهور العديد من الشّخصيّات كعليّ بن نافع الموسيقي المعروف بزرياب الذي كان له دورٌ كبير في تقدم فنّ الموسيقى في الأندلس في تلك الفترة[5]، اضافة إلى عبّاس بن فرناس[6] حيث عاصر عهد عهد والده وعهده ،فهو رياضيّ وشاعر وموسيقيّ ، إضافةً إلى يحيى الغزّال الشّاعر[7].

- **محمد بن عبد الرحمن الأوسط**

---

[1] ابن حيان، أبو مروان، **المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 293، عمر، **عبد الرحمن الثاني (الأوسط)**، 114-115.

[2] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 567-568.

[3] هو شعر يصاغ بعامية الأندلس، التي هي خليط من العربية والبربرية، وغيرها، مع الإلتزام بأوزان بحور الشعر ، وخاصة بحرا الرجز الرجز والرمل، وهو ما عرف باسم الجزل، ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، 696.

[4] ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 8/69-70، عمر، **عبد الرحمن الثاني (الأوسط)**، 115.

[5] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 4/115-116، أبو الفضل، محمد أحمد، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، 275.

[6] المغربي، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، 333/1.

[7] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 21/3، حمادة، محمد، **الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي افريقية**، 149.

عُرف بمعرفته للبلاغة، والأدب، وقول الشّعر [1]، إضافة إلى أنه كان بصيراً بالحساب، فكان يتولّى محاسبة أهل خدمته ويتعقّب أمورهم المالية بنفسه، ولقد قوي نفوذ الفقهاء في عهده، وكان لهم دور كبير في توجيه السياسة مع النصارى، فكان متسامحًا معهم، وعرف بالحلم والمودّة[2]، و كان أديباً ذوّاقاً يجمع حوله أكابر الناس والعلماء والشّعراء[3]، أمثال عبّاس بن فرناس وابن عبد ربه[4].

وحين أدخل أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد مصنّف أبي بكر بن أبي شيبة أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف، ومنعوا من قراءته إلى أن وصل ذلك الأمير محمّد فاستحضره وإياهم، واستحضر الكتاب كلّه، وتصفّحه جزءًا جزءًا إلى أن وصل إلى آخره فظنّ الفقهاء أنه يوافقهم الإنكار عليه، لكنه قال لخازن كتبه: "هذا الكتاب لا تستغني خزائننا عنه، فانظر في نسخة لنا، ثم قال لبقيّ: انشر علمك وارْوِ ما عندك من الحديث واجلس للناس حتّى ينتفعوا به، أو كما قال، ونهاهم أن يتعرّضوا له"[5].

- **المنذر بن محمد**[6]

تولّى الحكم في عام(273هـ/886م)، ومنذ البداية انشغل بأمور الجهاد، والقضاء على الثورات والفتن، فمدّة حكمه كانت قصيرة بسبب وفاته عام(275هـ/888م)، وهو في السادسة والأربعين من العمر[7]، فولايته مكثت سنة وأحد عشر شهرًا، وقيل عنه" بالمنذر بن محمّد صلّحت بلاد الأندلس"[8].

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 338/1، حمادة، محمد، **الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي افريقية**، 149.

[2] مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، 146.

[3] هو الامام محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، أمه ولد اسمها تهتر توفيت وتركته رضيعاً، ولد عام 207هـ/822م، بقصر قرطبة، وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه 238هـ/852م، وكان عمره ثلاثون سنه، فقد كان مستكملاً لكل خير وجامعاً لكل فضيلة محباً للعلوم ومؤثراً لأصحاب الحديث، عارفاً بمصالح دنياه وآخراه ،حسن السيرة الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 31.

[4] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 49/1.

[5] ابن الأبار ،محمد، **الحلة السيراء**، 119، جمال الدين، عبد الله، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، 41-42.

[6]هو أبو الحكم بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وأمه أم ولد أسمها ايل، وهو سادس أمراء بني أمية في الأندلس، المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 120/2.

[7] مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، 149.

[8] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 338/1.

- **عبد الله بن محمد**

هو سابع أمراء بني أمية بالأندلس، بويع له بعد وفاة أخيه المنذر عام(275هـ/888م)[1]، وكان متقدَماً في في ورعه وفضله، محباً للخير للجميع[2]، كثير التواضع، شديد الوطأة على الظّالم والجائر، متفنّناً في جمع جمع العلوم النافعة للدين والدنيا، وعُرف بتلاوته لكتاب الله[3] .

كان أديباً شاعراً، حيث أنه شاور في أحد الأيام وزيره النضر بن سلمة في أمر، فكتب الوزير رأيه في بطاقة أرسلها إلى الأمير عبد الله ، فلمّا وقف عليها لم يتصوّب رأيه فكتب اسفلها هذين البيتين:-

أنت يا نضر أبده — لست ترجى الفائدة

إنما أنــت عــدة — لكنيـــف ومائـدة[4]

ومن شعره:

يا مهجة المشاق ما أوجعك — ويا أسيـر الحـب ما أخشعـك

ويا رسول العين من لحظها — بالـرد والتبليـغ مـا أسرعـك

تذهــب بالسر فتـأتى بـه — في مجلس يخفى على من معك

كم حاجة أنجــزت ابرازهـا — تبـارك الرحمـن مـا أطوعـك[5]

يُلحظ من خلال ما سبق أنّ حضارة الأندلس ازدهرت ازدهاراً عظيماً أيام الحكم الأموي للبلاد، فقد اشتهرت الأسرة الأموية بحبّ العلم وإكبار العلماء، ويظهر ذلك واضحًا منذ أن وطئت أقدامهم أرض الأندلس.

فهناك العديد من التطورات المهمَة التي حصلت في عهد الأمراء الأمويين، ومنها انتقال الأندلس في هذا العهد إلى حياة جديدة يحكمها الإسلام، حيث حرّر الإنسان من جميع الضغوط التي تحكمه، وزاد الإقبال على الدخول بالإسلام، بالإضافة إلى التبادل الثقافيّ بين الأندلس والمشرق والذي كان للأمراء دورٌ كبير

---

[1] هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمه أم ولد أسمها عشار كنيته ابو محمد محمد المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 152/2-153.

[2] مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، 154-156.

[3] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 32.

[4] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 232/23.

[5] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 331/1.

في التشجيع على ذلك، كحضور الفنان زرياب من بلاط هارون الرشيد في عهد عبد الرحمن الأوسط، حيث عمل هذا الفنان على نقل معالم الحضارة من خلال الفنّ والأدب، وكان لذلك أثر واضح في تغذية الحركة العلمية في تلك الفترة، ولا ننسى الإشارة إلى انتشار التعليم بشكل واسع على نفقة الدولة، وشموله الجنسين، إضافة إلى أنّ اللغة العربية أصبحت اللغة الرسميّة في مؤسّسات الدولة، فبالرّغم من أنّ عهد الأمراء الأمويين كان عهد عزّ للأندلس، لكنهم لم يكونوا بنفس الدرجة من الكفاءة.

فمجمل القول: إنّ الأمراء الأمويّين عملوا على تطوير الأندلس والرّقيّ بها خطوات ملموسةً إلى الأمام، وذلك بتشجيعهم العلم والعلماء. واختلاف قدرات كلّ أمير عن غيره ربما يعود ذلك للظروف الخاصّة بالبلاد آنذاك، أو أنّ سعة علم كلّ أمير تختلف عن الآخر، ولكن بالمجمل يمكننا أن نعتبر هذا النشاط العلمي فترة حكم الأمراء الأمويين بمثابة بداية انطلاق نحو تقدم علميّ واسع المجالات، فلم يقتصر نشاط الأندلسيّين آنذاك على علوم الدين فقط، إنما شمل أنواعاً مختلفة من العلوم كانت نواة لصرح علميّ شامخ شهدته الأندلس فيما بعد.

ب-الرحلات العلمية:

لعلّ ممّا يفتخر به المسلمون من سمات التطور الحضاري والتفوق العلميّ ما اعتاد عليه علماؤهم من اتخاذ الرحلات، والأسفار بين مراكز العلم في العالم الإسلاميّ عادة حميدة، وسُنّة كريمة للتزوّد بالعلوم، واكتساب المعرفة، والجدير بالذكر أنه كان لموقف الإسلام من العلم والحثَ على طلبه أثر في اهتمام المسلمين بالرحلات العلمية، فقد حثّ الإسلام على العلم والسّعي في طلبه وتحصيله، وبسبب الحرص على اكتشاف المعارف والتزود بالعلم تحمل طلبة العلم ضروب المشقات وألوان التعب في سبيل ذلك، فلم يترك المسلمين أي وسيلة تساعدهم على الوصول إلى هدفهم إلا واستخدموها، ممَا كان لذلك الأثر الأكبر في نجاح بنائهم الحضارة، فمن هذه الوسائل الرّحلات العلميّة التي اعتبِرت ضرورة يجب أن يسلكها طالب العلم في حياته العلمية، وقد قسّمت الرحلات إلى قسمين:

1- ارتحال علماء الأندلس إلى المشرق طلباً للعلم:-

كان بين الأندلس والمشرق تيّار علميّ زاخر يتمثّل في أفواج العلماء الذاهبة واللآيبة بين القطرين، وكان علماء الأندلس أكثر الناس رحلة إلى المشرق يتلقّون عن علمائه العلم، ويأخذون عن شيوخه ألوان

المعرفة، ثمّ يعودون إلى بلادهم لينشروا ما اكتسبوه، حتّى قيل عنهم "يحبوّن العلم وأهله، ويكثرون التجارب والتغرّب"[1].

وكان العالم الإسلامي آنذاك وحدة ثقافية له كيان فكريّ واحد، فالعقيدة الإسلاميّة صبغت كلّ نشاط المسلمين بصبغة واحدة، فلا اختلاف بينهما مهما بعدت المسافات، ومهما قامت حواجر سياسيَة نتيجة لظهور كيانات متعدّدة فيه في مختلف العصور كالعباسيّين في المشرق والفاطميين في مصر، والأمويين في الأندلس، وما دام الأمر كذلك فلا غرابة بأن يتّجه الأندلسيّون إلى المشرق الذي سبقهم في مجال الحضارة بميادينها المختلفة ،ومنها ميدان العلم، فقد كان الكثيرون من علماء الأندلس يرون في الرحلة إلى المشرق وأخذهم عن شيوخه تشريفاً وفخراً بين علماء بلدهم، وعلى العكس من ذلك كان عُكوف العالم على الإقامة ببلده إشارة إلى قصوره عن إدراك ما ناله الآخرون وفاز به المرتحلون في طلب العلم، والذين أتيحت لهم الفرصة في لقاء العلماء في كل قطر إسلامي والأخذ عنهم مشافهة [2].

وكان الحج إلى مكّة يمثّل هدفاً دينياً ،فبأداء هذا الركن الإسلاميّ من جهة، وبطلب العلم بعد ذلك من جهة أخرى، حيث إنّ علماء الأندلس كانوا يؤدّون فريضة الحجّ ثمّ يتوجّهون إلى المدينة للقاء الشيوخ والعلماء، وخاصّة ممّن أخذ منهم عن الصّحابة وتابعيهم، فيأخذون علوم الحديث والفقه غالباً[3].

ولانعني بقولنا: إنّ من لم تكن له رحلة لم يكن عالماً أو صاحب معرفة بالعلم الذي اختصّ به، بل نقصد أنه لم يتوفر له ما توفر لغيره من العلماء الذين كابدوا وتحملوا الصعاب والمشاق في سبيل التزوّد بالعلم وتوسيع دائرة معارفهم بتنوّع مصادر ثقافتهم ودراستهم.

فكان من نتائج استقرار الأحوال السياسيّة في الأندلس أن انطلق الناس نحو البناء الحضاريّ وأخذوا يلتمسون الوسائل في ذلك، وعلى رأس هذه الوسائل التعليم الذي أصبح القاعدة الأساسيَة في نشاطهم الحضاري، لأن عصر الإمارة يمثّل بداية الانطلاق نحو آفاق المعرفة، وتمثّل ذلك بشكل كبير في رحلاتهم العلمية إلى مراكز العلم في المشرق، فبعد أن استتبت الأحوال على يد الأمير عبد الرحمن الداخل وبعد أن زالت مخاوف العباسيّين من الأمويين في الأندلس لم يعد هناك ما يبرّر عزلة الأندلس عن المشرق، فكان الانفتاح على المشرق في عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل، إذ إنهم بعد أن يتلقوا

---

[1] المقدسي، محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،236.

[2] العاني، سامي، **دراسات في الأدب الأندلسي**، 98.

[3] نفسه، 98.

العلم على شيوخ وعلماء المشرق كانوا يشدّون الرّحال ويعودون إلى وطنهم ليثبتوا ما توصلوا إليه من علم ومعرفة وينشروا ذلك في بلادهم.

واختلف كلّ فرد منهم عن الآخر في الفترة الزمنية التي يحتاج إليها في اغترابه عن وطنه، فهي تتباين بحسب قدرة كلّ منهم وطاقته على مواصلة الارتحال بين مراكز العلم المنتشرة في العالم الإسلامي كالعراق، والحجاز. وكان الكثيرون يعودون بعد رحلة طويلة، ورحل الأندلسيّون في بداية نشاطهم العلمي في طلب العلوم الدينية إلى المدينة بصفة عامة باعتبارها مركز العلم والمنبع الأصيل لهذا العلوم، ولما اتسعت دائرة الاشتغال بالعلوم الأخرى كالرياضيات والفلك والفلسفة، والطّبّ وغيرها، اتجه المعنيون إلى بغداد مركز هذه العلوم ومحور نشاطها آنذاك.

ولم يدع الكثير من أولئك العلماء الفرصة في الاستفادة في مراكز العلم التي تقع في طريقهم إلى المشرق، فكان انطلاقهم من الأندلس إلى المغرب ليتجهوا نحو القيروان التي كانت من مراكز العلم المهمة آنذاك، ثمّ منها إلى مصر حيث مدينة الاسكندرية، التي كانت بدورها ذات نشاط علميّ كبير، وإلى جانبها الفسطاط ثمّ القاهرة بعد بنائها، ومن مصر تشعّبت أفواج العلماء الأندلسيين لتكون في اتجاهين: الاتجاه الأول إلى الحجاز لمن يطلب العلوم الدينية، والاتجاه الثاني إلى العراق لمن يرغب في دراسة العلوم الأخرى التي سبق أهل العراق إلى الاشتغال بها[1] .

و كانت بغداد آنذاك بوتقه انصهرت فيها تيارات علمية مختلفة من نتاج حضارات أخرى كاليونان والهنود، والفرس ، وبالاضافة إلى ما أضافه علماء المسلمين من إنتاج فكريّ قيمٍ ولهذا فإن فضل الأندلسين على المشرق لاينكر، وبذلك فإنهم يفيدون وطنهم ويسهمون في بناء كيانه العلمي[2]، ومن هؤلاء الأفراد الذين ارتحلوا إلى المشرق طلباً للعلم:-

[1] البشري، سعد، الحياة **العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**،95-97.

[2] نفسه ،95-97.

- **زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف شبطون:-**

يكنى أبا عبد الله، وكان فقيه الأندلس على مذهب مالك[1]، وهو أول من أدخل مذهبه الأندلس وأراده الأمير هشام على القضاء بقرطبة وعزم عليه، فهرب فقال هشام " ليت الناس كلَهم كزياد حتّى أكفي الرغبة في الدنيا، وأرسل إلى زياد فأمنه حتى رجع إلى داره"[2]

ويحكى أنه لمّا أراده للقضاء كلَمه الوزراء في ذلك عن الأمير وعرّفوه عزمه عليه، فقال لهم: أما إن أكرهتموني على القضاء فزوجتي فلانة طالق ثلاثاُ، لئن أتاني مدّعٍ في شيء ممّا في أيدكم لأجُرمنّه عنكم ،ثمّ أجعلكم مدّعين فيه، فلمّا سمعوا منه ذلك علموا صدقه، فتكلّموا عند الأمير في معافاته"[3].

لذا احتلّ شبطون منزلة رفيعة في المذهب المالكي، لما كان له من أثر كبير في نشره بالأندلس، تُوفي شبطون في قرطبة، واختلف في سنة وفاته، فالبعض ذكر أنه تُوفّي(204هـ/819م)، وقيل(193هـ/808م)، وقيل(199هـ/814م)[4].

- **عبد الملك بن حبيب السلمي:-**

فقد كان شاعراً عالماً بالأنساب وله العديد من المؤلّفات، ومن أشهرها كتاب " الواضحة" في مذهب مالك وهو كتاب كبير مفيد، ولابن حبيب مذهب في كتب المالكية مسطور وهو مشهور عند علماء المشرق، وقد نقل عنه الحافظ بن حجر وصاحب المواهب وغيرهما ،ومؤلفاته شملت الطّبّ والتاريخ، واللغة، ومنها:" تفسير الموطأ" و"حروب الإسلام"،"المسجدين"، "سيرة الإمام فيمن ألحد"، و"فضائل الصحابة" [5].

ومن نظمه يخاطب سلطان الأندلس:-

---

[1] ويقال أنه سمع من مالك الموطأ ويعرف سماعه سماع زياد، وسمع من معاوية بن صالح وروى يحيى الليثي عن زياد هذا الموطأ قبل أن يرحل إلى مالك،فرحل شبطون مع كل من قرعوس بن العباس، وعيسى بن دينار، وسعيد بن أبي هند وغيرهم إلى الحج أيام هشام بن عبد الرحمن والد الحكم، فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلاله قدرته، ما عظم به صيته الأندلس فانتشر رأيه وعلمه بالأندلس وكان رائد الجماعة بذلك، ابن الفرضي، أبو الوليد،**تاريخ علماء الأندلس**، 1/216-271.

[2] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 2/262-263.

[3] نفسه،2/262-263.

[4] ابن الفرضي، أبو الوليد ،**تاريخ علماء الأندلس**، 1/216-271.

[5] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 2/228.

لا تنسى لا ينسك الرحمن عاشورا وإذكره لا زلت في التاريخ مذكورا

قال النبـــي صـــلاة الله تشملـــه قولا وجدنا عليه الحـقَ والنـــورا

فيمن يوسَع في انفاق موسمـــــه أن لايزال بذاك العــام ميســورا[1]

وقال الفتح في المطمح " الفقيه العالم أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي[2] أيّ شرف لأهل الأندلس، الأندلس، وأيّ مفخر، وأيّ بحر بالعلوم يزخر، خلّدت منه الأندلس فقيها عالماً، أعاد مجاهل أهلها معالم، وأقام فيها للعلوم أسواقاً نافقة، ونشر منها ألوية خافقة، وجلا عن الأبواب صدأ الكسل وشحذها شحذ الصوارم والأسل، وتصرّف في فنون العلوم، وعرف كلّ معلوم، ولقي أنجاب مالك وسلك في مناظراتهم أوعر المسالك، حتّى أجمع عليه الإتقان ووقع على تفضيله الأصفاق"[3].

وقال محمد بن لبابة " فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك وراويها يحيى بن يحيى وكان عبد الملك قد جمع إلى علم الفقه والحديث، علم اللغة والإعراب ،وتصرّف في فنون الآداب وكان له شعر يتكلّم به متبحّراً،ينبوعه بذلك متفجراً"، وتُوّفي بالأندلس(238هـ/852م)وهو ابن ثلاث وخمسون سنة ومن شعره:-

قد طاح أمري والذي ابتغى هين على الرحمن في قدرته

الف من الخمر واقلـل بهـا لعالم أربـــي علـــــى بغيتـــه

زرياب قد أعطيهـا جملـــة وحرفتي أشرف من حرفتـه[4]

ولم يكن له علم بالحديث يُعرف به صحيحه من معتلّه، ويفرق من مستقيمه ومختلّه، وكان غرضه الإجارة وأكثر رواياته غير مستجازة[5] .

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 228/2.

[2] يقال إنه لقي مالكاً آخر عمره وروى عنه سعيد بن المسيب أن سليمان بن داوود كان يركب إلى بيت المقدس فيتغذى به، ثم يعود فيتعشى في اصطخر، وله في الفقه كتاب الواضحة ومن أحاديثه غرائب وقد تحلت به للزمان نحور وترائب المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 227/2، فروخ، عمر ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 587-588، الدغلي، محمد سعيد، **الحياة الإجتماعية في الأندلس**، 30.

[3] الاشبيلي، أبو النصر، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، 233-234.

[4] المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 227/2، فروخ، عمر ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، 587-588، الدغلي، محمد سعيد، **الحياة الإجتماعية في الأندلس**، 30.

[5] الاشبيلي، أبو النصر، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، 233-234.

- **القاضي أبو عبد الله بن محمد بن أبي عيسى:-**

قال الفتح في المطمح:" من بني يحيى بن يحيى الليثى، وهذه ثنية عقل وعلم، وصحة ضبط ونقل، كان علم الأندلس، وعالمها النّدس، ولي القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها إلى المشرق، وجمع فيها من الروايات والسماع كلّ مفترق وحال في آفاق ذلك الأفق لا يستقرّ في بلد، ولا يستوطن في خلد، ثم كرّ إلى الأندلس فسمت رتبته، وتحلّت بالأماني لُبته، وتصرّف في ولايات أحمد فيها منابه، واتصلت بسببها بالخليفة أسبابه، وولاه القضاء بقرطبة فتولاه سياسة محمودة ورياسة في الدين مبرمة القوى مجهودة، والتزم فيه الصراحة في تنفيذ الحقوق، والحزامة في إقامة الحدود، والكشف عن البيان في السّرّ، والصدع بالحقّ في الجهر، لم يستمله مخادع ولم يكده مخاتل، ولم يهب ذا حرمه، ولا راهن ذا مرتبه ،ولا أغضى لأحد من أرباب السلطان وأهله، حتى تحاموا حدّة جانبه، فلم يجسر أحد منهم عليه، وكان له نصيب وافر من الأدب وحظ من البلاغة إذا نظم، وإذا كتب"[1]، ومن ملح شعره، ما قاله عن غربته:-

كأن لم يكن بيــن ولــم تك فرقــة إذا كان من بعد الفـراق تــلاقٍ
كأن لم تؤرق بالعراقيــن مقلتــي ولم تمر كفَ الشوق ماء مآقي
ولم أزر الاعراب في جنب أرضهم بذات اللّوى من رامـــة وبــراق
ولم اطبخ بالبيد من قهوة الندى وكأس سقاها في الأزاهر ساقِ[2]

وكان في غاية اللطف حيث حكى بعض أصحابه : ركبنا معه في موكب حافل مع وجود الناس، إذ عرض لنا فتى متأدب، قد خرج من بعض الأزقّة سكران يتمايل، فلمّا رأى القاضي أراد الانصراف، فخانته رجلاه فاستند إلى الحائط ، فلمّا قرب القاضي رفع رأسه يقول:-

ألا أيها القاضي الذي عمّ عدله فأضحــى به بين الأنام فريـدا
قرأت كتـــــاب الله تسعيـن مرّة فلـم أر فيه للشّراب حـــــدودا
فإن شئت جلداً لي فدونك منكبا تروح بها في العالمين حميـدا
وإن أنت تختار الحديد، فإنّ لي لساناً على هجو الزّمان حديدا[3]

رحل من قرطبة سنة(311هـ/923م)، ودخل مصر وحجّ وسمع بمكّة من ابن المنذر، والعقيلي وابن الأعرابيّ، وكان حافظاً معتنيا بالآثارِ، جامعاً للسّنن متصرّفاً في علم الإعراب ومعاني الشعر، شاعراً

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،2/232-234.

[2] نفسه،2/232-234.

[3] نفسه، 2/234-235.

مطبوعاً واستقضاه عبد الرحمن الناصر على ألبيرة وبجانه ، ثمّ ولّاه قضاء الجماعة بقرطبة عام(326هـ/937م)، وجمعت له مع القضاء الصلاة وكان كثيراً يخرج إلى الثغور ويتصرّف في إصلاح ما وهى منها فاعتلّ في آخر خرجاته، ومات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة(337هـ/948م)، ومولده كان(284هـ/897م)[1].

- **يحيى بن يحيى الليثي:-**

راوي الموطّأ عن مالك ويقال: إنّ أصله من برابر مصمودة، تُوفّي عام(234هـ/848م)، وروايته الموطأ مشهورة، وكان يحيى قد روى الموطّأ عن زياد اللخمي المعروف شبطون[2]، وسمع من يحيى بن مضر القيسيّ الأندلسيّ، ثمَ بعد ذلك ارتحل إلى المشرق وهو في عمر الثامنة والعشرين، فسمع من مالك الموطأ[3]، ويقال: إنه غيّر أبوابًا في كتاب "الاعتكاف" شك في سماعها فأثبت روايته فيه عن زياد وذلك ممّا يدل على ورعه[4].

وقال ابن أبي الفياض" جمع الأمير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء في قصره وكان وقع على جارية يحبّها في رمضان، ثمّ ندم أشدّ الندم، فسألهم عن التوبة والكفّارة ، فقال يحيى: تكفّر بصوم شهرين متتابعين، فلمّا بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتّى خرجوا، فقال بعضهم له : لِم لِم تفت بمذهب مالك بالتخيير؟ فقال: لو فتحنا عليه هذا الباب سهل عليه أن يطأ كلّ يوم ويعتق رقبه، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود، فلما رجع يحيى إلى الأندلس كان إمام وقته وواحد بلاده، وكان ممّن اتّهم بالهيج في وقعة الربض المشهورة، ففر إلى طليطلة، ثمّ كتب له الأمير الحكم أماناً فذهب إلى قرطبة"[5]

و كان يقول الفقيه أبو محمّد بن أحمد :"مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة ، فإنه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف كانت القضاة من قبله، فكان لا يولّى قضاء البلاد، من أقصى المشرق إلى أقصى أعمال إفريقية، إلا أصحابه والمنتمين إلى مذهبه ومذهب مالك بن أنس

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 2/234-235.

[2] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 426/1.

[3] سمع بمصر من الليث ابن سعد، وبمكة من سفيان بن عينية ، وتفقه بالمدنيين والمصريين كعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم العتقي وسمع منها، وانتهت اليه الرياسة بالأندلس وبه اِشتهر مذهب مالك في تلك الديار، وتفقه به جماعة لا يحصون عدداً وروى عنه خلق كثير، المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،229/2.

[4] المراكشي، عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 40.

[5] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،229/2.

عندنا[1]، فإنّ يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان، مقبول القول في القضاة، فكان لا يولّ قاضٍ في أقطارنا إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع إلى الدنيا والرياسة، فأقبلوا على ما يرجون أغراضهم به على أن يحيى بن يحيى لم يُولّ قضاء قط، ولا أجاب إليه، وكان ذلك زائداً في جلالته عندهم، وداعياً إلى قبول رأيه لديهم، وكذلك جرى الأمر بإفريقيا وتُوفّي يحيى في عام(234هـ/848م)[2].

فقد كان منذ صغره محباً للعلم، إذ كان يميل إلى الجلوس في حلقات الدرس التي يعقدها زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون القرطبي، وأصبح من تلاميذه، وقد سمع منه موطأ مالك[3]، وكذلك سمع من مضر القيسي الأندلسي ، ثمّ رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة، فسمع من مالك بن أنس كتاب الموطأ باستثناء أبواب في كتاب الاعتكاف شكّ في سماعها[4].

وكان الأندلسيون يتبعون مذهب الإمام الأوزاعي، متأثرين في ذلك بالشاميين، ثم تحولوا إلى مذهب الإمام مالك، لأنه أقرب إلى مزاجهم ، حيث يعتمد على الحديث وعلى اجماع أهل الحديث أكثر من اعتماده على القياس والعقل، كما أنّ الليثي الذي منحه الله قوة وسلطاناً تمكن من نشر مذهب الإمام مالك على نطاق واسع، وكان يختار القضاة على هذا المذهب، فأصبح بلا منازع، إذ لم يعد الأندلسيون يأخذون إلا به، وقراءة نافع[5].

وقد حاول الليثي مع مجموعة من الأئمة عزل الأمير الحكم بن هشام ، عندما تناهى إلى سماعهم أنه كان منهمكاً في لذاته، غير أن الحكم استطاع القضاء على هذه الفتنة، وشردّ بعض المتآمرين عليه، وقتل بعضهم الآخر، وقد فرّ الليثي إثر ذلك إلى طليطلة، إلا أن الحكم عفا عنه، بعد أن هدأت الفتنة، فرجع إلى قرطبة حيث مارس حياته الاعتيادية ، وعندما تولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم الإمارة قرب الليثي، وعرض عليه أن يتولى أمر القضاء والفتيا في الأندلس ، إلا أنّ الفقيه الليثي رفض ذلك ، كما رفض

---

[1] الحميدي، أبو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، 567-568.

[2] القاضي عياض، أبو عبد الله، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 16/2، سالم، عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، 388.

[3] يذكر القاضي عياض أن زيادًا أدناه منه ، وطلب منه تقصير شعره، والاعتناء بزيه، إذا أراد حضور حلقات الدرس، ففعل يحيى ذلك، وصار من أفضل تلاميذه حتى أن زيادًا قال له " ان الرجال الذين حملنا العلم عنهم باقون، وعجزيك أن تروي عمن دونهم، قال زياد ذلك لما رآم من اجتهاد يحيى وذكائه، انظر: المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،9/2.

[4] شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)**،162-163.

[5] نفسه، 162-163.

العديد من المناصب الإدارية ، مما جعل الأمراء يكنونه (العفيف عن الولايات) وجعلهم يحترمونه، ويسمعون مشورته[1].

ويرجع تقدير الفقيه الليثي واحترامه إلى أسباب كثيرة ، ومن أهمّها مكانته العلميّة المرموقة، وتفوّقه العلمي على غيره من الفقهاء، وتعظيم عامة أهل الأندلس له، واحترامهم إياه، وسماعهم لكلمته ومن ثمّ سهولة الإنقياد له[2]،فنتيجة للمكانة العلمية التي تبوّأها الليثي، فقد أسندت إليه رئاسة الفتوى في الأندلس، ومحاسبة القُضاة إذا أخطأوا ، وقد كان الأمير لا يولّي ولا يعزل أحدًا من القضاة إلا برأيه[3].

- **القاضي منذر بن سعيد البلوطي:-**

قاضي الجماعة بقرطبة وكان لايخاف في الله لومه لائم، فكان حسن الخلق كثير الدعاية، وسمع بالأندلس من عبيد الله بن يحيى ونظرائه، ثمّ رحل حاجاً سنة(308هـ/920م)، وظهرت فضائله بالمشرق، وممّن سمع عليه منذر بالمشرق، ثمّ بمكّة محمّد بن المنذر النيسابوري، سمع عليه كتابه المؤلّف في اختلاف العلماء والمسمّى" الإشراف" وروى بمصر كتاب " العين" للخليل بن أحمد، وكان منذر متفنناً في ضروب العلم، وغلب عليه التفقّه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصبهاني المعروف بالظاهري، فكان منذر يؤثر مذهبه، ويجمع كتبه، ويحتجّ لمقالته، ولكن إذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك، وكان عالماً بالجدل، حاذقاً فيه، شديد المعارضة وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر في شهر ربيع الآخر سنة(339هـ /950م)،وبقي في هذا المنصب حتّى وفاته، وله العديد من التآليف المفيدة فمنها كتاب " أحكام القرآن" "الناسخ والمنسوخ" وغير ذلك في الفقه والكلام في الردّ على أهل المذاهب[4].

- **قاسم بن ثابت ، أبو محمد العوفي السرقسطي:-**

رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائي، وأحمد بن عمرو البزار، وبمكّة من عبد الله بن علي بن الجارود، ومحمد بن عليّ الجوهريّ، واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه، فأدخلا إلى الأندلس علماً كثيراً ، ويقال: إنهما أول من أدخل كتاب "العين" إلى الإندلس، وألف قاسم في شرح الحديث كتابًا

---

[1] شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)**، 164.

[2] ابن حيان، أبو مروان ، **المقتبس من أنباء الأندلس**، 80، شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)** ، 165.

[3] ابن حيان، أبو مروان ، **المقتبس من أنباء الأندلس** ،78- 80، شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)** ، 165.

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،2/240-241.

أسماه " الدلائل" بلغ الغاية في الإتقان، ولكنه مات قبل إكماله فأكلمه أبوه ثابت من بعده[1]، وكان قاسم عالماً بالحديث واللغة، متقدّماً في معرفة الحديث، والنحو والشعر، وكان في ذلك ورِعاً ناسكاً ، وأريد على القضاء بسرقسطة، ولكنه رفض ذلك فأراد أبوه إكراهه عليه، فسأله أن يتركه ينظر في أمره ثلاثة أيام ويستخير الله، فمات في هذه الأيام الثّلاثة فيرون أنه دعا لنفسه بالموت، وكان مجاب الدعوه، ولكنّه تُوفّي بسرقسطة(303هـ/915م)[2].

- **قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد سيار (أبو محمد)**

من أهل قرطبة، وجده مولى الوليد بن عبد الملك، رحل فسمع بمصر من محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزني والحارث بن مسكين ويونس بن عبد الأعلى وإبراهيم بن المنذر وغيرهم، ولزم ابن عبد الحكم للتفقّه، وكان يذهب مذهب الحجّة والنظر وترك التقليد، وكان يميل إلى المذهب الشافعي، فلما قال له ابنه محمّد: يا أبتِ أوصِني، قال : أوصيك بكتاب الله، فلا تنّس حظّك منه، واقرأ منه كلّ يوم جزءًا، واجعل ذلك عليك واجباً، وإن أردت أن تأخذ من هذا الأمر بخط . يعنى الفقه . فعليك برأي الشافعي، فإني رأيته أُقل خطأ[3].

وقال ابن الفرضي " ولم يكن بالأندلس مثله في حسن النظر والبصر والحجّة"، وقال أحمد بن خالد وعمر بن لبابة:" ما رأينا أفقه من قاسم بن محمد فيمن دخل الأندلس من أهل الرحلة"[4].

وقال أسلم بن عبد العزيز: سمعت عن ابن الحكم أنه قال:" لم يقم علينا من الأندلس أحد أعلم من قاسم بن محمّد، ولقد عاتبته في حين انصرافه إلى الأندلس، وقلت له : اقم عندنا؛ فإنك تعتقد ههنا رياسة ويحتاج الناس إليك، فقال لا بدّ من الوطن"[5].

ويقال: إنه ألّف كتاباً في الرّدّ على ابن مزيّن، وعبد الله بن خالد، وله كتاب في خبر الواحد، تُوفّي عام(276 هـ/ 889م) ، وقيل(277 هـ/890م)، وقيل(278هـ/891م)، فهناك اختلاف في تحديد السنة التي تُوفّي فيها تحديداً دقيقاً[6].

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،266/2.

[2] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،462/1-463.

[3] المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،267/2-268.

[4] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،470/1-471.

[5] المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،267/2-268.

[6] نفسه،267/2-268.

- **أبو عبد الله محمد بن قاسم بن سيار القرطبي**

من موالي بنى أمية سمع من أبيه، ومن بقي بن مخلد وغيره، رحل سنة(294هـ/906م)، فسمع بمصر من النسائي، ومن أحمد بن حمّاد، وسمع بمكّة ،والبصرة ،والكوفة، وبغداد، ودمياط والإسكندرية، والقيروان من مائة وستين رجلاً، وقال أبو محمّد الباجيك " لم أدرك بقرطبة أكثر حديثاً منه"، وكان عالماً بالفقه متقدماً في علم الوثائق، رأساً فيها، وكان مشاوراً سمع من الناس كثيراً، وكان ثقة صدوقاً وغزا سنة(327هـ/938م)، ومات في ذي الحجّة من تلك السنة، ومولده كان سنة (263هـ/876م)[1].

- **بقيّ بن مخلد بن يزيد أبو عبد الله الرحمن القرطبيّ الأندلسيّ**

أحد الأعلام وصاحب التفسير والمسند، ولد سنة(201هـ/816م)، أخذ عن يحيى الليثي ومحمد بن عيسى الأعشى، وارتحل إلى المشرق ولقي الكبار، وسمع بالحجاز مصعباً الزهريّ، وإبراهيم بن المنذر وغيرهم، وبمصر سمع من يحيى بن بكير، وزهير بن عباد،وبدمشق من إبراهيم بن هشام الغساني، وصفوان بن صالح وببغداد من أحمد بن حنبل ، وبالكوفة من يحيى بن عبد الحميد، وكان إماماً زاهداً صوّاماً كثير التهجّد مجاب الدعوة وتُوفّي في سنة(276هـ/889م)[2]، عاد إلى الأندلس بكتب عديده في ألوان مختلفة من العلم كالفقه، والتراجم، والتاريخ، إذ كان لها بلا شكّ تأثير عظيم في تغذية الحركة العلميّة الأندلسيّه؛ لأنّ مصنفاته فتحت آفاق البحث العلمي في الأندلس، فأقبلوا على دراسة تلك الكتب والنظر فيها[3].

قال ابن حزم:" أقطع أنه لم يؤلّف في الإسلام مثل تفسيره ،لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره"، وكان محمّد بن عبد الرحمن الأمويّ صاحب الأندلس محبّاً للعلوم ،عارفاً بها، فلمّا دخل بقي بن مخلد الأندلس بمسند ابن أبي شيبة وقُرئ عليه أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف، ولكنَ الأمير محمد أيده وأمره بنشر علمه[4].

قال ابن حزم:" مسند بقي روى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيّف، ورتّب حديث كلّ صاحب على أبواب الفقه، فهو مسند ومصنّف، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله في

---

[1] المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 279/2.

[2] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 142/1.

[3] المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،264/2.

[4] نفسه، 264/2.

الحديث، وله مصنّف في فتاوى الصّحابة والتابعين ممّن ذكرهم أربى فيه على مصنّف أبي بكر بن أبي شيبة وعلى مصنّف عبد الرازق وعلى مصنّف سعيد بن منصور[1].

ثمّ ذكر تفسيره، فقال:" فصارت تصانيف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام لا نظير لها، وكان متخيرا لا يقلد أحداً ، وكان جارياً في مضمار البخاري ومسلم والنسائي"[2].

- **حبيب بن الوليد بن حبيب**

من أهل قرطبة ويُعرف بدحون، رحل إلى المشرق أيام عبد الرحمن بن الحكم وكان فقيهاً عالماً أديباً، شاعراً ، ، وحجّ ولقي أهل الحديث، فكتب عنهم وقدم بعلم كثير، وكانت له حلقة بجامع قرطبة سمع الناس فيها وهو يلبس الوشي الشامي، إلى أن أوصى إليه الأمير عبد الرحمن بترك ذلك فتركه، وتُوفَي بعد المائتين ومن شعره:-

قال العذول، وأين قلبك؟ كلَمَا أمْت اهتداءك لم يزل متحيَرا
قلت: اتئد فالقلب أول خائن لمَا تغيَر مـن هويت تغيـــــرا
ونأى فبان الصبر عنَى حمله وبقيت مسلوب العزاء كما ترى[3]

- **عباس بن ناصح الثقفي**

شاعرٌ وأديبٌ من شعراء عصر الإمارة، يمثّل برحلاته العلمية أوضح صور التأثير الثقافي للمشرق في الأندلس، فلقاؤه للأصمعيّ وللحسن بن هانىء وتردّده على أحياء العرب هناك انعكس على ثقافته التي أسهمت في نشاط الحركة العلمية الأندلسية[4]، حيث لعب هذا دوراً هاماً في نقل التراث الفكريّ المشرقيّ للأندلس، فقد كان الأمير عبد الرحمن الأوسط مهتماً في جمع الكتب، وكان لثقته في عباس ومدى ما كان يتمتّع به من علم واسع ومعرفة بألوان المعرفة أن أوكل إليه مهمة جمع الكتب العلمية النفيسة واستنساخها من المشرق، فقد قام عبّاس بهذا الدور على الوجه الكامل، و في عصر الإمارة أدخل العالم

---

[1] المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،246/2.

[2] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 142/1.

[3] المقري،أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،250/3-251.

[4] ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، 253.

الأندلسي فرج بن سلام إلى الأندلس بعض كتب الأديب المشرقي عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ الذي التقى به بالعراق[1].

- **يحيى الغزّال :-**

يُعدّ من طرائف الشّخصيَات أيام الحكم وابنه عبد الرحمن وهو يحيى الغزال الجياني وهو عربي ابن بكر بن وائل، ولد في جيّان، وقد سمّي بالغزّال لجمال هيئته وأناقته وكان شخصيّة جميلة، وكان شاعراً مبدعاً وعقلاً جريئاً، لا يكف عن مهاجمة الفقهاء والتحدّث عن نفاقهم وتظاهرهم بالتقشف والعزوف عن الدنيا مع غناهم وحرصهم على المال والحياة[2].

قال المقري نقلاً عن ابن حيّان في المقتبس:" كان الغزّال حكيم الأندلس، وشاعرها، وعرّافها، عمّر أربعاً وتسعين سنة ، ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالأندلس، أولهم عبد الرحمن بن معاوية وآخرهم الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن "[3]، ومن شعره:-

أدركت بالمصر ملوكاً أربعة وخامساً هذا الذي نحن معه[4]

كان من أصحاب عبد الرحمن الأوسط إذ جعله سفيراً له يذهب إلى الملوك ، وأرسله عبد الرحمن إلى الإمبراطور "تيوفيلوس" إمبراطور بيزنطه حيث ذهب برفقه صديقه، يحيى صاحب المنقله وقد كسب الغزال إعجاب أهل البلاط البيزنطي، وسيّدات القصر أعجبت به رغم تجاوزه الستين من العمر[5]، حتى قيل: إنه إنه أنشد في بعضهم أشعاراً قام المترجمون بنقلها إلى اليونانية ولقيت هذه الاشعار اعجاب أهل القصر وقد قضى في سفارته ثلاث سنوات رجع بعدها مُحمّلاً بالهدايا والذكريات، وكان عند عودته قد حمل إلى عبد الرحمن رسالة من الإمبرطور، فكان نجاحه في هذه السفارة حافزاً لعبد الرحمن لإرساله إلى الملك النورمان في الدنمارك ليتباحث معه أمر الغزاة الذين يؤرّقون أمن الاندلس[6].

---

[1] الضبي، **بغية الملتمس**، 276.

[2] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،3/21-24.

[3] نفسه،3/22-25.

[4] نفسه ،3/25.

[5] أبو الفضل، محمد أحمد، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**،275.

[6] الحميدي، ابو عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**،555.

وكـان يُعـرف الغـزّال إلـى جانـب شـعره بأنـه حكـيم، ومعنـى "حكـيم" أنـه يحسـن التصّـرف فـي الأمـور والكلام،ولذلك كـان النـاس يحبونـه ، ويقال: إنـه نظـم أرجوزه فـي فتح الأنـدلس كانـت جميلـة، عرض فيها أسـباب الفـتح والوقـائع التـي جـرت بـن المسـلمين والنصـارى[1]، وبالإضـافة إلـى إبـراهيم بـن نصـر الجهني[2]،وأحمد بن ابراهيم بن فروة اللخمي[3]، وإبراهيم بن حسين[4]، وإبراهيم بن أسباط الزبادي[5]، ومحمد بن خالد[6]، ومحمد بن غالب[7]، وسعيد بن حسان[8] وسعيد بن أبي هند[9]

---

[1] القرطبي، أبو عبد البر، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**،243/1،الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**،489/1-491.

[2] ويكنى أبا اسحاق ويعرف بابن أبرول، كان قرطبي الأصل وخرج أبوه إلى سرقسطة عند هيج الربض، وكانت له رحلة لقي فيها جماعة من أئمة المحدثين منهم محمد بن عبد الله بن يزيد المغربي، ومحمد بن اسماعيل الصائغ وعندما دخل العراق سمع من نبدار وكان عالماً بالحديث بصيراً بعلله توفي بسرقسطة 287هـ/900م. ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،46/1.

[3]أحمد بن إبراهيم بن فروة اللخمي القرطبي من أهل قرطبة ويكنى أبا عبد الرحمن رحل ودخل العراق وسمع من عبيد الله القواريرى، وروى كتاب فرائض أيوب بن سليمان توفي بعد 290هـ/902م، في أيام الأمير عبد الله، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 1/ 60 . 62

[4] إبراهيم بن حسين بن خالد من أهل قرطبة ويكنى أبا إسحاق وكان حافظاً للفقه وله رحلة للمشرق لقي فيها علي بن معبد، وعبد الملك بن هشام وله كتاب مؤلف في تفسير القرآن ت 249هـ/863م. (1/ 38 الفرضي)

[5] ابراهيم بن أسباط الزبادي من أهل وشقة كان حافظاً للفقة واختصر المدونه وله رحلة سمع فيها من يونس بن عبد الأعلى وتوفي أيام أيام الأمير المنذر ، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**، 1/ 42

[6] محمد بن خالد الأشجَ المعروف بابن مرتنيل مولى الإمام عبد الرحمن بن معاوية من أهل قرطبة ويكنى أبا عبد الله، رحل فسمع من من سفيان بن عينة، ووكيع بن الجراح وغيرهم والغالب عليه الحديث ورواية الآثار توفي 221هـ /835م ،وقيل 222هـ /836م ، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،11/2.

[7] محمد بن غالب المعروف بابن الصفَار من أهل قرطبة ويكنى أبا عبد الله روى بقرطبة عن العتبي، وابن وضاح وغيرهم ورحل فسمع فسمع من محمد بن سحنون وأحمد بن صالح وكان حافظاً للفقه عالماً بالشروط متقدماً فيها ت 295هـ /907م، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،31/2.

[8] سعيد بن حسان مولى الأمير الحكم بن هشام ،وهو من أهل قرطبة ويكنى أبا عثمان رحل للمشرق فروى عن عبد الله بن نافع وكان زاهداً فاضلاً فقيها في المسائل وكان مشاوراً مع يحيى، وقاسم بن هلال، وعبد الملك بن حبيب توفي 236هـ /850م، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،226/1.

[9] سعيد بن أبي هند يكنى أبا عثمان أصله من طليطلة وسكن قرطبة ورحل فلقي مالك وسمع منه وسماه مالك الحكيم ، ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،224/1.

وغيرهم الكثير[1].

من خلال حديثنا عن العديد من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق[2] نستطيع القول: إنّ الرّحلات العلمية للأندلسيين أثمرت ، فعاد الكثير منهم بعلم واسع، ومعارف غزيرة، هذا بالإضافة إلى حملهم ألوان التصانيف وضروب التآليف النفيسة لأهل المشرق في مختلف الحقول المعرفيّة، والاستفادة بشكل كبير من المناهج العلمية في البحث والتأليف، والتي سبقهم إليها المشارقة، ولعلّ من أبرز ما نتج عن الرحلات

[1] أبو عبد الله بن عيسى المعافري، يعرف بالأعشى القرطبي، رحل سنة 179هـ/795م ، فسمع من سفيان بن عيينه ووكيع بن الجراح، ويحيى بن سعيد ، وعبد الله بن وهب وجماعة، وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار وكان صالحاً عاقلاً يذهب إلى مذهب أهل العراق، توفي سنة 221هـ/835م، (المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،278/2)،أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخولاني،يعرف بابن القوق، سمع بقرطبة من جماعة، وبمصر من محمد بن عبد الحكم، ومن أخيه سعد، وكان فقيهاً في الرأي حافظاً له، عاقداً للشروط، وكان رجلاً صالحاً ورعاً ثقة، وكان خالد بن سعيد قد رحل إليه وسمع منه ، توفي 308هـ/920م'(المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،12/3)

[2] ومن العلماء الذين رحلوا إلى المشرق أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن حيون،من أهل وادي الحجارة ، قال ابن الفرضي: سمع من ابن وضاح والخشني ونظرائهما بالأندلس ورحل إلى المشرق، فبقي هناك نحو خمسة عشر عاماًو وسمع بصنعاء ومكة وبغداد، ولقي جماعة من أصحاب الامام أحمد بن حنبل مثل عبد الله بن أحمد، وسمع بمصر من الخفاف النيسابوري وابراهيم من موسى وغيرهم، وكان إماماً في الحديث عالماً حافظاً للعلل بصيرا بالطرق ولم يكن بالأندلس قبله أبصر بالحديث منه، وهو ضابط متقن حسن التوجيه للحديث صدوق ولم يذهب مذهب مالك، وكان شاعراً ولكنه توفي بقرطبة سنة 305هـ/917م'(المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 269/2)، وقاسم بن اصبغ البياني،أصله من موالي الوليد بن عبد الملك، ولد عام 247هـ/861م ، سمع بقرطبة من بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وابن مسرة، ورحل إلى المشرق مع محمد بن عبد الملك، ومحمد بن زكريا بن عبد الأعلى سنة 274هـ/887م [2]،فسمع بمكة من محمد بن اسماعيل الصائغ وعلي بن عبد العزيز، ودخل العراق فلقي من أهل الكوفة ابراهيم بن ابي العنبس قاضيها وابراهيم بن عبد الله القصار، وسمع ببغداد من القاضي اسماعيل، وأحمد بن زهير بن حرب، وكتب عن ابن أبي خيثمه تاريخه وسمع من ابن قتيبة كثيراً من كتبه،وكان بصيراً بالحديث والرجال(ابن الفرضي، أبو الوليد ،**تاريخ علماء الأندلس**،470/1)، نبيلاً في النحو والغريب والشعر،وكان يشاور في الأحكام، وصنف على كتاب " السنن" لأبو داوود كتاباً في الحديث، ثم اختصره وسماه المجتني'(المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،264/2-265)،وأبو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال،يعد من كبار فقهاء، المالكية وهو قرطبي الأصل، وكان من أحد الأمة الزهاد فكان يصوم حتى يعجز توفي 272هـ/885م، وقبل 278هـ/891م ، رحل إلى المشرق وسمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك، ومن سحنون بن سعيد وكان فاضلاً فقيهاً عابداً عالماً بالمسائل، وروى عنه أحمد بن خالد وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم وهو صاحب الشجرة حيث يقال كانت في داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد'(المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،373/3).

العلمية في عصر الإمارة ما تحقّق على أيدي العلماء الأندلسيين الراحلين إلى المشرق من تأثير قوي في ميدان العلوم الدينية، وخاصّة في الفقه، فقد استطاع كلّ من زياد بن عبد الرحمن اللخمي ومن بعده يحيى الليثي نشر المذهب المالكي في الأندلس، عرضت لذلك سابقاً، فالأول بذر البذرة الأولى للمذهب، والآخر عني بها وأسهم في نموها حتّى ساد المذهب المالكي في الأندلس.

يمكن من خلال ما سبق الوصول إلى نتيجة تدلّ على مدى التأثير العلمي بشكل واضح للمشرق في الأندلس في عصر الإمارة، حيث إنّ هذا العصر الذي كان يمثّل مرحلة الاقتباس والنقل في البداية، ومن ثمّ الاعتماد على النفس والاستقلال من ناحية علمية، ومن ثمّ المشاركة في بناء الحضارة، فمن الواضح أنّ عصر الإمارة مثّل نقطة الانطلاق الأولى نحو ميادين التقدم والحضارة، في العلوم كافة، فقد كان للرحلات العلمية أثر كبير وواضح في تغذية الحركة العلمية وتنميتها، وهذا ما رأيناه من خلال العرض لأسماء العديد من الأشخاص الذين كانت

لهم رحلات مختلفة ، كان لها أبلغ الأثر في تحقيق التقدم والازدهار، ولن ننسى دور الأمراء الأمويين بتشجيعهم للحركة العلمية، فلولا تشجيعهم وترحيبهم بذلك لما غدت الأندلس بلاد العلم والعلماء.

2- ارتحال علماء المشرق إلى الأندلس:-

كانت تحدث موجات رحيل معاكسة فيرحل بعض علماء المشرق إلى الأندلس لينشروا علومهم هناك، وليبلغوا بذلك الجاه والمنزلة عن السلطان ويأتي في مقدمة هؤلاء العديد من الأشخاص ومنهم:-

- **عبد الرحمن بن معاوية الداخل**

مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، وأحد عظماء العالم، ولد في دمشق، ونشأ يتيماً، وعرف باسم الداخل لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك الأمويين، ويعتبر أول أمير يحكم الأندلس، ويقوم بفصلها عن جسد الدولة الإسلامية فصلاً سياسياً كاملاً وقد تمكن من تأسيس حكم وراثي مستقل، فبدأ بذلك عهداً جديداً في الأندلس، وساهم في خلق تحولات اقتصادية، واجتماعية، وعسكرية، واتخذ قرطبة حاضرة للبلاد حيث شيد المباني الضخمة، وأقام القصور، واهتم بنشر التعليم، فأنشأ المساجد ودور العبادة لنشر الثقافة الإسلامية [1]، ففي عهده أصبحت قرطبة مهداً للحياة الراقية ومصدراً للعلم والحضارة، وموطناً للفلاسفة والشعراء، وموئلا للعلماء والمفكرين ومركزاً للفنون والآداب، فقبل وفاته بعامين بدأ ببناء مسجد قرطبة العظيم الذي

[1] النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 205/23.

أنجز في عهد ابنه هشام، حيث يُعتبر الأثر الرائع للحضارة الإسلامية التي لعبت دوراً رئيسيا في تقدم الأمم والشعوب وتطوَرها[1].

فقد كان راجح العقل، وراسخ العلم، وواسع الحلم كثير الحزم، ناقد العزم ، شاعراً مهتماً بالشعر ومن شعره متشوقاً للشام :

أيها الراكب الميمم أرضـــي أقر بعض السلام لبعضي
إن جسمي كما علمت بأرض وفؤادي ومالكية بـــأرض[2]

أيضاً من شعره عندما بنى الرصافه:-

تبدت لنا وسط الرصافة نخلـة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شيهى في التغرب والنَوى وطول التناءي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبـة فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي[3]

- **زرياب**

هو علي بن نافع، يكنى أبا الحسن، ويلقب بزرياب، لسواد لونه وفصاحة لسانه، والزرياب طائر حسن الصوت، وقد ولد سنة (172هـ/788م)، وتوفي سنة (243هـ/857م)، وهو فارسي الأصل ، بغدادي المنشأ، وكان مولى للخليفة المهدي[4].

وكان زرياب شاعراً مطبوعاً عارفاً بأحوال الملوك، وسير الخلفاء، ونوادر العلماء. لذلك اجتمعت به صفات الندماء، فهو مثقف من ناحية، ويجيد الغناء الذي تعلمه على يدي اسحق بن ابراهيم الموصلي من ناحية أخرى[5].

---

[1] ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 8/110-111، الشريقي، ابراهيم، **التاريخ الإسلامي**، 149، جمال الدين، عبد الله، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، 22.

[2] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 2/60، سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، 209.

[3] المراكشي، محيي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 11، قزيحة، رياض، **الفكاهة في الأدب الأندلسي**، 31.

[4] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 3/122، شلبي، عمر ، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)**،168.

[5] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 3/122، شلبي، عمر ، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)**،168.

وقد ترك زرياب بغداد إلى الأندلس بسبب التنافس الشديد بينه وبين أستاذه الموصلي، وبدأ هذا التنافس عندما تفوق التلميذ على أستاذه، مع أنّ هذا الأستاذ (أي الموصلي)، هو الذي أظهر موهبة زرياب ورفع من شأنه، إذ إنه هو الذي زكاه للرشيد عندما طلب منه أن يسمع صوتاً جديداً . وقد أعجب به الرشيد أيما إعجاب عندما استمع إلى غنائه، وخاصة قوله:

يا أيها الملك الميمون طائره هارون راح إليك الناس وابتكروا[1]

فقد قال الرشيد للموصلي بعد أن استولى عليه الطرب" لولا أنني أعلم من صدقك على كتمانه اياك لما عنده، وتصديقي لك من أنك لم تسمعه من قبل، لأنزلت بك العقوبة لتركك إعلامي وشأنه" ولذلك دبّ الحسد في قلب الموصلي، فطلب من زرياب أن يرحل إلى مكان لا يسمع فيه خبره، وإلا فإنه سيتعرض للانتقام (أي انتقام الموصلي نفسه) ، فآثر زرياب الرحيل، وخرج من بغداد متوجهاً إلى المغرب[2].

ودخل زرياب وهو في المغرب على زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب في القيروان، وغناه بأبيات يقول فيها:

فإن تك أمــي غرابيّـــة من أبناء حام بها عبتني

فإني لطيف ببيض الظبا وسمر العوالي إذا جئتني

ولولا فرارك يوم الوغـى لقدتك في الحرب أو قدتني

فغضب عليه زيادة الله، وأمر بضربه وإخراجه، وأمهله ثلاثة أيام لترك المغرب[3].

وكان زرياب قد كاتب الحكم بن هشام أمير الأندلس، يعرض عليه رغبته في أن يكون نديماً وبين في رسالته مكانته من صناعة الغناء، فأرسل الحكم مغنيه منصور اليهودي لإحضاره ومرافقته، فركب زرياب وأهله البحر إلى الجزيرة الخضراء ، وهناك جاءه الخبر بوفاة الحكم، ففكر في العودة إلى المغرب، لكن منصوراً اليهودي ثناه على ذلك ، ورغّب إليه أن يقصد خليفة الحكم الأمير ، وفي الوقت نفسه كتب منصور إلى الأمير عبد الرحمن يخبره بالأمر، فرحب وكتب إلى عماله أن يحسنوا إليه ويكرموه أثناء

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 123/3، شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)**،169.

[2] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 115/4-116، أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، 545، شلبي، عمر، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)**،168-170.

[3] ابن عبد ربه، أبو عمر، **العقد الفريد**، 30/7.

مروره بمناطقهم ، وبالغ الأمير بإكرام زرياب[1]، لأنه كان يحب الغناء ، ويؤثره على جميع لذاته، فعندما سمع الأمير غناء زرياب أعجب به إعجاباً شديداً و وقدّمه على جميع المغنين وقربه، وجعله من ندمائه[2].

وكان زرياب من شدة حبه للغناء والموسيقى ، يهب من نومه سريعاً ليسمع إلحانه إلى جواريه هنيدة وغزلان، ولم يتفوق زرياب في جمال الغناء ، وحسب، وإنما في مجال الموسيقى أيضاً فقد طور آلة العود بزيادة وتر في أوتاره، كما اخترع مضراب العود من قوادم النسر مستعيضاً به عن الخشب المدقق[3].

ومن ناحية أخرى كان زرياب عالماً بالنجوم، وقسمة الأقاليم السبعة، واختلاف طبائعها وأهويتها، وتشعب بحارها، وتصنيف بلادها، وسكانها، كما كان يحفظ آلاف المقطوعات من الأغاني بألحانها[4].

وكان لزرياب تأثير كبير على الحياة الإجتماعية في الأندلس، بما في ذلك تقاليد الأندلسيين وعاداتهم، وخاصة في مجال أنواع الأطعمة وطرق تقديمها، وآداب الأكل، وقد أدخل بعض أنواع الحلوى مثل (التفايا) الذي تستخدم في صنعه الكزبرة، والسنبوسق، والكباب، ومثل الزريابية التي سميت باسمه، وكانت تسمى الاسفنج، وهي نوع من الزلابية[5] .

وأنشأ زرياب في قرطبة معهداً ليتعلم الأندلسيون فيه كيف يصففون شعورهم، وأشاع بين الناس استخدام الأواني الزجاجية الرفيعة بدلاً من الأواني المصنوعة من الذهب أو الفضة، وعلمهم أن يضعوا على الموائد أغطية يسهل تنظيفها بعد تناول الطعام، كما وضع نظاماً لارتداء الملابس وأوقات تغييرها حسب فصول السنة، وسن للناس استعمال مادة عطرية جديدة لإزالة رائحة العرق، ومادة أخرى لتبييض الملابس[6] .

يتّضح مما سبق أنّ الموسيقار زرياب تمتع بمقام بارز، ومكانة عالية في العالم، وذلك لما قام به من ابتكارات وانجازات علمية كبيرة في شتى مجالات الفنون الموسيقية، والثقافية والاجتماعية، فهو أحد العلماء العظام الذين أناروا طريق العلم والمعرفة للأجيال اللاحقة، فهو صاحب منهج علمي في التعليم الموسيقي ولذلك سار على خطاه كل من جاء بعده.

---

[1] ابن حيان،أبو مروان ، **المقتبس من أنباء الأندلس**، 221، شلبي، عمر ، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)** ، 171-172.

[2] بروفنسال، ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، 54-55.

[3] الجيوسي، سلمى(محرر)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**،489/1.

[4] نفسه، 489/1.

[5] ابن حيان،أبو مروان ، **المقتبس من أنباء الأندلس**، 221، شلبي، عمر ، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)** ، 171-172.

[6] أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**،545، شلبي، عمر ، **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)** ، 171-172.

- **أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني**

من أهل بغداد وسكن القيروان، ويُعرف بالرياضي، وكان له سماع ببغداد من المحدثين والفقهاء، والنحويين ، لقي الجاحظ ،والمبرّد، وثعلبا، وابن قتيبه، ولقي من الشعراء، أبا تمام والبحتري، ومن الكتّاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب، وهو الذي أدخل إلى إفريقيا رسائل المحدثين وأشعارهم، وطرائف أخبارهم، وكان عالماً أديباً ومرسلاً بليغاً، له معرفة بكلّ علم وأدب، وسمع وكتب بيده، أكثر كتبه مع جودة خطّه وحسن وراقته، وقال: إنه كتب على كبره كتاب سيبويه كلّه بقلم واحد، مازال يبريه حتى قصر فأدخله في قلم آخر وكتب فيه حتّى فني بتمام الكتاب[1].

وله العديد من التآليف ومنها كتاب "لقيط المرجان" وهو أكبر من كتاب "عيون الأخبار" وكتاب "سراج الهدى" وهذا الكتاب موضوعاته في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه، و كتاب " المرصعة" و "المذبجة" ، وتنقّل في البلاد شرقاً وغرباً من خراسان إلى الأندلس، وكان أديب الأخلاق نزيه النفس، وكان في أيام زياد الله بن عبد الله آخر ملوك الأغالبة على بيت الحكمة وتُوفّي بالقروان سنة 298هـ/910م،ومن الرواة عنه أبو سعيد عثمان بن سعيد الصقيل مولى زياد الله بن الأغلب[2] .

- **فضل المدينة**

كانت حاذقة بالغناء وكاملة الخصال، وأصلها لإحدى بنات هارون الرشيد، نشأت وتعلّمت ببغداد، ومن هناك ذهبت إلى المدينة المنورة، عُرفت بغنائها الجميل، واشترت وهي في المدينة للأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس مع صاحبتها علم المدينة ، وصواحب غيرها إليهن تُنسب دار المدنيات بالقصر، وكان يؤثرهنَ لجودة غنائهنّ، ورقة أدبهن، وتضاف جارية يقال لها قلم وهي ثالثة فضل وعلم في الحظوة عند الأمير، وكانت أندلسيّة الأصل ، رومية، من سبي البشكنس، وحُمِلت وهي صبية للمشرق حتّى وجدت نفسها في المدينة المنورة، وتعلّمت هناك الغناء حتى أجادته وبرعت فيه، وكانت أديبة ذاكرة ،حسنة الخط، راوية للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الآداب[3].

فمن خلال ما سبق نستطيع القول: إنّ الرّحلات العلمية من المشرق إلى الأندلس، أو من الأندلس إلى المشرق قد أثمرت وأينعت وأعطت أكلها طيباً يانعاً ، فقد أثرت تأثيراً مباشراً على أهل الأندلس، فتوسّعت

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 119/4.

[2] نفسه،119/4.

[3] نفسه،124/4.

مداركهم ، وتفتّحت عقولهم، وبدأوا يدرسون العلوم المختلفة، ويجادلون أصحاب العلوم والمعارف من خلال قراءاتهم المتعددة، ودراساتهم للعلوم المختلفة، وهذا كلّه أثر في تقدم الأندلس وانفتاحها على الشرق، ومن ثمّ ظهور أعداد كبيرة من العلماء تدارسوا العلوم فيما بينهم، وعلّموها لمن لا يعلم، فتحقق الازدهار العلمي في تلك الفترة.

ت-طريقة التعليم عند الأندلسيين

كان من مظاهر الحركة العلمية وازدهارها شيوع التعليم في الأندلس في ذلك العصر، فقد أصبح عاماً يشمل الجنسين، وكثرت أماكنه ومؤسّساته، وكثرت رحلات الطلاب إلى خارج الأندلس لطب العلم، وغدت اللغة العربية هي لغة العلم والثقافة بصورة رئيسية، وتعلّمها الكثير من الإسبان المسيحيين الذين سمّوا المستعربين[1].

فالأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل هو الذي جعل اللغة العربية لغة التدريس في معاهد أهل الذمة ومؤسّساتهم، وكان لذلك الأثر العميق في انتشارها وفي اعتناق الكثيرين للإسلام، والتقريب بين أصحاب المذاهب المختلفة وبث روح التفاهم والوئام بين المسلمين والنصارى[2].

حرص الأندلسيّون على أن يكون القرآن الكريم هو الأساس المتين في تعليم أولادهم ولم يكونوا يقتصرون على ذلك، بل كانوا يضمّون إليه تعليم اللغة العربية ورواية الشعر، وتعليم الخط، وقد أفادهم هذا المنهج في ترسيخ المعارف المتنوّعة لديهم ،وكان لإقبالهم على اللغة العربية، والشعر ،والأدب في صغرهم أثر في رسوخ ملكاتهم في هذه العلوم فيما بعد[3].

ويذكر ابن خلدون[4] أنَ العلامة أبا بكر العربي قد رسم منهجاً جديداً في طريقة التعليم وهو أن يقدم طريقة تعليم العربية والشعر على سائر العلوم؛ وذلك لأنّ الشعر ديوان العرب، وفي تقديمه وتعليمه العربية ضرورة لتقويم اللغة عند الطفل، ثمَ ينتقل منه إلى الحساب ليلمّ بما لايصلح أن يجهله منه، يلى ذلك دراسة القرآن الكريم، كما نصح بأن ينظر في أصول الدين، ثمّ أصول الفقه، فالجدل ثمّ الحديث وعلومه،

---

[1] الشافعي، حامد، **الكتب والمكتبات في الأندلس**،53-54.

[2] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 65/2، السرجاني، راغب ، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، 168-170

[3] الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**،286-287.

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**،538-539.

وينتقد ابن العربي المنهج الذي يفتتح بتعليم القرآن للصّبي لعدم معرفته وفهمه لمسائله وقضاياه، كما أنه نهى أن يجمع في التعليم بين علمين، الا أن يكون المتعلم على نصيب كبير من النباهة والقدرة على الاستيعاب، فاهتمّ الاندلسيّون بهذا الميدان اهتمامًا جيدًا،ومن الواضح أنّ الأجرة التي كان يدفعها الراغبون في العلم لم تكن تتمثل فقط في دفع مبلغ من المال للعالم أو الشيخ، وإنما كانت تتمثّل أيضاً في تقديم هدايا عينية له وإكرامه أو ابتياع حاجة له[1].

وفي هذا يقول المقري[2]:" والعالم عندهم مُعظّم في الخاصّة والعامة يشار إليه ، ويُحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس ويُكرم في جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك".

وفي فترة الإمارة ظهر العديد من المؤدبين الذين كان لهم دور كبير في نهضة التعليم والسير به خطوات ملحوظة للأمام، مثل الغازي بن قيس الذي كان يؤدّب في قرطبة عند دخول عبد الرَحمن الداخل إلى الأندلس[3]، وأبو العمر الواحد بن سلام المعروف بالأحدب، تُوفّي 209هـ/824م[4] ، حيث كان عالماً بالنحو واللغة ،و هشام بن الوليد الغافقي، مؤدب الأمير عبد وأبو محمد عبد الله بن بكر بن سابق الكلاعي الذي عُرف بقول الشعر والاهتمام بالنحو، حيث أدب أبناء الأمير عبد الرحمن الأوسط[5].

ومن مراكز التعليم الشائعة في تلك الفترة المساجد فقد عُدّت من اهم المؤسّسات الثقافية التي عرفها مسلمو الأندلس وغيرهم، وهي النواة الأولى للتعليم قبل ظهور المدارس؛ لأنّها لم تظهر إلا في عصور متأخرة في عصر دولة بني الأحمر بغرناطة، فالمسجد ليس مكاناً للعبادة فقط بل مركز إشعاع علمي، فمن خلال حلقات الدرس في المساجد مُورس نظام الكتاتيب لتعليم الصبيان اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي على غرار نظام الكتاتيب في المشرق العربي[6].

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،1/220-221، الشافعي، حامد، **الكتب والمكتبات في الأندلس**،53-55.

[2] **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،1/210.

[3] ابن الفرضي، أبو الوليد، **تاريخ علماء الأندلس**،1/154.

[4] دويدار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، 401-403.

[5] نفسه،401-403.

[6] سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**،377، زيان، علي، **المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري**، 30.

امتازت قرطبة بنشاطها العلمي الزاخر باعتبارها حاضرة الخلافة ودار المُلك، فلذلك حظي جامعها الشهير بمكانة علمية لا تضاهى فكان دوره عظيماً في نشاط الحركة العلمية في عهد الإمارة وما تلاه من عصور، حيث ضمّ بين أروقته حلقات العلم والدرس[1].

وكان طلاب العلم يدرسون في مسجد قرطبة علوم الدين، والأدب ،والتاريخ والجغرافيا، والفلك وغيرها من العلوم ، ولكن تلك الفترة وأعني الأموية كانت بمثابة مصدر إشعاع أضاء للأندلسيين ولغيرهم الكثير من دروب المعرفة التي قادتهم إلى درجة رفيعة من الحضارة، حتى إنّ جلبة العلم توافدوا على هذا المسجد من كافة أنحاء العالم الإسلاميّ، و المسيحيّ، وبالرغم من مكانة هذا المسجد في تشجيع الحركة العلمية وتنميتها، إلا أنه ظهرت مساجد أخرى في أنحاء متفرقه من الأندلس كان لها دور في النهضة العلمية، ولكنها لم تصل إلى مستوى مسجد قرطبة[2].

فمن خلال ما سبق تستطيع القول إنّ مسجد قرطبة من الناحية العلمية كان أكبر جامعة إسلامية تُدرَس فيها العلوم الدينية واللغوية ، فأمّه طلاب العلم من كافة الفئات سواء المسلمون أو المسيحيون للدرس والتحصيل ومن ثمّ تحقيق التقدم العلمي في تلك الفترة.

ففي فترة الإمارة الأموية غدت بلاد الأندلس قاعدة للعلوم ومركزًا للآداب، وأصبح اسم الأندلس يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلم، فقد اهتم الاندلسيون بالعلم أكثر من أيّ شيء آخر، حتّى أصبح العلم معلماً من معالم البلاد البارزة ليكون دليلاً واضحاً على الحضارة والتقدم، وكلّ هذا كان نتيجة للأمن الداخلي والاستقرار السياسيّ والرخاء الاقتصاديّ، فقد كان الأمراء على درجة كافية من الوعي، فقد عرفوا أهمية التعليم، وعرفوا قدر المشتغلين به، وفي بعض الأحيان نجد الأمراء أنفسهم كانوا يسعون وراء التحصيل العلمي، فأهتم العديد منهم بالشعر كعبد الرحمن الداخل.

فكانت هذه الأجواء الفكرية بمثابة الإرهاصات الأولى لنشأة حركة التأليف فقد اجتذبت بلاد الأندلس فحول الشعراء، وارتادها كبار الأدباء، فكان الأمراء يبذلون من مالهم ووقتهم الشيء الكثير للعلماء والأدباء فاهتمّ علماء المسلمين في تلك الفترة بالتراث الإسلاميّ المشرقيّ، وذلك عن طريق استقدام العلماء المشارقة إلى الأندلس للاستفادة منهم أو عن طريق رحلة الأندلسيين إلى المشرق، بالإضافة إلى إهتمام المسلمين بعلوم الإغريق، حيث عمل الأندلسيون على نقلها إلى اللغة العربية، وخاصّة المؤلّفات اليونانية في مجالات

---

[1] العذرى، أحمد، **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**،123.

[2] الشريقي،ابراهيم، **التاريخ الإسلامي منذ العهد النبوي حتى العصر الحاضر**،153،العاني، سامي، **دراسات في الأدب الأندلسي**،96.

الرياضيات ،والفلسفة، ولكن هذا لم يدم طويلاً، فلم تلبث الأندلس أن استقلت فكرياً وأصبحت بلاد العلم والعلماء.

ويمكننا الإشارة إلى العديد من العوامل التي كان لها دور في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس وهي:-

- استقرار الأوضاع في البلاد إذ تنمو عادة في مناخ الاستقرار الحركة الفكرية وتترعرع فروعها حتى تنضج وتعطي أطيب الثمار الفكرية.
- تشجيع ولاة الأمر للعلم والعلماء، فلذلك تبوّأ العلماء بالأندلس مكانًا مرموقًا، فكرّموا العلماء وشجَعوهم وقربوهم إليهم ،ممّا جعلهم ينصرفون إلى البحث والتحصيل والتأليف[1].
- الحماس الذي أبداه ولاة الأمر في بناء المؤسّسات التعليمة التي كانت في فترة الإمارة عبارة عن مساجد استُخدمت لأغراض عديدة كالصلاة وإقامة شعائر الدين، بالإضافة إلى اعتبارها مدارس تُدرّس فيها أنواع مختلفة من العلوم كالرياضيات ،والفلسفة، وعلوم اللغة[2].
- الاتصالات العلمية والثقافية بين علماء الأندلس والمشرق كمصر، وبغداد وغيرها من البلاد الإسلامية[3].
- انتشار اللغة العربيّة، حيث أصبحت اللغة الرسميّة للبلاد، وزاد من انتشارها أفواج العلماء القادمين من خارج البلاد، كما أنّ ثقافة ولاة الأمر كانت تقوم على الثقافة الإسلامية ووسيلتهم في ذلك اللغة العربية، وخاصّة أنها لغة القرآن الكريم[4].

رغم من حديثنا عن التعليم في الأندلس ووجود عدد من العلماء في كلّ ناحية من نواحي الحياة سواء النواحي الدينية، أو الفلسفية، أو غيرها من العلوم، إلا أنّ ما وجدناه واستطعنا الحديث عنه لا يمكن اعتباره إنتاجاً ضخماً مقارنة بالعصور التالية، وذلك لجملة من الأسباب ومنها ضياع تلك الأثار بالفتن والزمن، و الأندلسيون كانوا كثيري الإعجاب بالمشارقة يأخذون عنهم العلوم والمعارف، فلم يكونوا من البداية حملة علم ومعرفة، بل كانوا يعتمدون على تراث أمم أخرى، ولكنهم استطاعوا تحقيق التقدم والتطور والاعتماد على الذات تدريجيّاً حتى غدوْا حملة علم ومعرفة.

---

[1] الشافعي، حامد، **الكتب والمكتبات في الأندلس**،31-32.

[2] الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة**، 286.

[3] الشافعي، حامد، **الكتب والمكتبات في الأندلس**،31-32، سالم، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**،377، زيان، علي، **المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري**، 30.

[4] الشافعي، حامد، **الكتب والمكتبات في الأندلس**،31-32.

ث-اليهود والنصارى في الأندلس

1-اليهود

عاش اليهود في الأندلس داخل المجتمع الإسلامي المتميّز بشدة إقبال أبنائه على العلم والتعليم، و لم يقتصر التعليم بين أفراده على فئة معينة، أو على أبناء المدينة الكبرى، وإنما شمل معظم أفراد المجتمع، ووصل إلى جميع أرجاء الأندلس[1]، فكان من الطبيعي أن يتأثر يهود الأندلس بهذا المجتمع الذي كان أفراده، إما عالماً أو متعلّماً ولذلك سعوا جاهدين للتعليم والرّقيّ الثقافي خطوات للأمام في ظلّ هذه الأوضاع الثقافية الواضحة الأهداف في هذا المجتمع الأندلسي، وخاصة أنهم عاشوا قروناً في هذه البلاد قبل مجئ المسلمين، بعيدين عن جميع العلوم والآداب، ودون أن يبرز منهم عالم واحد، وحتى القلائل المتعلمون لا يعرفون إلا العلوم الدينية يتناقلونها منذ قرون عدة[2].

واهتم اليهود بتعليم ابنائهم اللغة العربية؛ لأنها لغة العلوم والثقافة في الأندلس[3]، ومن لا يتقنها لايستطيع أن يأخذ حقه من علوم المسلمين، فقد اتخذ يهود الأندلس من بِيعهم مدارس لتدريس أبنائهم الصغار مثلما فعل المسلمون الذين كانوا يعقدون دروس العلم في المساجد، وكانت الدروس في هذه البيع تعقد في مصلّى البيعة أو في غرفة جانبية داخلها، وكان تعليم الصغار في هذه البيع يتمّ على حساب الطائفة، أما أبناء الأثرياء فإنّ تعليمهم كان في مدارس خاصّة، وهذه المدارس هي بيوت المعلمين الذين يتقاضون على تعليمهم أجوراً يدفعها لهم الآباء شهرياً [4] ومثلما يفعل المسلمون دفع الآباء إلى معلمي أبنائهم جزءاً من رواتبهم نقداً ، بينما دفعوا الجزء الآخر على شكل سلع، إضافة إلى الأجور المحددة ،فإن آباء الطلاب كانوا يقدمون الهدايا للمعلمين في الأعياد اليهودية حسب قدرتهم المادية[5].

وكان تعليم أطفال اليهود يبدأ عندما يبلغ الطفل سن السادسة ،وذلك عملاً بتوجّهات قدماء الأحبار، ولكن الأطفال النبهاء والأذكياء كانوا يُرسلون إلى المدارس الخاصّة قبل بلوغهم ذلك العمر، وحسب العُرف السائد بين اليهود منذ القدم كان أبناء اليهود في الأندلس يتعلمون أولاً القراءة والكتابة، وكانت الطريقة التي يسلكها المعلمون تعتمد على تمرينهم على كتابة كلمات كاملة على ألواح خشبية صغيرة، وبعد تعلّم

---

[1] المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،236.

[2] هنداوي، ابراهيم، **الأثر العربي في الفكر اليهودي**،148.

[3] الخالدي، خالد، **التربية والتعليم عند يهود الأندلس**،386-388.

[4] الحفني، عبد المنعم، **الموسوعة النقدية**، 27.

[5] الخالدي، خالد، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**، 396.

القراءة والكتابة يتجه الطالب لدراسة التوارة مباشرة، وعلى ما يبدو فإنّ هذه المرحلة من التعليم مستمدّة من نظم التربية الإسلامية التي تبدأ بتعليم الأطفال القرآن الكريم[1].

وكان أولاد يهود الأندلس ينتقلون إلى مرحلة تعليم متقدمة عندما يبلغون سنّ العاشرة، حيث يدرسون ما يُعرف بالشريعة الشفوية، وفي هذه المرحلة كان النابهون والأذكياء من الأولاد يتعلمون اللغة العبرية أيضاً.

و طريقة التعليم اعتمدت عندهم على قراءة النصوص من أعمال أدبية أو شعرية لكتّاب وشعراء من يهود الأندلس، وقد أخذ المعلّمون اليهود هذه الطريقة عن معلّمي اللغة العربية المسلمين، ومع وجود الاهتمام بتعليم اللغة العبرية، ووجود عدد لابأس به من المثقفين الذين يجيدون تلك اللغة، إلا أنّ اللغة السائدة بين يهود الأندلس كانت هي اللغة العربية، وكان التعليم عند يهود الأندلس مقتصراً في كل مراحلة على الأولاد فقط، أما الفتيات فقد كُنّ يتعلّمنّ الغزل وصنوف العمل المنزلي[2].

النشاط اللغوي والأدبي لليهود في الأندلس:-

كانت اللغة العبرية زمن الفتح الإسلامي للأندلس لغة مهملة، ليس بين يهود الأندلس فحسب، بل بين اليهود في جميع بلدان العالم، إذ كان اليهود في معظم الأحيان لايستخدمون هذه اللغة إلا في بِيعهم وصلواتهم، وكان كثير منهم لا يفهمون الترانيم والطقوس التي يؤدّونها بها، ولذلك كانوا يستمعون إلى التوراة مترجماً إلى الآرمية، وقد بدأ اهتمام اليهود للعبرية في أعقاب السّبي البابلي لهم (539ق.م) اذ صارت الآرمية هي اللغة التي يستخدمونها في الحياة اليومية، وتوقف الإنتاج الأدبي اليهودي باللغة العبرية، وانتهى أمرها كلغة واضحة ومستخدمة بين اليهود[3].

وقد ظلت اللغة العبرية في جميع البلدان التي تفرق فيها اليهود على حالها من التّرك والإهمال إلى أن اختلط اليهود بالمسلمين وتعلّموا اللغة العربية وقواعدها وآدابها، وقوّموا بها ألسنتهم

---

[1] بالنثيا، آنجل، **تاريخ الفكر الأندلسي**، 493.

[2] عبد المجيد، محمد بحر، **اليهود في الأندلس**، 57-58.

[3] ASHTOR,The Jews,Vql 1,p.228-229.

وأذواقهم، ورأوا كيف يخدم المسلون لغتهم من منطق دينيّ، باعتبارها لغة القرآن الكريم [1]والحديث الشريف، فقرروا خدمة لغة كتبهم المقدسة ، بوضع قواعد لها على طريقه المسلمين في خدمة لغتهم العربية[2].

والنحو العبري قد نشأ في العراق على يد شخص يدعى سعديا بن يوسف الفيومي ت(279هـ/ 892م) ، إذ ألف أول معجم عبري في تاريخ اللغة العبرية، إضافة إلى كتاب آخر من اثني عشر جزءاً وهو كتاب اللغة وكتبه بالعربية[3].

وبالرغم من أنّ النحو العبري لم ينشأ في الأندلس، إلا أنّ الدراسات النحوية واللغوية العبرية لم تنهض وتزدهر وتصل إلى مرحلة النضوج إلا على أيدي يهود الأندلس، وأول عالم نحوي ظهر في الأندلس هو مناحيم بن ساروق الطرطوسي(298- 349هـ / 910- 960م)، فأهمّ أعمال مناحيم اللغوية "المعجم العبري "الذي سمى " محبريت" أي التفسيرات، ويُعدّ هذا المعجم أول عمل لغوي في العبرية يغطّي جميع مفردات الكتاب المقدَس، والكتاب مقدّم بمقدمة طويلة عن النحو العبري، وطريقته في التأليف هي طريقة نحاة العرب، وقد أفاد هذا الكتاب كثيراً العلماء اليهود في أوروبا وكان سبباً في قيامهم بدراسات لغوية مستفيضة، لأنه كان الكتاب النحويّ الأول الذي كتب باللغة العبرية، إذ مؤلفات اليهود النحوية كانت تُكتب وقتئذ باللغة العربية[4].

وهناك معاصر لمناحيم يدعى دوناش بن لبراط هاليفي، وهو أحد أفراد عائلة هاجرت إلى مراكش من بغداد، حيث تعلّم على يدي سعديا الفيّومي، ودرس اللغة العربية والأدب العربيّ دراسة مكنته من معرفة فنونه، وقد أعجب بعلوم العربية وآدابها إعجاباً شديداً، ممّا جعله ينصح اليهود بدراسة اللغة العربية من خلال كتابته لبيت شعري بالعبرية يحثّهم فيه على ذلك، ومما ورد في هذا البيت :-

فلتكن الكتب المقدسة جنتك

ولتكن الكتب العربية فردوسك[5]

---

[1] Haim Beinart,Cordoba,Encyclopedia judaica,vol5,p.963.

[2] Jacor Mann,Texts And studies In Jewish History and literature,vol.2,p.25-26.

[3] الخالدي، خالد، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**، 430.

[4] عبد المجيد، محمد بحر، **اليهود في الأندلس**، 57.

[5] الخالدي، خالد، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**،439.

ثمَ عاد بعد ذلك إلى مراكش، ولكنه عندما سمع بالدعم الذي يقدمه حسداي بن شبروط للعلماء اليهود سافر إلى قرطبة، وسرعان ما لمع اسمه بين المثقفين اليهود فيها، حيث كان يكتب الشعر باللغة العبرية على بحور الشعر العربي، وكان رائد هذا التطوير في الشعر العبري، وقد تزامن بروز دوناش مع طرد مناحيم من قرطبة[1].

ووقعت النسخة الأصلية من كتاب مناحيم " التفسيرات" في يد دوناش فقرأه وكتب له نقداً سماه " الردود" وهو كتاب عظيم الأهمّية؛ لأنه مكتوب بأسلوب شعري، ويعدّ أول شعر تعليميَ نحويَ في الأدب العبري[2].

وعملُ دوناش هذا يدلّ على أنّ النحو العبريّ قد وصل في الأندلس إلى درجة متقدمة من الكمال، وقد شغل دوناش مكانة رفيعة في النحو العبري، وكان لكلّ من مناحيم ودوناش تلاميذ ، وكلّ فريق يناصر أستاذه ويدافع عنه بأسلوب جدليّ علميّ، كان له أُثر كبير في تقدم دراسة النحو واللغة، وتكونت لكلّ منهما مدرسة وكانت المجادلات بين تلاميذ كلّ مدرسة مستمرة[3].

وقد تولّى الرّدّ على كتاب دوناش ثلاثه من تلاميذ مناحيم البارزين، وهم إسحاق بن حقطلة، وإسحاق بن قيرون، ويهودا بن ديفيد وقد شاركوا في تأليف كتاب سموه" الرّدّ على الرّدّ" دافعوا فيه عن آراء أستاذهم وأهدوه إلى أستاذهم، وخدم عملهم هذا اللغة العبرية والنحو العبريّ في شرح النظريات النحوية العبرية، ولكنه لم ينتج مادة جديدة ،زيادة على ما وصل اليه مناحيم ودوناش[4].

ولم ينته الجدل الفكري حول منهجية النحو العبري بين مفكَري الأندلس، اذ قام أحد تلاميذ دوناش ويُدعى يهودي بن شيشت بالرّدّ على تلاميذ مناحيم بأسلوب هجائيّ شعريّ، وهكذا استمرّ الجدل الأدبي بين الطرفين ، ومن ثمّ أثار هذا الأسلوب المشاعر في الحلقات الفكرية اليهودية في الأندلس، وانقسم المثقفون في هذه الحلقات إلى فريقين، فريق يؤيد مناحيم وتلاميذه، والآخر يؤيد دوناش وتلاميذه وراح كل فريق يبحث عن الحجج والأدلة لمناقضة معارضيه، فاتسع مجال المعرفة، واستمرّ النحو العبري بالتطور على

---

[1] ASHTOR,The Jews,Vql 1,p.228-229.

[2] بلنثيا، آنجل، **تاريخ الفكر الأندلسي**،489.

[3] Dubnov,History of the JEWS,Vol.1,p.250-251.

[4] الحفني، عبد المنعم، **الموسوعة النقدية**، 27.

يـد أحـد تلاميـذ منـاحيم وهـو زكريـا بـن داود المشـهور بيهـودا بـن حيـوج، والـذي وُلـد بفـاس عـام 360هـ/970م[1].

فيمكن القول: أن نشاط اليهود اللغوي والأدبي كان نتيجة لما شهدته الأندلس من تقدم حضاري، ورقي فكري كان له أبلغ الأثر في تكوين فكرهم ، وبالتالي بداية اهتمامهم وتشجيعهم لهذه العلوم والعكوف على دراستها، ولن ننسى أن لسياسة الإسلام القائمة على مبدأ التسامح الديني أثر في ذلك.

النشاط الفكري والعلمي لليهود في الأندلس

بالنسبة للعلوم الدينية ظلّت الدراسات التلمودية لليهود في الأندلس تحتلّ المرتبة الأولى في الإنتاج الفكري اليهودي، وذلك بسبب توجّه معظم المثقفين اليهود هناك نحو الدراسات الأدبية، والعلمية والفلسفة، واستمرّ هذا الحال إلى أن احتلّ حسداي بن شبروط منصباً مهمّا في حكومة الخليفة الناصر، وأصبح بعد ذلك يقلّد ملوك المسلمين وأمراءهم وأثرياءهم في الأندلس من الذين رغبوا في جعل بلدهم مركزاً للعلم والحضارة، فجلبوا إلى بلادهم العلماء وشجّعوهم، وأرسلوا إلى المشرق الإسلاميّ من يحضر إليهم ما يصدّره العلماء هناك من كتب ورسائل، فكان الكتاب يشتهر في الأندلس في بعض الأحيان قبل أن يشتهر ببلد المؤلف نفسه[2].

ولقد أرسل حسداي إلى مختلف البلدان من يجلب إليه نسخة من التوارة وغيرها من الكتب التي كان يعتبرها مهمّة، ومن الرسائل التي وردت إليه رسائل من يهود جنوب إيطاليا، فقد وصفوا له اضطهاد السلطات البيزنطية لهم، ولم يقتصر نشاط حسداي بن شبروط في هذا المجال على جلب الكتب، بل أرسل إلى علماء اليهود المشهورين من يدعوهم ويشجّعهم على القدوم إلى الأندلس، ويتحدث شاعر يهوديّ عن حسداي فيقول، إنه عزّز أعمدة الحكمة وجمع حوله رجالاً ذوي علم ومعرفة من فلسطين إلى العراق[3].

ويُعبّر هذا النشاط الذي قام به حسداي عن روح التسامح وعن الحريّة الفكريّة والدينية التي كانت تسود في الأندلس، فلو أنّ حسداي يعلم أنّ نشاطاته تلك تتعارض مع سياسة الحكومة لما قام بها وعرّض نفسه ومنصبه للخطر، وكان الحبرُ اليهودي الإيطالي موسى بن حنوخ قد نقل إلى الأندلس العلوم التلمودية

---

[1] هنداوي، ابراهيم، **الأثر العربي في الفكر اليهودي**، 148، الخالدي، خالد، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**، 439.

[2] آنجل، بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، 489.

[3] الخالدي ،خالد، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**، 430.

والسنن اليهودية المعروفة في إيطاليا، وتخرّج على يده العديد من التلاميذ الذين صاروا يخدمون هذه الدراسات وكانت ترجمة التوراه إلى اللغة العربية التي يفهمها يهود الأندلس أكثر من اللغة العبرية من أهم الأعمال التي دعمت الدراسات اليهودية وقد عمل على ترجمة التوارة شخص يدعى فالسكيز في قرطبة سنة(335هـ/ 964م)[1].

ووقعت في الأندلس العديد من المجادلات الفكرية بين المسلمين واليهود، وقد ساعد على حدوث هذه المجادلات الحركة الفكرية التي توافرت لهم، واتقانهم للغة العربية، وحصول بعضهم على مناصب حكوميّة مهمّة، ورغبتهم في الحفاظ على معتقداتهم التي يمكن أن يؤثر عليها فكر المسلمين وعقيدتهم[2].

وكانت أولى المجالات التي شهدتها الأندلس هي مجادلة ابن حزم الأندلسي (384- 456هـ) (994-1063م)وابن النغريلة اليهودي[3]، وفي هذه المجادلة[4] استخدم اليهود قدراتهم على المجادلات الفكرية والدينية التي تطورت في ظل الحكم الإسلامي للأندلس في مجادلة النصارى بعد سقوط المدن الأندلسية في أيدي الإسبان[5].

ولن ننسى الحديث عن مجال الفلسفة إذ لم يعرف عن اليهود عبر التاريخ الطّويل اهتمامٌ يستحقّ الذكر في مجال الفلسفة الإ ما كتبه فيلو اليهودي(25ق.م- 50م) في الإسكندرية، محاولاً أن يحمي المعتقدات اليهودية من الثقافة اليونانية الوثنية التي كانت الإسكندرية مركزها، ويؤكد ذلك ابن العبري صاحب الاطّلاع الواسع على الفكر الفلسفي بقوله :العبرانيون لمنارزتهم باقي الأمم حُرمُوا تعلّم الحكمة مقتصرين على الشرائع وسير الأنبياء، ويؤكد ذلك صاعد الأندلس بقوله: وأما بنو إسرائيل فلم يشتهروا بعلوم الفلسفة، وانما كانت عنايتهم بالشريعة، وشهد على ذلك اليهودي مؤنك فيقول . لم يوجد في كتبهم أيّ في

---

[1] هنداوي، ابراهيم، **الأثر العربي في الفكر اليهودي**، 148.

[2] الحفني، عبد المنعم، **الموسوعة النقدية**، 27.

[3] هو صموئيل اللاوي، بن يوسف بن نغريلة، المشهور بين اليهود باسم"شموئيل هانجيد" وقد عرفه العرب باسم اسماعيل بن يوسف بن نغريلة، وهو رجل سياسة، وعالم، وقائد عسكري، ولد في قرطبة من عائلة غنية، ويعد أهم شخصية يهودية في الأندلس، أتقن العبرية، والعربية، واللاتينية، ولغات البربر، كما درس القرآن الكريم، والتوراة، والتلمود،جميل، عماد، **جهود ابن حزم في جدال اليهود**،120.

[4] من دواعي المناظرة: الإستجابة لأمر الله تعالى بالدعوة إلى الله، وبيان الحق للناسو والدفاع عن دين الله ورد الشبه التي يثيرها المبطلون حول القرآن الكريم، أيضاً كشف خبث وحقد اليهود على الإسلام وأهله، على الرغم من احسان المسلمين لهم في كنف دولة الإسلام، عماد، **جهود ابن حزم في جدال اليهود**،120-121.

[5] الخالدي،خالد، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**، 430-433.

كتب اليهود . أي أُثر لهذه التأملات الميتافيزيقية التي تجدها لدى الهنود أو اليونان، ولم تكن لهم فلسفة بالمعنى الذي نطلقه على هذه الكلمة[1].

فالفلسفة اليهودية ظهرت للوجود وبصورة واضحة في أثناء العصر الوسيط، أي في ظلّ الحكم الإسلامي حيث شعر اليهود لأول مرّة في تاريخهم بالأمن والطمأنينة، وأول شخصيّة بارزة مشهورة تمثل الفلسفة بين اليهود الأندلسيين هو سليمان بن جابيرول، الذي اشتهر بنشاطه الفكري في الشّعر والنّحو، والفلسفة، وشرح الكتاب المقدس[2]، أما عمله الفلسفي الكبير فهو كتاب ينبوع الحياة وهو عبارة عن محاولة فلسفية بين أستاذ وتلميذه وقد اشتقّ اسم الكتاب من أنه يرى أنَ المادة والصورة اساس الوجود ومصدر الحياة في كل شيء مخلوق، ويتلخص مضمون الكتاب في أنّ العالم الروحيّ والماديّ هو عالم صغير، وهو يرجع الفضائل والرذائل إلى الحواسّ الخمس، وقد تأثر في كتابه بفلسفة ابن مسّره الأندلسي المولود بقرطبة(269هـ/883م) وترجم كتاب إلى اللاتنية في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وإلى العبرية في القرن التالي[3].

فالثقافة الإسلامية والفكر الاسلاميّ أثروا تأثيرًا كبيراً في ثقافة اليهود فقد أثرت في فكرهم وأدابهم ولغتهم وتشريعاتهم، وحتى في طقوسهم وعباداتهم، وبذلك تستطيع القول إنّ علماء اليهود ومفكّريهم في الأندلس لم يكونوا أصحاب فكر مبدع وخلاق كما يدّعي اليهود، بل كانوا مقلدين لعلماء المسلمين ومفكّريهم، ومتأثرين بفكرهم إلى حد كبير.

2-النصارى

كانت اللغة السائدة في شبه الجزيرة الإيبرية قبل مقدم العرب هي اللغة اللاتينية التي انبثقت عنها لهجة من اللهجات الرومانية eL Romancre، وقد نشأ عن هذه اللهجة- بعد تأثرها- بالعربية القشتالية ،وهي الإسبانية القديمة، وتذهب بعض الدراسات إلى أنّ الرومانية التي عُرفت في المصادر العربية بعجمية أهل الأندلس، كانت هي اللغة العامة المشتركة بين عناصر المجتمع الأندلسي جميعها، ولكن هذه المقولة

---

[1] الخالدي،خالد، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**، 444-445.

[2] Dubnov,History of the JEWS,Vol.1,p.250-251.

[3] الخالدي، خالد، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**، 444-445.

فيها نوع من المبالغة والزيادة، فاللغة العربية كانت هي اللغة العامة والمشتركة بين عناصر المجتمع الأندلسي[1].

ويقول عبادة كحياة في كتابه نقلاً عن ألبرو القرطبي :إنّ النصارى مولعون بشعر العرب وقصصهم، ويعكفون على أعمال الفقهاء والفلاسفة المسلمين، وذلك ليس لبعض ماورد بها إنما ليكتسبوا أسلوباً عربياً صحيحاً، وإنّ النصارى نسوا لغتهم، وقلّة منهم يستطيعون أن يكتبوا رسالة باللاتنية، و إن كثيرين منهم يجيدون التعبير عن أنفسهم بالعربية، وينظمون شعراً يفوق في جزالته شعر العرب أنفسهم[2].

فالعربية كانت لغة الكتابة في الأندلس للنصارى المعاهدين، كما كانت أيضاً لغة الحديث، أما اللغة اللاتينية فكان يلمّ بها فئة محدودة من المثقفين ورجال الدين، يمارسون بها شعائر دينهم ، إلى جانب معرفتهم بالعربية وهذا الأمر أهّلهم لأن يقوموا بدور المترجمين، والسفراء، بين حكام الأندلس ونصارى الشمال، وقد استطاع عدد من المسلمين من غير أهل البلاد أن يلم بهذه اللغة بحكم الجوار والصلات العائلية وغيرها، فالقاضي سليمان بن أسود في القرن الثالث كان يعرفها، وكذلك عبد الرحمن الأوسط، وكان العرب أحياناً يُعرفون بكنًى أعجمية، وغلبت إلامالة على أسمائهم[3].

وينبغي أن نشير إلى أنّ الثقافة الإسبانية تدهورت في العهد القوطيّ في تيار الفوضى الذي اجتاح البلاد، ومع هذا فقد بقي في إطار العهد الإسلامي بعض منها، فالكتاب المقدس الذي تُرجم كلّه أو بعض منه، كما تُرجمت قوانين الكنيسة التي هي عبارة عن مجموعة قرارات مجامع طليطلة الدينية، ثم إنّ الكتب الكلاسيكية القديمة بقي بعضها في نصّه اللاتيني أو تُرجم للعربية[4].

وأكبر الكُتّاب المعروفين عند نصارى الأندلس القدّيس أوغسطين الشهير صاحب كتاب "مدينة الله" والقديس إيسيرور (اشيذر) صاحب الأصول، ويعرف الأول عند الأندلسيين باسم أقشتين أو اغشتين، أما كتابه " مصحف العالم الكائن" ، والنصارى معوّلون على معرفته ومقلّدون له في قومته وقعدته على أنه أعرف بمسالك النظر وأجرؤهم على مناهج العبر[5] .

---

[1] كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،112-114.

[2] نفسه،114-115.

[3] المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 87/2.

[4] كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،114-116.

[5] المراكشي،ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 292/2.

فالتراث الكلاسيكي كان محدد القيمة عند نصارى الأندلس، أما التراث الشعبي فقد ترك أُثرًا واضحًا في شعر الموشّحات والأزجال، فطريقة نظمه جديدة، وموضوعاته سبق أن تناولها بعض الشعراء اللاتينيين القدامى، ويتجلّى العنصر العربي في ثقافة المعاهدين، فقد اجتذبت الثقافة الاسلامية في أواخر القرن العاشر الميلادي فرنسيًا أو المانيًا يُدعى جريبر انتقل إلى إسبانيا ودرسى هناك، وفي عام (390هـ/999م)، أصبح بابا باسم سلفستر الثاني، ودُعي بالبابا الفيلسوف، وهناك كتابان يدلّان على وجود تراث مشرقيّ استقر في البلاد ،أولهما ملحمة السيد La PoemadeL Cid فالشاعر من المستعربين. وفي الملحمة صور عربية مثل الشرف والثأر، ومؤثرات إسلامية مثل تخميس الغنائم،، والدية في حال القتل الخطأ،والثاني هو " سلك الكتاب" أو " التربية الكنسية" ومؤلّفه يهودي إسباني اسمه ربى يوسف سفردي من وشقه، ألفه في أوائل القرن 12 م،، وتنصّر والكتاب ألفه بالعربية ثم ترجمه للاتينيه ويعترف المؤلف بمصادره الشرقية مثل كتاب حنين بن إسحاق وكتاب "الأمثال" لابن فاتك[1].

وفيما يختصّ بالرّياضيات والطبيعيات، فقد أتى إسهام نصارى الأندلس عن طريق العرب، فالأعداد الهندية التي وضع قواعدها الخوارزمي في القرن الثالث الهجري، وصلت إلى الأندلس في القرن نفسه، وعرفها أيولوطيو وعمل لها كاتب مثل ألبرو جداول لتسهيل دراستها حتى يتسنى فهمها انتقلت عن طريق المستعربين إلى إسبانيا النصرانية[2].

التراث الثقافي للنصارى:-

يُعدّ ما وصل الينا من الانتاج العقلي للنصارى قليلاً بالنسبة لكثرتهم، ففهارس الكتب في عهد المستنصر وصلت 44 فهرساً في كل 21 ورقة، ولكن لم تصل إلينا هذه الفهارس، ومن أسباب فقدان هذا الإنتاج المستعربي ما جرى في أخريات القرن الرابع الهجري عندما عمد المنصور ابن أبي عامر في سعيه لإرضاء الفقهاء والإساءة إلى المروانية وإلى خزائن الحكم المستنصر وذلك بطرح ما بها من الكتب القديمة، عدا عن كتب الطّبّ والحساب، إذ إنه أحرق بعضها والقى بعضها الآخر في آبار القصر، ويقصد بالعلوم القديمة العلوم العقلية اليونانية اللاتينية فالتراث الثقافي للمعاهدين يتركّز في تراث مكتوب باللاتينية وتراث آخر مكتوب بالعربية مؤلفٍ ومترجمٍ[3].

---

[1] كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،115-118.

[2] نفسه،115-118.

[3] نفسه،121-124.

أما التراث اللاتيني فأغلبه يدور في موضوعات دينية، وبطبيعة الحال كانت الأديرة هي المكان الذي تخرّج فيه غالب المشتركين في هذا التراث، ورائدهم جميعاً سبيرا إن ديو وهو اسم ديني لرجل نجهل اسمه الأصلي، عاش في أوائل القرن التاسع الميلادي، ووضع الأساس الفكري لحركة الاستشهاد الانتحارية بعد سنوات، ومن تلاميذه إيولوخيو توفي(245هـ/ 859م) وألبرو ت(247هـ/861م)[1] .

ظهرت في القرن الثاني الهجري بعض المصنفات التاريخية التي تأثرت بأسلوب الكتابة عند المسلمين وأولها الحولية البيزنطية العربية لسنة(124هـ/ 741م) وهي تاريخ عام لبعض ملوك القوط وبيزنطة، وتتضمّن أخباراً عن العرب في المشرق، وفتوحاتهم في إسبانيا، إذ إنّ الكاتب لا يخفي أعجابه بالنبيّ محمّد . صلّى الله عليه وسلم . والحولية المستعربية لسنة(137 هـ/ 754م) وهي أيضاً تاريخ عام يبدأ ببداية الخليقة وينتهي بحوادث سنة(137هـ/ 754م)، ثمّ بعد ذلك الحولية القوطية التي كتبت في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وصاحبها مستعرب من طليطلة ، اعتمد على بعض المصادر العربية، مثل النّصّ الأصلي المفقود لتاريخ الرازي[2].

فكان للمدونات التاريخية المستعربية أُثرها في المدونات التاريخية بإسبانيا النصرانية التي اضطلع فيها المستعربون المهاجرون بدور مهمّ في تنفيذها، ومن الآثار الأدبية للمعاهدين " كتاب الشروح" وهو معجم لاتيني عربي محفوظ بمكتبة جامعة ليدن، أما عن التراث العربي للمعاهدين فقد وصلت إلينا نصوص لاتينية ذات شروح عربية، أو نصوص لاتينية مترجمة إلى العربية، وأحياناً يكون النصّان على محورين، أي يصبح النّصّ مزدوج اللغة ، وكان الكتاب المقدس من أوائل الكتب التي تُرجمت إلى العربية، وليس من شكّ أنّ ابن حزم اطلع على نسخة من العهد القديم استعان بها في كتاب " الفِصَل" وكذلك في كتابه " طوق الحمامة "[3]

أما في العهد الجديد فتشير المصادر النصرانية إلى" يوحنا خوان الإشبيلي" الذي عاش في القرن التاسع الميلادي، ويعزو إليه" رود ريجو خمينيث" بعد عدة قرون أنه وضع تعليقات عربية على الكتاب المقدّس، ودعاه العرب سعيد المطران،على أنه من المؤكد أنه وجدت ترجمة عربية للعهد الجديد في مدينة قرطبة

---

[1] كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،122-124.

[2] نفسه،122-124.

[3] بلنثيا،آنجل، **تاريخ الفكر الأندلسي**، 485.

تعود إلى سنة(296هـ/908م)، وهي من أعمال اسحاق بن بلشك ، ونجد التأثير العربي واضحاً فيها، فيبدأ كلّ إنجيل بالبسملة الإسلامية ويبدو أنه كان متمكناً من العربية[1].

التأثيرات الدينية:-

كان للإسلام والمسلمين تأثير واضح على نصارى الأندلس المعاهدين، فقد أسلم كثير منهم حيث يرجع بعض المؤرّخين الفرنج انتشار الإسلام في الأندلس إلى إسبان مارية ،ولم يكن هناك ضرورة لأن يفارق أحد من النصارى دين آبائه، لأنّ المسلمين أبقوهم على أحوالهم التي كانوا عليها، بل إنّ هذه الأحوال تحسّنت إلى حدّ كبير، فقد سمح لهم المسلمون بأن ينظموا أنفسهم وفق ما تقتضيه شرائعهم ، بل سمحوا لهم أحياناً بقدر من الاستقلال في مناطق الثغور، وأجازوا لهم تملك الأرض، واشتغل عدد كبير منهم في مناصب الدولة، ولم يتعسّفوا معهم في جباية الأموال، ولم يفرضوا عليهم قيوداً معينة في لباسهم، وليس من شكّ أنّ العامل الديني هو العامل الأساسي في إسلام النصارى، يضاف إلى ذلك عوامل أخرى من بينها المناخ العام الطّيب الذي صحب مقدم المسلمين، فقد عرف عن غالبية حكامهم حتى نهاية عصر الخلافة العدل والتسامح والسعي في خير الرعية، ثمّ إنّ عددًا كبيرًا من المسلمين عقدوا مع النصارى علاقات تتسم بالمودة ، ودخلوا معهم في صداقات ومصاهرات، وشاركوهم أعيادهم ومناسباتهم الاجتماعية، وكانوا يقصدون كنائسهم وديارهم حتى قيل: إنّ كثيراً من المسلمين كان يحسن اللاتينية[2].

صاحب ذلك عنصر آخر وهو التعريب الذي كان ظاهرة عامة تصاحب الإسلام وتسبقه في بعض الأحيان، فقد انتشرت اللغة العربية وتداخلت في حياة الناس حتّى أصحب جزءاً من نسيجها، وكان النصارى يمارسون بها شعائر دينهم، كما تولى فقهاء الأندلس مهمّة التعريف بالإسلام لمن لا يحسن العربية، وكان وضع الذين دخلوا الإسلام في الأندلس أفضل من غيرهم وفي أقطار أخرى، ولم يعرف أنّ العرب فرضوا الجزية على من أسلم في الأندلس، في حين أنهم حاولوا فرضها أحياناً في إفريقيه والمشرق، وكان السبب المباشر لثورة البربر في أواخر عهد هشام بن عبد الملك هو سعي عمر بن عبد الله المرادي عامل طنجة إلى تخميس البربر ومع أنّ النصرانية كانت الديانة السائدة في الأندلس قبل مقدم المسلمين

[1] كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،124.

[2] نفسه، 184-185..

إلا أنه كانت توجد معاقل للوثنية أشير اليها في قرارات المجامع بطليطلة من عبادة للينابيع والأشجار، بل وُجد من يعبد الشياطين[1].

ولمّا قامت الإمارة الأموية في سنة(138هـ/755م) واستقرّت الأحوال في البلاد، ازدادت أعداد المسلمين، وكثر انتشار المساجد، وإذا كان المسلمون عقب الفتح قد شاطروا نصارى قرطبة كنيستهم الجامعة؛ فإن عبد الرحمن الداخل باع منهم نصيبهم فيها، وأنشأ الجامع الكبير الذي اكتملت عمارته في عهد المنصور بن أبي عامر، وكذلك بنى أمراء بني أمية في مدائن الأندلس عدداً من المساجد، أشهرها مسجد إشبيلية الذي أقامه عمر بن عَدس قاضي المدينة بأمر من عبد الرحمن الأوسط، ويحدد نقش وصل إلينا تاريخ إنشائه(214هـ/829م)، ولمّا أنشأ الأمير محمد مدينة مجريط حوالي(252هـ/866م)، أقام فيها مسجداً جامعاً، كما جدد مسجد استجة وشذونة[2].

كذلك قام عدد من الأتقياء ببناء المساجد، فبنى حَنش بن عبد الله الصنعاني ت(100هـ/718م) وهو من التابعين مسجد ألبيرة، ووسّعه الأمير محمد سنة (250هـ/ 864م) ، كما أنشأ حنش مسجداً آخر في سرقسطه، عُرف بالمسجد الأبيض ودفن فيه ، وفي سنة (242هـ/ 856م) أمر موسى القسوى بالزيادة فيه مع الاحتفاظ بمحرابه على ماكان عليه، وفي عهد الفتنة الكبرى عندما نزع عدداً من ثوار الأندلس إلى الاستقلال انصرفوا إلى بناء مساجد، فبعد أن جدّد إسماعيل بن موسى القسوى مدينة لاردة، بنى فيها مسجداً جامعاً (288هـ/900م)، وعندما بنى عبد الرحمن بن مروان الجليقى (261هـ/875م) مدينة بطليوس جعل فيها مسجداً جامعاً[3].

وقد أسلم في عصر الإمارة عدد كبير من النصارى ،نخصّ بالذكر أبا الفتوح نصر الخصبي الذي لمع نجمه في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان أبوه من أهل ذمة قرمونة، وكان لنصر الذي يُعرف أحياناً بنصر الصقلبي منزلة كبيرة عند أميره، حتى أنه وصف بخليفة الأمير عبد الرحمن بن الحكم، المقدم على جميع خاصته ، المدبر لأمر داره، المشارك لأكابر وزرائه في تصريف ملكه، وكان له دور مهمّ في أحداث الشهداء النصارى بقرطبة، كما قاد جيوش الدولة في حربها من المجوس (النورمان)، على أنّ نصراً شارك في مؤامرات البلاط في أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط، واتخذ جانب طروب في سعيها لجعل ولدها عبد الله بدلاً من أخيه محمد ولي عهد أبيه، وبعث في طلب الحراني الطبيب، وأعطاه الف

[1] كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،185-186.

[2] نفسه،186.

[3] المراكشي،ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، 87/2،كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،186.

دينار على أن يجهز له سمّاً يقدمة للأمير على أنه دواء وكان قد اعتل في آخر أيامه علة طويلة، وعلم الأمير بما يدبره له نصر، وأجبره على أن يتجرّع السّمّ فكان ذلك سبب موته(236هـ/ 850م) [1].

وفي عهد الأمير محمد كان قومس بن انتنيان بن يليانة مستخرجاً لخراج الذمة ،ثم عاون عبيد الله بن أمية بن يزيد في الكتابة للأمير، فلما أقعدت عبيد الله هذا، عله عن الركوب أعواما قام قومس بعمله إلى أن مات، فقال الأمير: لو أنَ قومساً كان مسلماً ما استبدلناه، فولي قومس الكتابة وعلا شأنه مما أثار حفيظة الوزير هشام بن عبد العزيز وجعل يدس عليه ، ولقومس هذا ولد يُدعى عمر ولي الكتابة كوالده وتُوفي سنة(298هـ/911م)، وله ابن أخ يُدعى أحمد بن عبد الله بن انتنيان روى عن ابن وضّاح وغيره[2].

وفي أواخر عصر الإمارة كان إسحاق الطبيب النصراني ذا نفوذ عند الأمير عبد الله والأمير عبد الرحمن الثالث وأسلم ولده يحيى الذي ورث صناعة الطبّ عن أبيه وأَلّف فيه، حيث بلغت منزلته عند الناصر أنه عالج كرائمه وحرمه، وصار وزيراً، وعُهد إليه بالقيادة في بطليوس وكان له دور واضح في المفاوضات بين الناصر وعمر بن حفصون سنة(303هـ/915م)، بالإضافة الى صمويل أسقف ألبيرة[3].

وقد برع عدد ممّن أسلم من النصارى في علوم المسلمين ومنهم عبد الله بن عمر بن الخطاب بن إنجلين ويقال عنه كان من مسلمي الذمة، فملأ إشبيلية علماً وبلاغة ولساناً حتَى شرفت به العرب، ولكنه قُتل سنة(276هـ/889م)، في غمار الصراع بين المولدين والعرب للسيطرة على هذه المدينة.

وهكذا تزايدت أعداد المسلمين وبخاصَة في عهد عبد الرحمن الأوسط وولده الأمير محمد، وتعود هذه الظاهرة إلى تعسّف الأمراء الأمويين مع النصارى، ومن المرجّح أنّ المقصود بذلك فتنه الشهداء بقرطبة، ولكن هذا غير صحيح، فالمسلون لم يتعسّفوا مع النصارى ولم يضطهدوهم اضطهاد يدفعهم للإسلام[4].

فلم تكن فتنه الشهداء سبباً في إقبال النصارى على الإسلام، وإنما كانت نتيجة له؛ لأنّ المحرّضين عليها ساءهم انتشار الإسلام بين النصارى، فعمدوا إلى افتعال الفتنة ليحولوا دون هذا الانتشار،على أنّ الفتنه الكبرى التي عمّت أقطار الأندلس في أخريات القرن الثالث كان لها الأثر الواضح في انتشار الإسلام؛

---

[1] كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،190.

[2] نفسه،191-192.

[3] نفسه،192-193.

[4] نفسه،192.

لأن هذه الفتنه التي اشتعلت لأسباب اجتماعية لم تلبث أن تحولت على يدي عمر بن حفصون إلى فتنه ذات طابع ديني، فانصرف عددٌ من أتباعه إلى التعصّب من المسلمين، فأدى ذلك لظهور تعصّب مضادّ، كان له أثره في تحول عدد كبير من النصارى إلى الإسلام[1].

يمكن من خلال ما سبق تسجيل نتيجة مفادها أنّ بلاد الأندلس في القرن الثالث الهجري أصبحت دولة اسلامية بها أقلية نصرانية ، أيضاً نجد اسهام للنصارى في بناء مساجد المسلمين، التي كانت بمثابة أماكن لإقامة شعائر الدين ، وتدريس العلوم المختلفة، بالإضافة إلى وجود بعض الأطباء النصارى والذين كان لهم دور بارز في العلاج والتطبيب فترة الإمارة الأموية في الأندلس، فيبدوا أن النصارى كانوا يعتمدون على تراث وثقافة المسلمين في بناء حضارتهم وتحقيق التقدم.

ج-بيت الحكمة البغدادي

يُعدّ بيت الحكمة[2] أول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الإسلامي، كما أنه أول جامعة إسلامية جمع فيها العلماء والباحثون، ولجأ إليها الطلاب، فكانت بذلك مركزاً علمياً يحقق للطلاب زاداً علمياً وفيراً ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطبّ والفلسفة والحكمة وغيرها[3].

وقد عُنِي الخلفاء المسلون منذ فجر العهد الأموي بالكتاب العربي ونشره بين الناس وإنشاء الخزائن التي تضمّ الكتب والدفاتر، كما عُنُوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون لهم مرجعاً ولأولادهم، وكانوا يزوّدون المساجد الجامعيّة في كلّ إقليم بالخزائن التي تضمّ المصاحف وكتب العلم ،وكان العلماء منذ زمن قديم يقفون كتبهم وأوراقهم ومخطوطاتهم على خزائن المساجد ودور العلم، ويتقربون بذلك إلى الله ويرجون نشر العلم ومعونة أصحابه[4].

---

[1] كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،193.

[2] علم الحكمة هو علم يبحث عن حقائق الأشياء، ما هي عليه في نفس الأمر، بقدر الطاقة البشرية، وموضوعه الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان، حاجي خليفة، مصطفى، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**،676/1.

[3] وهناك ما يسمى بيوت الحكمة العامة، وهي عبارة عن خزائن الكتب التي أسسها الخلفاء الفاطميون من أمراء المسلمين، أما بيوت الحكمة الخاصة فهي خزائن الكتب التي أنشأها العلماء والأدباء والأعيان في دورهم ، وكان يستفيد منها الناس، ومن أشهر الخزائن العامة بيت الحكمة البغدادي، عبد الدائم، عبد الله، **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**، 157.

[4] يوصف بيت الحكمة بأنه بناية كبيرة فيها عدد من القاعات والحجرات الواسعة، موزعة في أقسام الدار، وتضم مجموعة من خزائن الكتب، في كل خزانة مجموعة من الأسفار التي تنسب إلى مؤسسها ، كخزانة الرشيد، وخزانة المأمون،هاشم،زكريا، **فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم**، 282.

وبيت الحكمة هو أول دار كتب عامة ظهرت في الإسلام أنشأها الخليفة هارون الرشيد وعيّن عليها الموظفين، وآتاها حاجتها من الكتب، فنمت واشتدّت وأخذت تؤتي أكلها طيباً يانعاً، وبعد ذلك قام المأمون يتوسع وتدعيم بيت الحكمة الذي أنشأه أبوه حتى إنه لمّا تولّى الخلافة جعلها في مكان الرعاية والاهتمام منه، فجلب إليها الكتب من الهند ومصر وفارس وغيرها، وأجزل مكافأة العلماء حيث كان واسع المعرفة محباً للعلم، والأدب، مبجّلاً للأدباء والعلماء، فنشطت الحياة الفكرية في عهده أيما نشاط ،ومضت الحضارة قدماً في سبيل النماء والازدهار[1].

وكان لتشجيع الخلفاء للعلماء وعلى الأخصّ الرشيد ثم المأمون في بغداد ورعاية الأمويين لهم في الاندلس أثر كبير في انتعاش الحركة العلمية وازدهارها، فيعدّ بيت الحكمة الذي أسسه العباسيون ببغداد أول بيت حكمة عرف عند المسلمين، كما كان أعظم شأناً لما يحتويه من الكتب النفيسة في شتى العلوم والمعارف المختلفة اللغات والنصوص، فلقد أصبح العراق في العصر العباسي أهم مركز للحركة العلمية في الدنيا، لاسيما بغداد التي حصلت على شهره علمية واسعة لا أحد يستطيع مضاهاتها[2].

فقد أسهم بيت الحكمة البغدادي في رفد الحركة الثقافية في الأندلس وتشجعيها وتزويدها بالعلماء والعلوم، والمعارف، والمؤلفات، وحثها على الترجمة والتأليف بفعل الروابط والاتصالات الثقافية بين الحضارتين بغداد وقرطبة، فتتلمذ عدد كبير من طلاب الأندلس في مدارس بغداد والكوفة وغيرها من المدن العراقية[3].

ويعود الفضل في نقل الحضارة العراقية إلى الأندلس للأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) الذي حكم في الفترة الواقعة ما بين (200ـ 238هـ)(815-852م)، فيعدّ هذا الأمير هو الذي أعطى قرطبة النظام العباسي ،حيث أرسل وزيره القاضي عباس بن ناصح الجزيري إلى العراق للحصول على الكتب القديمة فأتاه للأندلس بكتاب السندهند وهو أقدم الكتب التي ترجمت إلى العربية في الحساب والهندسة[4].

---

[1] معروف، ناجي، **أصالة الحضارة العربية**، 437،شلبي،أحمد، **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**،163/5-165.

[2] مظهر، جلال، **الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث**،67،حتي،فيليب، **تاريخ العرب مطول**،124/2.

[3] المنان، رفيدة، **بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية**، 90-92.

[4] شلبي، أحمد، **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، 163/5-166.

فأهل الأندلس كانوا يستقبلون بإعجاب كلّ من يأتي من بغداد ونتيجة الحوادث السياسية في بغداد دخلت إلى الأندلس الكتب الثمينة والغريبة، وحضور الفنان زرياب من بلاط هارون الرشيد في عهد عبد الرحمن الأوسط، حيث عمل هذا الفنان على نقل معالم الحضارة من خلال الفن والأدب[1].

ومن ثمّ أضحت الأندلس منارة من منارات العلم، والمعرفة، مما كان لذلك أكبر الأثر في تحقيق التقدم الفكري، والرقي الحضاري، فيمكننا القول أن بلاد الأندلس فترة حكم الأمراء الأمويين حظيت باهتمام وعناية بالغين، وذلك يعود إلى رعاية الأمراء الأمويين للحركة العلمية وتشجيعهم العلم والعلماء، إضافة إلى أن الرحلات العلمية وما نتج عنها من تبادل تبادل ثقافي واسع، كان له تأثير كبير على تقدم البلاد، واتساع نطاق المعرفة، وعدم اقتصارها على علوم محددة كعلوم الدين، بل شمولها أنواع مختلفة من العلوم كالفلسفة، والطّب، والتاريخ، إضافة إلى دور المساجد في تغذية الحركة العلمية، فلم يقتصر دورها على أنها أماكن للعبادة فقط، بل كانت مراكز تعليم لعلوم مختلفة، و لن ننسى الإشارة إلى أن التسامح الديني أعطى الفرصة لليهود والنصارى للإستفادة من الحركة العلمية في الأندلس، وبالتالي ظهور العديد من الأشخاص منهم اهتموا بدراسة أنواع مختلفة من العلوم، إضافة إلى تطويرهم للعلوم التي قد سبق المسلمين إلى دراستها، أيضاً اسهام بيت الحكمة البغدادي في رفد الحركة الثقافية في الأندلس، بفعل الروابط والإتصالات الثقافية بين الحضارتين بغداد وقرطبة.

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 4/115-116، المنان، رفيدة، **بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية**، 92-94.

الخاتمة

بعد هذا التّطواف في تاريخ الأندلس، وتسليط الضّوْء على الحياة العلميّة والفكريّة والأدبيّة يمكن تسجيل الملاحظ الآتية:

- بالرغم من وجود الاضطرابات والمنازعات قبل الفتح الإسلامي إلا أنه كان هناك بوادر صغيرة لنهضة ثقافية لم تظهر بوضوح إلا في عصر الإمارة الأموية في الأندلس

- أثبت الأندلسيون قدرتهم الكبيرة في إثراء ميدان الحديث وعلومه بتأليفهم ودراساتهم المتعدّدة، وقدّموا في ذلك روائع من إنتاجهم العلمي الغزير.

- اتّضح لنا المشاركة الطيبة التي قام بها الأندلسيّون في ميدان التفسير ، وخاصّة بقيّ بن مخلد الذي يعتبر وسامًا أنار الأندلس بعلمه وفضله.

- نالت علوم الدين من حديث، وتفسير، وقراءات، اهتمامًا وعنايةً واضحتين من الأندلسيين كان لها الأثر الأكبر في تطور الناحية العلمية، حيث غدت الأندلس – في تلك الفترة– من منارات العلم الشهيرة في مجال العلوم الدينية.

- احتلّ المذهب المالكيّ الصدارة في تفكير الأندلسيّين وحياتهم، حتّى أصبح المذهب الرسمي للبلاد في تلك الفترة، بالرّغم من وجود العديد من المذاهب الأخرى التي كان صوتها خافتًا ، وذلك خوفًا من اتهام أتباعهم بالزندقة والإلحاد، لخروجهم عن المذهب الرسمي للبلاد، كابن مسرة الذي اهتم بمذهبه، والأعشى القرطبي الذي كان من أنصار المذهب الحنفي.

- حظي الطّبّ في الأندلس باهتمام وعناية، فبالرغم من عدم كثرة الأطباء، ولكنهم عُرِفوا بمهاراتهم وقدراتهم الجيّدة في علم الطّبّ.

- لم تتطوّر الدراسات الرياضية والفلكية، ولم تزدهر بشكل كافٍ في عصر الإمارة، فعدد الأفراد المهتمين بهذه العلوم كان قليلًا كابن السمح، وعباس بن فرناس، والسبب في ذلك اتهام كل متبع لهذه العلوم بالإلحاد والزندقة.

- أنجب عصر الإمارة فئة من الشعراء شهد لهم الأدباء من معاصريهم، ومَن أتى بعدهم بالبراعة في الشعر كابن عبد ربّه، وعبد الرحمن الداخل، وهذا دليل على تفوّق الأندلسيين ، حيث بلغوا درجة رفيعة ومكانة سامية في قرض الشعر.

- يُعتبر فنّ الموشّح الصّورة الأدبية المعبّرة عن تبلور الشخصيّة الأندلسية في ميدان الأدب.

- شهدَ ميدان الحياة الأدبية، واللغوية، والنحوية في عصر الإمارة نشاطاً زاهرًا أثبت فيه الأندلسيّون سَعة معارفهم وتألقّ شخصيّتهم العلمية.

- بلغ الأندلسيّون في عصر الإمارة درجة رفيعة في ميدان البحث العلميّ في مختلف وجوه العلم، فأضافوا بذلك دراسات قيّمة ومفيدة كان لها الأثر الأكبر في تطور هذه الدراسات ونموّها بشكل كبير وواضح فيما بعد.

- لقيت العلوم الإنسانية من تاريخ، وجغرافيا، وفلسفة، نشاطًا ملحوظًا من علماء الأندلس كأسرة الرازي التي تُعدّ من أعظم الأسر العلمية عطاءً في ميداني التاريخ والجغرافيا.

- عملَ الأمراء الأمويّون على تطوير الأندلس والرّقي بها خطوات ملموسة إلى الأمام، وذلك بتشجيعهم العلم والعلماء، فالنشاط العلميّ– فترة حكمهم– كان بمثابة بداية انطلاق نحو تقدّم علميّ واسع المجالات.

- أثمرت الرّحلات العلمية وأينعت، وآتت أكلها طيباً يانعًا ، فتوسّعت مدارك الأندلسيّين وتفتحت عقولهم، وبدأوا يدرسون العلوم المختلفة، ويجادلون أصحاب العلوم والمعارف من خلال قراءاتهم المتعددة ودراساتهم للعلوم المختلفة.

- اهتمّ الأندلسيّون بالعلم اهتمامًا كبيرًا حتّى أصبح العلم مَعْلَمًا من معالم البلاد البارزة الدّالة على الحضارة والتقدم.

- ثَمّة عواملُ ودواعٍ كان لها دور في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس ومنها استقرار الأوضاع في البلاد، وتشجيع ولاة الأمر للعلم والعلماء، وانتشار اللغة العربية حيث أصبحت اللغة الرسمية.

- أسهم بيت الحكمة البغدادي في رفد الحركة الثقافية في الأندلس بفعل الروابط والاتصالات الثقافية بين الحضارتين بغداد وقرطبة.

- ظهر العديد من المفكرين والفلاسفة النصارى و اليهود الذين اهتّموا بتطوير العلوم، معتمدين في ذلك على تراث المسلمين وثقافتهم، بفعل سياسة التسامح الدينيّ آنذاك.

الملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract :

Our Islamic history is rich of civilization creativity which, in turns, lightens many dark corners within the history of the Islamic civilization. Throughout their long history, Muslims had an incredible activity in all various fields of civilization. This activity has led to the creation of a massive civilization entity that contributed in the better development of humanity. During the Umayyad's period, Andalusians had a great role and crystal-clear efforts taking care of all aspects of civilization in general, and scientific life in particular. Different sciences that include the Hadith (Prophetic narrations), Tafsir (Interpretation), jurisprudence, and the Maliki doctrine, which took the lead within the Andalusians' lives and thinking and become the official doctrine in the state, in addition to the Thahiri doctrine and others had all received a special care and attention which impacted on the development of the Andalusia for the better. Moreover, the Andalusians excelled in other aspects of sciences, such as the natural sciences that include medicine, pharmacy, chemistry, and human sciences, for example history, geography, and many others.

During the Umayyad period, the Andalusia became the lighthouse of science and knowledge which had the great impact on the achievement of the intellectual progress and civilizational prosperity which resulted from the Umayyad princes' care of scientific movement, the encouragement of science and scholars, in addition to the scientific journeys that lead to a massive cultural exchange that lead to the development of the state, the expansion of knowledge, and the religious tolerance that paved the way for Jews and Christians to benefit from the scientific movement in the Andalusia. This was supported by the contributions of the Baghdadi House of Wisdom in supplying the cultural movement in the Andalusia by the connections and cultural communications between the civilizations in Baghdad and Cordoba.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن الأبار، محمد بن عبد الله:

* **التكملة لكتاب الصلة** ، تحقيق: عبد السلام الهراس،دار الفكر، بيروت، 1995م.

* **الحلة السيراء** ،دار المعارف، القاهرة،2010م.

- ابن الأثير، عز الدين:

* **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1979م.

- الأصبهاني، الراغب:

* **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر والبلغاء**، مطبعة الهلال، مصر، 1902م.

- الاشبيلي، أبو النصر،(ت529هـ/1135م):

* **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.

- الأندلسي، صاعد:

* **طبقات الأمم**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،1912م.

- ابن أبي اصيبعة، موفق:

* **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

- البغدادي، أبو منصور، (ت429هـ/1037م):

* **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة ابن سينا للنشر، القاهرة، (د.ت).

- التلمساني، شهاب الدين:

* **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق:سعيد أحمد عراب، (د.ن)،(د.م)،1980م.

- ابن جلجل، أبو داوود:

* **طبقات الأطباء والحكماء**،ط2،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

- حاجي خليفة، مصطفى:

* **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**،دار احياء التراث، بيروت ،(د.ت).

- ابن حزم، أبو محمد علي:

* **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق:احسان عباس، المؤسسة العربية، بيروت، 1987م.

- الحموي، ياقوت:

***معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس،(د.ن) ،(د.م) ،(د.ت).

الحميدي، أبو عبد الله،(ت488هـ/1095م):

***جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

- الحميري، محمد:

* **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق:احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1974م.

- الحنبلي، ابن العماد:

* **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير ، دمشق، 1988م.

- ابن حيان، أبو مروان،(ت469هـ/1076م):

***المقتبس من أنباء الأندلس**،(د.ن) ،(د.م) ،(د.ت).

- الخشني، محمد بن حارث،(ت361هـ/971م):

***أخبار الفقهاء والمحدثين**،تحقيق: ماريا لوسيا، المجلس الأعلى للأبحاث، مدريد،1992م.

***طبقات علماء افريقية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت).

***قضاة قرطبة وعلماء افريقية**، الدار المصرية، القاهرة، 1966م.

- ابن الخطيب، لسان الدين:

* **الإحاطة في أخبار غرناطة**،دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت808هـ/1405م):

* **المقدمة**، المكتبة التجارية، مصر، (د.ت).

***العبر وديوان المبتدأ والخبر**،تحقيق:أبو صهيب الكرمي،بيت الأفكار الدولية، ،(د.م) ،(د.ت).

- ابن خلكان، أحمد:

***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق:إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 2010م.

- الخوارزمي، محمد بن موسى:

*__مفاتيح العلوم__ ،دار الكتاب العربي،بيروت،1989م.

ابن خير، أبو بكر محمد:

* __فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف__،تحقيق: ابراهيم الأيباري، دار الكتاب المصري، (د.م)،(د.ت).

- الدلائي، أحمد:

* __نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك__، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، (د.ت).

- الزبيدي، أبو بكر:

* __طبقات النحويين واللغويين__، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط2، دار المعارف، (د.م)،(د.ت).

- الزبيدي، محمد:

*__تاج العروس من جواهر القاموس__، دار الهداية،(د.م) ،2010م.

الزركلي، خير الدين:

* __الأعلام__، دار العلم للملايين،(د.م) ،2002م.

- ابن سعيد، المغربي:

* __المغرب في حلى المغرب__،(د.ن)،(د.م)،(د.ت).

- السمعاني، عبد الكريم، (ت562هـ/1167م):

*__أدب الإملاء والاستملاء__:تحقيق: شفيق محمد، ط2، دار اقرأ، بيروت، 1987م.

- السيوطي، جلال الدين:

* __الاتقان في علوم القرآن__، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، 1996م.

- الشهرستاني، أبو الفتح،(ت548هـ/1153م):

* __الملل والنحل__،ط2، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

- الضبي، أحمد بن يحيى:

* __بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس__، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.

- عبد البر، أبو عمر:

*__الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء__، دار البشائر الإسلامية، بيروت،1997م.

* **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله**، دار ابن الجوزي،الدمام،1994م.

- ابن عبد ربه، أبو عمر:

* **العقد الفريد**، تحقيق: مفيد محمد،دار الكتب العلمية،(د.م) ،1983م.

- العسقلاني، شهاب الدين:

* **تهذيب التهذيب**،دار المعارف النظامية، الهند ،(د.ت).

- ابن عذارى، المراكشي:

***البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**،تحقيق:ج.س كولان، دار الثقافة ، بيروت، 1980م.

- أبو العرب، محمد بن أحمد(ت333هـ/944م):

* **طبقات علماء افريقية وتونس**، تحقيق: علي الشابي، الدار التونسية، تونس، 1968م.

- عنان، محمد:

* **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

- ابن فرحون، ابراهيم بن علي، (ت788هـ/1386م):

* **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: عباس بن عبد السلام، (د.ن)، مصر، 1351هـ/1932م.

- ابن الفرضي، أبو الوليد:

***تاريخ علماء الأندلس**،تحقيق:بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس،2008م.

- القاضي عياض، أبو عبد الله، (ت554هـ/1159م):

* **الإلماع لمعرفة أصول الرواية وتقييد السماع** ، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، 1970م.

***ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك**، تحقيق: محمد بن الطنجي، (د.ن)، الرباط، 1965م.

- ابن قتيبة، أبو محمد:

* **المعارف**،تحقيق:ثروت عكاشه،دار المعارف،القاهرة ،(د.ت).

- القرافي، أحمد:

* **الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام** ، تحقيق:عبد الفتاح أبو غده، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب،1995م.

- القرطبي، أبو عبد البر:

* **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، (د.ن) ،(د.م) ،(د.ت).

- القفطي، جمال الدين،(ت646هـ/1248م):

* **أخبار العلماء بإخبار الحكماء**، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد، (ت821هـ/1418م):

***صبح الأعشا في صناعة الإنشا**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م.

- ابن القوطية، أبوبكر:

* **تاريخ افتتاح الأندلس**،تحقيق:ابراهيم الأيباري،(د.ن)،(د.م) ،1989م.

- ابن كثير، أبو الفداء،(ت774هـ/1337م) :

***البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، 1966م.

- مؤلف مجهول:

* **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، تحقيق: ابراهيم الأيباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1981م.

- مؤلف مجهول :

* **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق: لويس موليتا، (د.ن)، مدريد، 1983م.

- المراكشي، محي الدين:

* **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،(د.ن) ،(د.م) ،(د.ت).

- المقدسي، محمد بن أحمد، (ت387هـ/997م):

***أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (د.ن)، ليدن، 1909م.

- المقري، أحمد بن محمد:

* **معجم المصباح المنير**، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.

- المقري، أحمد:

* **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

- ابن منظور، محمد بن مكرم:

* **لسان العرب** ، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

- النديم، أبو الفرج محمد:

* **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت،1997م.

- النويري، شهاب الدين:

***نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

- ابن هذيل، أبو الحسن:

* **عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م.

-المراجع العربية :

- أدهم، علي:

* **أبو جعفر المنصور**، دار الكتاب العربي،مصر،1969م.

- أرسلان، شكيب:

* **خلاصة تاريخ الأندلس**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983م.

- ألبير، مطلق:

* **الحركة اللغوية في الأندلس**، المكتبة العصرية، بيروت،1967م.

- أمين، أحمد:

* **ظهر الإسلام**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، (د.ت).

- اشتيوي، أشرف:

* **الأندلس في عصر الولاة**،رسالة ماجستيرغير منشورة،جامعة النجاح، 2010م.

- بروفنسال، ليفي:

* **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

- البشري، سعد الله:

* **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة أم القرى،1982م.

- بلنثيا، آنجل:

* **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

- بهجت، منجد:

* **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، مطبعة وزارة التربية،بغداد،1988م.

- التركي، عبد الله:

* **الأندلس الدرس والتاريخ**، دار المعرفة، (د.م)، (د.ت).

- جوليان، شارل:

* **تاريخ افريقيا الشمالية**، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

- الجيوسي، سلمى(محرر):

* **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988م.

- حتاملة، محمد:

* **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، عمان، 2000م.

* **إيبيريا قبل مجئ العرب المسلمين**، (د.ن)، عمان، 1996م.

- حتي، فيليب:

* **تاريخ العرب مطول**،دار الكشاف،بيروت،1965م.

- حمادة، محمد:

* **الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي افريقية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

- حميدة، عبد الرحمن:

* **أعلام الجغرافيين العرب**، دار الفكر، دمشق،(د.ت).

- الخالدي، خالد:

* **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**،رسالة دكتوراه غير منشورة، بغداد،1999م.

- خنفر، خلقي:

* **تاريخ الحضارة الإسلامية**، (د.ن)،(د.م)، 1991م.

- الخولي، عبد البديع:

* **الفكر التربوي في الأندلس**، دار الفكر،القاهرة،1985م.

- الدغلي، محمد سعيد:

* **الحياة الإجتماعية في الأندلس**، دار أسامة، (د.م)، 1984م.

- دويدار، حسين:

* **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، مطبعة الحسنين، القاهرة، 1994م.

- دياب الشافعي، حامد:

* **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء، القاهرة، 1998م.

- ذنون، عبد الواحد:

* **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار الشؤون الثقافية،بغداد،1988م.

- ريبيرا، خوليان:

* **التربية الإسلامية في الأندلس**، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1994م.

- أبو زهرة، محمد:

* **ابن حزم(حياته وعصره وآرائه الفقهية)**، دار الإتحاد العربي، (د.م)، 1954م، ***تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي ، القاهرة، (د.ت).

- الزيات، أحمد:

* **تاريخ الأدب العربي**، دار النهضة،مصر،(د.ت).

- زيان، علي:

* **المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري**،رسالة ماجستير غير منشورة، 2011م.

- زيدان، جرجي:

* **روايات تاريخ الإسلام**، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

- سالم، عبد العزيز:

* **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1961م.

* **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت).

- السامرائي، خليل:

* **أثر العراق الحضاري على الأندلس**،(د.ن) ،(د.م) ،(د.ت).

* **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2000م.

- السرجاني، راغب:

* **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، مؤسسة إقرأ للطباعة، القاهرة، 2011م.

- السعيدي، ناجية:

* **الزهد في الشعر الأندلسي حتى أواخر القرن الثالث الهجري**،رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة أم القرى(مكة المكرمة)،(د.ت).

- سويدان، طارق:

* **التاريخ المصور**، شركة الإبداع الفكري،(د.م)،2005م.

- الشريقي، ابراهيم:

* **التاريخ الإسلامي منذ العهد النبوي حتى العصر الحاضر**، المكتبة الفاروقية، باكستان، 2008م.

- الشكعة، مصطفى:

* **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، دار العلم للملايين، بيروت،1979م.

- شلبي، أحمد:

* **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**،مكتبة النهضة،مصر،1999م.

- شلبي، عمر:

* **عبد الرحمن الثاني(الأوسط)** ،رسالة ماجستيرغير منشورة،الجامعة الأردنية،1998م.

- صادق، جعفر:

* **الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق**، رسالة ماجستير غير منشورة ، الموصل،1985م.

- أبو صالح، وائل:

* **تطور الدرس اللغوي في الأندلس**، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

* **الجواري في الأندلس**، منشورات دار القلم، رام الله، 1985م.

- الصوفي، خالد:

* **تاريخ العرب في الأندلس**، ط2، (د.ن)،(د.م)، 1980م.

- ضيف، شوقي:

* **المدارس النحوية**، ط3، دار المعارف، (د.م)، 1976.

- طربية، جرجي:

* **الوجدية وأثرها في الأندلس**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.

- الطنطاوي، محمد:

* **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، دار المنار، (د.م)، 1991م.

- طوقان، قدري:

* **العلوم عند العرب**، دار الفضيلة للنشر،القاهرة،2002م.

- عابدين، عبد المجيد عابدين:

* **التوثيق تاريخه وأدواته**، دار الحرية، بغداد، 1982م.

- العبادي، أحمد:

* **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، (د.ن)، الإسكندرية، 1968م.

* **في تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الإنجلو، مصر، 1986م.

- عباس، احسان:

* **تاريخ الأدب الأندلسي**، دار الشروق، عمان، 1997م.

- عبد الدائم، عبد الله:

* **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**،دار العلم للملايين،بيروت،1984م.

- عبد الرحمن، عثمان:

* **علوم الحديث**، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

- عبد المجيد، محمد بحر:

* **اليهود في الأندلس**، الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،1970م.

- عبد محمد، سوداي:

* **تأثر الفكر الأندلسي بالحركة العلمية في المشرق الإسلامي**،(د.ن) ،(د.م) ،(د.ت).

- عثمان، عبد الكريم:

* **معالم الثقافة الإسلامية**،(د.ن) ،(د.م) ،(د.ت).

- عصيدة، فادي:

* **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**،رسالة ماجسترغير منشورة ،جامعة النجاح(نابلس)،2006م.

- العكلوك، عبد اللطيف:

* **منهج المعتزلة في توحيد الأسماء والصفات** ،رسالة ماجستيرغير منشورة، الجامعة الإسلامية(غزة)،2011م.

- علي الحجي، عبد الرحمن:

* **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، دمشق، 1994م.

- علي، حسين:

* **ما هي الفلسفة**، دار التنوير،(د.م)،2011م.

- عنبتاوي، عدنان:

* **حكايتنا في الأندلس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1989م.

- عيسى، محمد:

* **تاريخ التعليم في الأندلس**، دار الفكر العربي، (د.م)، 1982م.

- غرسيه، اميليو:

* **الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه**، ترجمة: حسين مؤنس، (د.ن)،القاهرة،1952م.

- الفحام، شاكر:

* **الدلائل في غريب الحديث**، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

- فروخ، عمر:

* **عبقرية العرب في العلم والفلسفة**، ط4، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1980م.

*__تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون__، دار العلم للملايين، بيروت، 1972م.

- أبو الفضل، محمد أحمد:

* **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**، دار المعرفة، الإسكندرية، 1996م.

- قاسم، محمود:

* **انتقال الطب العربي إلى الغرب**، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

- قزيحة، رياض:

* **الفكاهة في الأدب الأندلسي**، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م.

- الكبيسي، محمد:

* **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية**، مطبعة الإرشاد، بغداد،1970م.

- كحيلة، عبادة:

*تاريخ النصارى في الأندلس، (د.ن)،(د.م)،1993م.

* الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، عين للدراسات والبحوث، (د.م)، 1995م.

- مبارك، زكي:

* النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة هنداوي، القاهرة، (د.ت).

- محمود، عبد المجيد:

* الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، (د.ن)،(د.م)،1979م.

- المشهداني، علياء:

* فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب، رسالة دكتوراه غير منشورة،جامعة الموصل(العراق)، 2003م.

- أبو مصطفى، كمال السيد:

* دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، (د.م)، 1997م.

- مظهر، جلال:

* الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث،مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة،1969م.

- مكي، الطاهر:

* دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، مصر، 1980م.

- مكي، محمود:

* التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م.

- المنان، رفيدة، بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية،رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الخرطوم،2009م.

- منير الدين، أحمد:

* تاريخ التعليم عند المسلمين، (د.د)،(د.م)،(د.ت).

- مؤنس، حسين:

* تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1986م.

*شيوخ العصر في الأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 1997م.

* فجر الأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 1959م.

* **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار المستقبل ، القاهرة، 1980م.

- ميتز، آدم:

* **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،أو عصر النهضة في الإسلام**، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

- ناجي، معروف:

* **أصالة الحضارة العربية**، دار الثقافة للطباعة ،(د.م) ،1975م.

- الناصري، خالد:

* **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق:جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب، الدار البيضاء،(د.ت).

- هاشم، زكريا:

* **فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم**،(د.ن) ،(د.م) ،(د.ت).

- هنداوي، ابراهيم:

* **الأثر العربي في الفكر اليهودي**، مكتبة الإنجلو المصرية،مصر،1963م.

- هيكل، أحمد:

* **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، دار المعارف، القاهرة،1985م.

-المراجع الأجنبية:

- ASHTOR,The Jews.

-Dubnov,History of the JEWS.

-Dhul-Nun Taha" Importance des Voyages Scientifiques entre Iorient et - IAndalus" Revue de Loccident musulman et de la Mediterranee, vol.40,2 eme Semestre (1985).

-Ensayo sobre Ias aportaciones orientales en Ia Espana Musulmana.

-Haim Beinart,Cordoba,Encyclopedia judaica.

-AL-itasan ibn Ahmad ibn Ali al-katib, la perfection des connasissances musicales, traducation et commentare dun traite de musique arabe du xi siècle par amnon shiloah, bibliotheque detudes islamiques f.5,(paris:p.Geuthnen,1972.

-Ibn Firnas(Abbas)"by Ahmed Djebbar" Dictionnaire Culturel des Science, by Collective under the direction of Nicolas Witkowski, Du Regard Editions,2003,ISBN .

-Ibn Shuhayd,Risalat at-Tawabi:wa z-Zawabi translated by james T.Monroe(Berkdey),(A;los Angeles:Univirsity of Californai publications ,1971.

- Jacor Mann,Texts And studies In Jewish History and literature.

-Luis Molina, "lugares de destino de los viageros en el Tarig de Ibn al –faradi" - in:Manuela Marin, Maria luisa Avila and luis Molina ,eds Estudios on omastico-Bio graficos de al –Andalus,6 vols,(Madrid:Consego Super iorde Invesigaciones Gientificas,Instituto de filologia,Departamento de Estudios Arabes (1988-1994)

- Siraisa,Nancy G.(2001)Medicine and the Italian Universities 1250-1600-Leiden:BRILL.203.ISBN

-الموسوعات:

- جمال الدين، عبد الله:

* **تاريخ المسلمين في الأندلس**(موسوعة سفير)، (د.ن)،القاهرة، (د.ت).

- الحفني، عبد المنعم:

* **الموسوعة النقدية**، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

-الدوريات:

- محي الدين، صفي الدين:

* **دخول المذهب المالكي إلى الأندلس**، دورية كان التاريخية، عدد 13، سبتمبر،2011م.

-المواقع الإلكترونية:

-www.mawhopon.net